الجمهورية العربية السورية

جامعة تشرين

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ



علاقات الحرب والسلم بين دولة المماليك البحرية ومملكة أرمينيا الصغرى في كيليكيا

منتصف القرن الثالث عشر الميلادي – نهاية القرن الرابع عشر الميلادي

(٦٤٨–٧٨٤هـ/١٢٥٠–١٣٨٢م)

رسالة أعدت لنيل درجة الماجستير في تاريخ العرب والإسلام

إعداد الطالبة:

هبة بسام عبود

إشراف الدكتورة:

غادة حسن

اللاذقية ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م

قامت هذه الدراسة استكمالاً لمتطلبات نيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة تشرين.

وقد نوقشت هذه الرسالة بتاريخ 2017/2/21م.

لجنة التحكيم:

أ.د. وفاء جوني	د. غادة حسن	د. رندة عباس

شهادة

نشهد بأن العمل الموصوف في هذه الرسالة هو نتيجة بحث علمي قامت به المرشحة هبة بسام عبود تحت إشراف الدكتورة غادة حسن، المدرسة في قسم التاريخ بجامعة تشرين، وأن أية مراجع مذكورة موثقة في نص الرسالة.

المرشحة

هبة بسام عبود

المشرف العلمي

د. غادة حسن

تصريح

أصرح بأن هذا البحث بعنوان: علاقات الحرب والسلم بين دولة المماليك البحرية ومملكة أرمينيا الصغرى في كيليكيا، منتصف القرن الثالث عشر الميلادي – نهاية القرن الرابع عشر الميلادي، (٦٤٨-٧٨٤هـ/١٢٥٠-١٣٨٢م)، لم يسبق له أن قُبل للحصول على أية شهادة، ولا هو مقدم حالياً للحصول على شهادة أخرى.

المرشحة

هبة بسام عبود

الإهداء

إلى من دفعني لحب العلم وغرس في نفسي حب الطموح

إلى الصابر على مرارة الحياة والواثق بالله دائماً

أبي

إلى من ربتني وأنارت دربي وأعانتني بالصلوات والدعوات

إلى أغلى إنسان في هذا الوجود

أمي

إلى من تسكن محبتهم في قلبي وترسم كلماتهم

وضحكاتهم أجمل أيام العمر

أخوتي

إلى من جعلوا اللحظات الجميلة أجمل

إلى رمز التعاون والمحبة

أصدقائي

إلى كل الأيادي البيضاء التي دعمت هذا العمل

شكراً لكم

شكر وتقدير

بعد أن انتهيت من هذا البحث لا يسعني إلا أن أتقدم بخالص الشكر والعرفان وعظيم التقدير إلى أستاذتي الدكتورة غادة حسن التي تفضلت بالإشراف على هذا البحث، فأجزلت العطاء، وأحاطتني برعايتها، وتوجيهاتها، وتصويباتها، فكانت خير عون لي ، حفظها الله تعالى وأدامها عوناً للذين سيأتون بعدي..

كما أتوجه بجزيل الشكر والامتنان لأعضاء لجنة الحكم الأستاذة الدكتورة وفاء جوني، والدكتورة رندة عباس.

الرموز الاصطلاحية

ت = توفي

تر = ترجمة

تح = تحقيق

مر = مراجعة

ج = جزء

(د.ت) = دون تاريخ

(د.م) = دون مكان النشر

ص = صفحة

ط = طبعة

ق = قسم

م = ميلادي

هـ = هجري

مخطط البحث:

- مقدمة:

- دراسة في مصادر البحث:

الفصل الأول : من أرمينيا الكبرى إلى أرمينيا الصغرى

١- أرمينيا الكبرى:

أ- الأصل والتسمية .

ب- الموقع والحدود.

٢- مملكة أرمينيا الصغرى.

٣- دولة المماليك في مصر وبلاد الشام .

الفصل الثاني: العلاقات المملوكية الأرمنية (٦٥٨-٦٨٩هـ/١٢٦٠-١٢٩٠م)

١- أسباب الخلاف المملوكي الأرمني :

أ- سياسة الأرمن الودية تجاه المغول.

ب -الحصار الاقتصادي على دولة المماليك البحرية .

٢- حملات الظاهر بيبرس على مملكة أرمينيا الصغرى.

٣- الظاهر بيبرس وفتح أنطاكية.

٤- علاقة المنصور قلاوون مع مملكة أرمينيا الصغرى.

الفصل الثالث: تدهور أوضاع مملكة أرمينيا الصغرى وسقوطها سنة٧٧٦/١٣٧٥م

١- سياسة الأشرف خليل و لاجين تجاه الأرمن.

٢- دور الأرمن في غزوات غازان خان على بلاد الشام.

٣- الحملات المملوكية على كيليكيا في عهد الناصر محمد بن قلاوون.

٤-الناصر محمد وليو الخامس.

٥- ضعف وسقوط مملكة أرمينيا الصغرى.

الفصل الرابع: العلاقات السلمية والمراسلات الدبلوماسية:

١- التمثيل الدبلوماسي :

أ- السفارات و السفراء

ب-مراسم استقبال السفراء

ت-تبادل الهدايا

٢-المراسلات الدبلوماسية:

أ- دور ديوان الانشاء.

ب- الجوانب المادية للمراسلة مع ملك أرمينيا الصغرى

- خاتمة

- الملاحق والخرائط

- قائمة المصادر والمراجع

مقدمة :

أسس المماليك في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي دولة إسلامية مترامية الأطراف على أنقاض الدولة الأيوبية، شملت مصر وبلاد الشام، وامتد حكمها على مدى قرنين ونصف من الزمن، أصبح فيه زمام المبادرة في قبضة المسلمين، بعد أن اتحدت جبهاتهم، واتخذوا سياسة الهجوم دفعا للعدوان، في الوقت الذي التزم فيه أعدائهم بسياسة الدفاع عن أنفسهم، وعن كيانهم المتداعي في الأرضي المقدسة. وقد بلغت الدولة المملوكية في النصف الأول من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي أقصى درجات الاتساع والعظمة، لتشهد الدولة استقراراً كبيراً، سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي، تخلل هذه الفترة مراحل من الجهاد الإسلامي للدفاع عن الدين، والأرض ضد الأخطار التي هددت المنطقة من جانب الصليبيين، والمغول، والغرب الأوروبي أحياناً، وأحرزوا باسم الإسلام انتصارات ساهمت في بقاء دولتهم لمدة طويلة، وخصوصا معركتهم الشهيرة ضد المغول في عين جالوت، التي فرضوا من خلالها أحقيتهم في الحكم، لأنهم برزوا كحامي وحيد للإسلام والمسلمين من خطر الأطماع المغولية، حيث أن العرب المسلمين كانوا قد خبروا دمارها جيداً.

وضمن تلك السياسة في الدفاع عن أرض المسلمين، تنبه المماليك لخطر مملكة أرمينيا الصغرى التي تأسست في كيليكيا على الساحل الجنوبي الشرقي للأناضول على يد السلالة الروبينية في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، فقد سعى الأرمن إلى التحالف مع دولة المغول في فارس التي أسسها هولاكو عام٦٥٩هـ/١٢٦٠م، والتماس مساعدتهم لمواجهة السياسة القوية التي رسمتها دولة المماليك البحرية لنفسها، والتي استهدفت حماية حدودها، و مصالحها السياسية والاقتصادية في المنطقة بكافة الوسائل المتاحة، فقد استند هذا التحالف على العداء المستحكم

بين المماليك ومغول فارس الذي استمر حتى بعد اجتماعهم في ظل الإسلام، وتبادل السفارات، و المراسلات فيما بينهم.

لم يقتصر ذاك الصراع بين الطرفين على الجانب السياسي، فحكام مملكة أرمينيا الصغرى لم يفوتوا أي فرصة ممكنة لإلحاق الضرر بالمماليك، بهدف إضعافهم اقتصادياً، بعد أدراكهم أن قوة هذه الدولة وتماسكها، يكمن في تنامي نشاطها الاقتصادي الذي قام على أساس احتكار الجزء الأكبر من نشاط التجارة بين الشرق والغرب، لاسيما بعد انحدار الطريق الأساسي لخطوط التجارة الذي يربط الشرق الأقصى بالبحر الأسود والقسطنطينية ليحل محله الطريق البحري الذي يربط المحيط الهندي بمصر والشام، مما جعل القاهرة مركزا تجاريا وسياسيا عالميا هاما، فالعداء بين المماليك والأرمن في حقيقة أمره حلقة في سلسلة العداوات بين القوى الإسلامية والمسيحية في عصر الحروب الصليبية، وجزء من صراع الشرق والغرب المستمر منذ قرون طويلة.

كان النشاط العسكري ولغة الحرب، وسيلة الصراع الأساسية بالنسبة للمماليك، في محاولاتهم لإخضاع تلك المملكة، وقد أفتتح الظاهر بيبرس سلسلة الحملات، وسار خلفاؤه على نفس النهج دون تردد، حتى تمكنوا في عهد خلفاء الناصر محمد بن قلاوون آخر السلاطين الأقوياء، من الاستيلاء على عاصمة مملكة أرمينيا الصغرى "سيس"، وبالتالي القضاء على مملكتهم سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٥م، بعد أن انهكتها الضربات العسكرية المملوكية، وسادت الخلافات بين قياداتها.

تبني المماليك للخيار العسكري، لم يكن يعني بالضرورة استغنائهم عن الخيار الدبلوماسي، خصوصا أنهم يعدون بلاد الإسلام داراً للسلم، وهو خيار لا يقل أهمية عن الحملات العسكرية، وتحفل كتب التاريخ بالإشارة إلى تنوع العلاقات دبلوماسية للمماليك مع الدول المحيطة بهم، ومن ضمنها مملكة أرمينيا الصغرى، من خلال تبادل العديد من السفارات والمراسلات وتوقيع اتفاقيات سلام بين الطرفين، والتي كان لديوان الإنشاء المملوكي دور كبير في ترتيبها والإشراف عليها.

على الرغم من وجود كتب كثيرة، وأبحاث متعددة تتناول دولة المماليك البحرية، وعلاقاتها الخارجية والداخلية، إلا أنَ معظم هذه الدراسات تناولت العلاقات المملوكية– الأرمنية بشكل عام دون الدخول في تفاصيلها، فكانت معالجتها سطحية ضمن الحديث العام عن الصليبيين، والمماليك، والمغول، ضمن فصول، أو شذرات هنا وهناك. من هنا جاءت فكرة التطرق إلى هذا الموضوع بشكل معمق من خلال إلقاء الضوء على فترة معقدة من العلاقات الدولية التي شهدت اضطراب بين الشرق والغرب، مع وجود قوتين كبيرتين الغرب الفرنجي الداعم للدويلات الصليبية في المشرق، والخطر المغولي الذي شكل تهديداً جدياً لدولة المماليك، التي شعرت بوجودها بوسط معادي، انعكس على طبيعة علاقاتها مع الدول المجاورة ومنها مملكة أرمينيا الصغرى.

يضفي الموقع المتميز لأرمينيا كواجهة تطل أوروبا من خلالها على بلاد المسلمين في غرب أسيا وشمال البحر المتوسط، أهمية خاصة للبحث، لأن الدولة المملوكية الممتدة على كامل مساحة بلاد الشام ومصر مشكلة وحدة سياسية وجغرافية، تعد سدا إسلاميا في وجه عودة أطماع الغرب إلى الشرق، وتكرار حروبهم الصليبية.

تنبع أهمية هذا البحث من إلقاءه الضوء على مجريات السياسة الدولية في تلك الفترة وخلفيات إدارة العلاقات الدبلوماسية، بل ويقترب أكثر من الأشخاص الذين لعبوا دورا محوريا فيها، وحركوا مسار الأحداث، وإظهار طبيعة تعامل الدولة المملوكية المسلمة، مع الدول غير الإسلامية، باعتبارها المرجع الأول للإسلام، والتأكيد على أن التاريخ المملوكي لم يقتصر على الجانب العسكري، بل أن الخيار السياسي قد تبلور لديها منذ تشكلها، وربما عكس فكر وشخصية المماليك الحقيقية.

وقد اقتضت ضرورة البحث تقسيمه إلى أربعة فصول، تناول الفصل الأول المعنون " **من أرمينيا الكبرى إلى أرمينيا الصغرى**": لمحة تاريخية، وجغرافية عن أرمينيا الكبرى، والجذور التاريخية

للأرمن، حتى هجرتهم إلى كيليكيا وتأسيس مملكة أرمينيا الصغرى. كما تضمن أيضا ظهور دولة المماليك البحرية على مسرح الأحداث، والدور الذي قام به أمراء المماليك في الدفاع عن مصر وحمايتها ضد الأخطار الخارجية وكان أولها الحملة الصليبية السابعة التي قادها لويس التاسع ملك فرنسا.

أما الفصل الثاني وعنوانه " **العلاقات المملوكية الأرمنية (٦٥٨-٦٨٩هـ/١٢٦٠-١٢٩٠م)**" فقد تضمن أسباب الخلاف المملوكي الأرمني الذي بدأ بظهور المغول القادمين من أواسط آسيا، والاتصالات التي جرت بين المغول، وبين الأرمن في عهد ملكهم هيثوم الأول الذي وجد في المغول سنداً قوياً لمملكة أرمينيا الصغرى ضد محيطها المعادي من المسلمين سلاجقة الروم والمماليك. اشترك الأرمن إلى جانب المغول في هجومهم على بغداد، ومدن بلاد الشام، الأمر الذي دفع الظاهر بيبرس إلى ارسال حملات عسكرية متتالية ضد مملكة أرمينيا الصغرى والإمارات الصليبية الموجودة في بلاد الشام، وتبعه في هذه السياسة المنصور قلاوون الذي اتخذ من الدبلوماسية أداة لتحقيق مصالح اقتصادية للدولة المملوكية لمواجهة محاولات البابوية والغرب الأوروبي فرض حصار اقتصادي بقصد اضعافها، فوقع معاهدة سلام مع الأرمن.

بينما اشتمل الفصل الثالث "**تدهور أوضاع مملكة أرمينيا الصغرى وسقوطها سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٥م**" على طبيعة العلاقات المملوكية الأرمنية في عهد الأشرف خليل، والناصر محمد بن قلاوون حتى انهيار المملكة على يد خلفاء الناصر محمد بفعل عدة عوامل أهمها الضربات المملوكية المتتالية عليها، وانشغال الاوربيين بمشاكلهم الداخلية، وفقدانها لأهم حليف لها في المنطقة، والمتمثل بمغول فارس ولاسيما بعد اعتناق خاناتهم الدين الإسلامي بشكل رسمي.

أما الفصل الرابع "**العلاقات السلمية والمراسلات الدبلوماسية**" فهو يتناول العلاقات الدبلوماسية التي جمعت بين دولة المماليك البحرية ومملكة أرمينيا الصغرى، من خلال عرض السفارات المتبادلة بين الطرفين لحل مشكلة، مثل التوسط لدى سلطان المماليك لإطلاق سراح أسرى حرب، أو لعقد اتفاقيات سلام او اتفاقيات ذات أغراض سياسية واقتصادية. كما تناول الفصل موضوع السفراء، وشروط اختيارهم، ووظائفهم، والقواعد والمراسم التي حكمت استقبالهم وطبيعة حصانتهم ونوعية هداياهم. بالإضافة إلى الحديث عن أهمية ديوان الإنشاء المملوكي في رسم العلاقة الدبلوماسية بين المماليك والأرمن، مع ذكر الجوانب المادية المستخدمة للمراسلة مع ملك أرمينيا الصغرى.

ومن أجل إنجاز هذا البحث تم جمع المادة العلمية من المصادر، والمراجع، والمقالات المتعلقة بتاريخ المماليك، ومملكة أرمينيا الصغرى، ثم العمل على تحليلها ومقارنتها بما يماثلها من الكتابات للخروج بفكرة تقود إلى الحقيقة العلمية التاريخية.

دراسة في مصادر البحث:

اعتمد البحث على عدد من المصادر والمراجع التي تميزت بتنوعها وتعددها، بحكم تعدد القوى التي أدت دوراً في مسرح الأحداث، وهي مدونة بأكثر من لغة. من أهمها :

١- ابن عبد الظاهر (ت٦٩٢هـ/١٢٩٢م):

هو القاضي محي الدين بن عبد الله بن رشيد الدين عبد الظاهر، ولد في القاهرة سنة ٦٢٠هـ/١٢٢٣م، وتوفي سنة ٦٩٢هـ/١١٢٩٢م، كان محي الدين كاتباً في ديوان الإنشاء عندما تولى الظاهر بيبرس الحكم، ويبدو أن عمله في الديوان كان من أيام المظفر قطز، فقد رافقه في حملته إلى بلاد الشام لملاقاة المغول في عين جالوت، وسرعان ما حاز على ثقة بيبرس بعد توليه الحكم، واستمر محي الدين في مركزه في ديوان الإنشاء طوال فترة حكم بيبرس، وأثناء حكم ولديه، وفي عهد السلطان المنصور قلاوون أصبح رئيس ديوان الإنشاء، وبحكم منصبه فقد كان على اطلاع بكل شؤون الدول، فكان يقرأ جميع الرسائل الواردة للسلطنة، ويكتب جميع الرسائل والوثائق الصادرة عن السلطان. من أهم مؤلفاته التي اعتمدت عليها في هذا البحث كتاب "**الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر**" وهو عبارة عن سيرة ذاتية للظاهر بيبرس كتبها بإشراف بيبرس شخصياً، ونقل إلينا من خلاله السفارات الأرمنية التي جاءت إلى بلاط السلاطين، كما نقل وقائع حملات بيبرس على مملكة أرمينيا الصغرى. بالإضافة إلى كتابه " **تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور**" الذي كان كذلك سيرة ذاتية للمنصور قلاوون، ونقل فيه تفاصيل المعاهدة التي أبرمها المنصور قلاوون مع ليون الثالث ملك أرمينيا الصغرى سنة ٦٨٤هـ/١٢٨٥م، وهي معاهدة السلام الوحيدة الموقعة بين دولة المماليك البحرية ومملكة أرمينيا الصغرى.

٢- أبو الفدا (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م):

المؤيد عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمود بن عمر بن أيوب، ولد سنة ٦٧٢هـ/١٢٧٣م في دمشق. كان أبو الفدا أحد أمراء الأسرة الأيوبية التي استعادت مجدها على يد السلطان الناصر محمد بن قلاوون، عندما ولاه ملك حماه سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م، ومن أهم مؤلفاته التي اعتمدت عليها في هذا البحث كتاب "**المختصر في أخبار البشر**"، كونه كان شاهد عيان على العديد من الأحداث التي سجل عنها معلوماته، كالحملات العسكرية المملوكية ضد مملكة أرمينيا الصغرى، فقد شارك بالبعض منها، بالإضافة إلى ذلك هو الوحيد من بين أصحاب المصادر العربية الذي ذكر تفاصيل الحرب الأهلية وبعض الأحداث الداخلية في أرمينيا الصغرى.

٣-بيبرس المنصوري (ت٧٢٥هـ/١٣٢٤م):

هو الأمير ركن الدين بيبرس المنصوري بن عبد الله، أصله من مماليك المنصور قلاوون، ولَاه نيابة الكرك، ثم عزله الأشرف خليل ورقاه دواداراً كبيراً، واختاره الناصر محمد ين قلاوون نائباً لسلطنته سنة ٧١١هـ/١٣١١م، إلا أنه لم يستمر طويلاً، بل ساءت فيه الظنون، وقبض عليه الناصر وزجه في سجن الإسكندرية سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م، فلبث في السجن نحو خمس سنين، ثم أطلق سراحه سنة ٧١٧هـ/١٣١٧م، ومات سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٤م، وقد اشتغل بيبرس بالعلم والتاريخ، ومن أهم مؤلفاته "**زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة**"، كونه سجل فيه الأحداث التي عاصرها ورآها بعينه، بل شارك فيها أحياناً. كذلك أمدنا بيبرس المنصوري من خلال كتابه هذا بمعلومات عن المعارك العسكرية التي خاضها الجيش المملوكي ضد المغول والفرنجة والأرمن، بالإضافة إلى السفارات المتبادلة بين المماليك ومملكة أرمينيا الصغرى.

٤-النويري (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م):

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب القرشي البكري النويري، ولد في الصعيد سنة ٦٧٧هـ/١٢٧٨م، وتوفي في القاهرة سنة ٧٣٢هـ/١٣٣١م، درس الحديث والأدب والتاريخ، عمل أولاً في نسخ الكتب، ثم تدرج في المناصب الإدارية زمن السلطان الناصر محمد بن قلاوون ليصبح ناظراً للديوان. يعد كتابه "**نهاية الأرب في فنون الأدب**" من أشهر الموسوعات التاريخية العلمية، فهو أشبه بدائرة معارف واسعة اشتملت على ثلاث وثلاثين جزءاً، وقد استعنت بالأجزاء الأخيرة منه، إذ احتوت على معلومات غزيرة وغنية عن التاريخ المملوكي والمغولي، كونه شغل وظائف عديدة في الجهاز الإداري المملوكي، بالإضافة إلى اشتراكه بالأحداث التي أرخ لها.

٥-ابن أيبك الدوادار(ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م):

أبو بكر بن عبد الله بن أيبك صاحب صرخد، عرف والده بالدواداري نسبة لخدمة الأمير سيف الدين بلبان الرومي الدواداري، ويعد كتابه "**كنز الدرر وجامع الغرر**" من أهم المصادر العربية التي اعتمدت عليها في البحث، وخاصة الجزء الثامن منه المسمى "**الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية**"، والجزء التاسع " **الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر**"، كونه شغل العديد من المناصب الهامة في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وقد اتبع الدوادار في كتاباته فن الحوليات، وكان شاهد عيان على كثير من الأحداث التي أرخ لها، وله الفضل في نقله لنا رسالة الأشرف خليل إلى صاحب "سيس"، عقب سقوط عكا آخر معاقل الفرنجة في بلاد الشام، فقد أعطتنا هذه الرسالة فكرة واضحة عن طريقة التخاطب التي كان يخاطب بها ديوان الإنشاء المملوكي صاحب سيس .

٦- العمري(شهاب الدين بن فضل الله العمري ت٧٤٩هـ/١٣٤٩م):

شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العمري، ولد شهاب الدين في دمشق سنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م، ونشأ في أسرة ذات عراقة أدبية، تولى عدد من أفرادها وظيفة صاحب ديوان الإنشاء لأكثر من قرن من الزمن، وشهاب الدين عمل في ديوان الإنشاء في دمشق عندما كان والده كاتب السر في أيام سلطنة الناصر محمد بن قلاوون، ثم ما لبث أن انتقل مع والده إلى مصر، وأصبح كاتب السر في مصر، إلى أن تغير السلطان عليه وصرفه سنة ٧٣٨هـ/١٣٣٧م، فتوجه إلى دمشق وبقي فيها حتى وفاته سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٩م.

يعد كتابه "**التعريف بالمصطلح الشريف**" من أهم الدساتير التي نظمت مصطلح الكتابة في عصر المماليك البحرية، والقانون الذي ظل معمولاً به في ديوان الإنشاء طوال عصر المماليك، فقد تناول أدق التفاصيل المتعلقة بالديوان، وعرض المؤهلات المطلوبة في الكتَّاب الذين يعملون به، والتنظيمات الإدارية لهذا الجهاز، وسير العمل فيه، وكذلك القواعد، والرسوم التي يجب إتباعها في المكاتبات، واختلافها وفقاً لمكانة، وظروف المرسل إليهم، وكذلك وفقاً للموضوعات، والأغراض التي ترسل من أجلها.

٧-القلقشندي(ت٨٢١هـ/١٤١٨م):

أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي، نسبة إلى مكان مولده قرية قلقشندة المصرية، ولد سنة ٧٥٦هـ/١٣٥٥م، وتوفي سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م، درس العلم والأدب في الإسكندرية على يد أكابر علماء عصره، وعمل سنة ٧٧٨هـ/١٣٧٦م بتدريس الحديث الشريف، وفي سنة ٧٨٩هـ/١٣٨٧م التحق بديوان الإنشاء في مصر الذي كان يرأسه حينها القاضي بدر الدين محمد أحد أقرباء ابن فضل الله العمري.

ألف القلقشندي العديد من الكتب منها " **صبح الأعشى في كتابة الإنشا**" الذي أمدنا بكثير من المعلومات عن ديوان الإنشاء، فقد أفرد القلقشندي الجزئين الأول والثاني من كتابه بالتعريف بهذا الديوان، كما أمدنا بمعلومات هامة عن الوظائف، والموظفين في ذلك العصر، ونقل إلينا الشروط اللازم توافرها في السفراء، وفي موظفي ديوان الإنشاء، الأمر الذي جعل مؤلفه من أهم الكتب التي اعتمدت عليها في بحثي.

٨-المقريزي(ت٨٤٥هـ/١٤٤١م):

تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر الحسني المقريزي، مصري المولد، وشامي النشأة، تأثر بعدة مؤرخين منهم ابن خلدون، وتولى عدة مناصب سياسية هامة كقاضي عند قاضي قضاة الشافعية. يعد كتابه " **السلوك لمعرفة دول الملوك**"، الكتاب العمدة في تاريخ دولة المماليك البحرية بما تضمنه من معلومات عن دولة المماليك البحرية، وعلاقاتها الخارجية مع الدول المحيطة بها من ضمنها مملكة أرمينيا الصغرى، وقد نقل إلينا الحملات المملوكية التي وجهها السلاطين المماليك إلى أرمينيا الصغرى إلى غاية القضاء عليها، بالإضافة إلى أهم السفارات، والرسل التي وصلت إلى البلاط المملوكي من جهة سيس.

٩- الكونتسطبل سمباد (ت٦٧٤هـ/١٢٧٦م):

الكونتسطبل سمباد من آل هيثوم، وهو أخ الملك الأرمني هيثوم الأول، وشغل منصب قائد الجيش، يعد كتابة " **التاريخ المعزو إلى القائد الأرمني سمباد**" من أهم المصادر الأرمنية التي اعتمدت عليها في بحثي عن الأرمن، كونه نتاج رجل عسكري وسياسي ينتمي إلى البيت الأرمني في كيليكيا، وشارك في معارك ضد المسلمين، بالإضافة إلى ذلك فقد كان دبلوماسياً، وسفيراً إلى المغول من قبل أخيه هيثوم سنة ٦٤٥هـ/١٢٤٧م لتهنئة الخان كيوك، وإقامة تحالف مع المغول.

١٠-ابن العبري(ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م):

غريغوريوس أبو الفرج بن اهرون الطبيب الملطي المعروف بابن العبري، ولد سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م في ملطية في أرمينيا الصغرى، وتوفي سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٦م في مراغة في أعمال أذربيجان، كان والده طبيباً يهودياً، اعتنق النصرانية ولذلك سمي بابن العبري الذي اشتهر به، درس اليونانية والسريانية والعربية إلى جانب العبرية، من أهم كتبه " **تاريخ مختصر الدول**" الذي يعد من أهم المصادر المعاصرة للأحداث، فقد قابل ابن العبري العديد من القادة المغول، وشارك في حفل تنصيب الخان أحمد تكودار، وقابل الملك هيثوم الأول، وبذلك هو شاهد عيان على العديد من الأحداث التي كتب عنها.

١١ – الحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م):

شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي، ولد في ديار الروم سنة ٥٦٤هـ/١١٥٨م، ووقع في الأسر طفلاً، وجيء به إلى بغداد، فبيع إلى تاجر اسمه عسكر بن أبي نصر إبراهيم الحموي لذلك تلقب بالحموي، ونظراً لذكائه وعلمه أعتقه سيده سنة ٥٩٦هـ/١١٩٩م.

احترف الحموي مهنة استنساخ الكتب وبيعها في بغداد، ثم عمل بالتجارة، واستفاد من رحلاته الكثيرة فوائد جغرافية عديدة سنت له تأليف كتابه " **معجم البلدان**" الذي لا يعد معجماً جغرافياً فقط، وإنما هو أيضاً كتاب تاريخ وأدب، ومصدر من أعظم المصادر التي يمكن الاعتماد عليها.

١٢ – ابن شداد(ت٦٨٤هـ/١٢٨٥م:

عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم بن شداد، قضى ابن شداد طفولته وسني شبابه في مدينة حلب، ثم اتجه بعد ذلك إلى دمشق فدخلها سنة ٦٣١هـ/١٢٣٣م، وقد عمل ابن شداد في خدمة

السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز صاحب دمشق وحلب حتى سقوط حلب في أيدي المغول سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م، فخرج من حلب إلى مصر، فأكرمه الظاهر بيبرس وشمله بعطفه وبقي في خدمته إلى أن توفي سنة ٦٨٤هـ/١٢٨٥م ودفن في القاهرة.

من أهم مؤلفاته " **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة** " الذي يعد مصدراً هاماً في طبوغرافيا الشام التاريخية، فهو يصف مدنها وقراها وكورها وجبالها، بالإضافة إلى أحداثها التاريخية، وقد تم الاستعانة بهذا الكتاب أثناء تعريف بعض المواقع الجغرافية التي وردت في البحث.

أما أهم المراجع العربية التي اعتمدت عليها في هذا البحث:

١-عاشور(سعيد عبد الفتاح):

مؤلف "**بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى**"، وهو عبارة عن كتاب يضم نحو ثمانية عشر بحثاً، تطرق فيه المؤلف إلى مواضيع مختلفة، ومنها محاضرة له بعنوان " **سلطنة المماليك ومملكة أرمينيا الصغرى**"، وقد مكنني من تكوين فكرة شاملة عن الموضوع، وتعرفت من خلاله على النزاعات الداخلية التي نشبت بين أمراء البيت الأرمني على العرش إلى أن تم القضاء عليها سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٥م.

٢- سرور (جمال):

ومؤلفه "**دولة بني قلاوون في مصر الحالة السياسية والاقتصادية في عهدها بوجه خاص**"، الذي نقل لنا في كتابه هذا طبيعة العلاقة بين دولة المماليك البحرية في عهد بني قلاوون ومملكة أرمينيا الصغرى، ومن ضمنها الحملات العسكرية التي أرسلها السلاطين إلى سيس، وكذلك المعاهدات التي عقدوها مع المملكة خاصة معاهدة ٦٨٤هـ/١٢٨٥م التي عقدها قلاوون مع الملك ليون الثالث، والتي كانت لأسبابٍ اقتصادية أكثر منها سياسية.

٣- المدور(مروان):

مؤلف كتاب "**الأرمن عبر التاريخ**"، الذي يعد من أهم المراجع العربية التي اختصت بتاريخ الأرمن، فقد أمدنا بمعلومات حول الجذور التاريخية لهذا الشعب، وجغرافية المنطقة، بالإضافة إلى الظروف التي دفعت بالشعب الأرمني للهجرة من وطنه الأم أرمينيا الكبرى إلى إقليم كيليكيا.

وهناك دراسات أجنبية مترجمة للعربية اختصت بالتاريخ المملوكي مثل :

١- بيتر توراو:

مؤلف كتاب " **الظاهر بيبرس**" الذي عالج فيه توراو بالتفصيل، وبدقة مجموعة العوامل السياسية، والتجارية التي دفعت بيبرس لاستخدام الدبلوماسية مع الإمبراطورية البيزنطية، ومغول القبيلة الذهبية، والدويلات اللاتينية في الشرق، وأرمينيا الصغرى، وركز على جهود بيبرس من أجل تأمين الطريق التجاري مع البحر الأسود، ومنع أي حملة صليبية قادمة من الغرب مستفيداً من الخلافات بين القوى المسيحية المتواجدة على شواطئ البحر المتوسط، فبيبرس كما يرى توراو ذو شخصية سياسية ودبلوماسية من الطراز الأول.

بالإضافة إلى دراسات أجنبية مثل :

1 - STEWART, A.D., ***The Armenia Kingdom and the Mamluks war and diplomacy during the reigns of Het'um II (1289-1307)*****, Brill, Leiden-Boston-Koln, 2001.**

للمؤرخ STEWART الذي أعطى تحليلاً كاملاً (معمقاً) للعلاقات بين سلطنة المماليك في مصر وبلاد الشام مع مملكة أرمينيا الصغرى في عهد الملك الأرمني هيثوم الثاني (١٢٨٩-١٣٠٧م)، وخاصةً بعد سقوط الإمارات الصليبية في بلاد الشام، الأمر الذي جعل مملكة أرمينيا

الصغرى وحيدة في الصراع مع المماليك، حيث نقل إلينا بالتفصيل الحملات العسكرية المملوكية ضد سيس واشتراك الأرمن في غزوات المغول الإيلخانيين ضد السلطنة المملوكية.

2 -G. Hassan, Les relations diplomatiques entre les mamelouks bahrides et les Etats chrétiens en Orient (milieu du XIIIe-fin du XIVe siècle), thèse de doctorat, Université de Sorbonne, Paris, 2010.

وهو عبارة عن رسالة الدكتوراه للدكتورة غادة حسن بعنوان "**العلاقات الدبلوماسية بين دولة المماليك البحرية والدويلات المسيحية في المشرق**"، فقد تناولت فيها علاقة الأرمن مع مغول فارس، وتأثيرها على سياسة المماليك تجاه مملكة أرمينيا الصغرى، كما خصصت (فصلاً) للحديث عن العلاقات الدبلوماسية المتمثلة بالسفارات المتبادلة بين المماليك، والدول المسيحية في الشرق، ومن ضمنها مملكة أرمينيا الصغرى.

3 - M. Canard, « Le royaume d'Arménie-Cilicie et les Mamlouks jusqu'au traité de 1285 », *Revue des études arméniennes*, vol. 4, 1967.

للمؤرخ **Canard** بعنوان " **مملكة كيليكيا الأرمنية والمماليك حتى معاهدة ١٢٨٥م**" الذي تناول فيه العلاقات المملوكية الأرمنية منذ عهد بيبرس، وحتى معاهدة ٦٨٤هـ/١٢٨٥م، معتمداً بشكل أساسي على المصادر العربية، والأرمنية المترجمة إلى الفرنسية والروسية، فقد عالج من خلاله العلاقات بين المماليك والأرمن في كيليكيا، ومكانة هذه المملكة ضمن الصراع المغولي "الإيلخاني" المملوكي من جهة، وبين الصراع المملوكي الصليبي من جهة أخرى.

إنَ هذه المصادر التي كانت الأساس في هذا البحث، إلى جانب المراجع المتخصصة، قد ساهمت إلى حد بعيد في رسم صورة واضحة للعلاقات التي قامت بين المماليك وأرمينيا الصغرى، من سياسية وعسكرية ودبلوماسية في عصر كان العالم فيه يمر بفترة تغير وانتقال أثرت على مجرى الأحداث فيما بعد.

الفصل الأول : من أرمينيا الكبرى إلى أرمينيا الصغرى

١- أرمينيا الكبرى:

أ- الأصل والتسمية

ب - الموقع والحدود

٢- مملكة أرمينيا الصغرى.

٣- دولة المماليك في مصر وبلاد الشام.

١- أرمينيا الكبرى:

سبق ظهور مملكة أرمينيا الصغرى دولة أرمينيا الكبرى، وهي الموطن الأم للشعب الأرمني، فأين تلك المنطقة التي سكنها الأرمن قديماً؟ وما الجذور التاريخية لهذا الشعب، وعلاقته بالشعوب والدول المجاورة ؟ حيث تعرض الأرمن لكثير من الظروف دفعتهم للهجرة إلى آسيا الصغرى وتأسيس مملكة أرمينيا الصغرى في كيليكيا، التي أصبحت فيما بعد على حدود دولة المماليك البحرية.

أ- (الأصل و التسمية):

يعد الأرمن من الشعوب القديمة في التاريخ، وقد اختلف المؤرخون وعلماء الآثار في أصل هذا الشعب، وسبب تسميته .

ففي المصادر التاريخية القديمة مثل هيرودوت واسترابون، ورد ذكر الأرمن على أنهم من الشعوب الهندوأوروبية _ الأوروبية ذات الأصل الآري[١]، التي نزحت من آسيا، ثم استقرت في أوروبا، ولكنهم ما لبثوا أن غادروا القارة الأوروبية عائدين إلى آسيا عبر البوسفور والدردنيل،

---

[١] الأصل الآري: لفظ مشتق من اللغة السنسكريتية ومعناه نبيل، استخدمه الهندوس لتمييز أنفسهم وغيرهم من الشعوب التي تتكلم اللغات الهندية – الإيرانية، ثم أطلق على الشعوب واللغات الهندو أوروبية عامة. انظر المدور (مروان)، الأرمن عبر التاريخ، منشورات دار نوبل، دمشق، سوريا، ط٢، د.ت، ص٩٥.

حيث استقروا في فريجيا[١] في القرن الثامن قبل الميلاد، ومن ثم تنقلوا شرقاً حتى وصلوا آرارات[٢] في أواخر القرن السابع قبل الميلاد[٣].

بينما تورد المصادر الأرمنية بأنَ الأرمن من الشعوب الهندوأوروبية _الآسيوية، أي أنهم ظلوا ضمن حدود القارة الآسيوية، ولم يغادروها إلى أوروبا، ويعود أصلهم إلى يافث بن نوح عليه السلام، ومن نسله جاء هايك[٤] "أبو الأرمن" الذي تمرد على "بيل " ملك البابليين، فخرج بعشيرته من بابل في العراق واتجه شمالاً نحو إقليم آرارات، ولمَا علم بيل بهذا العصيان أرسل جيشاً كبيراً، وجرت معركة فاصلة بين الطرفين بالقرب من بحيرة فان **van**[٥]، انتهت بانتصار هايك على الجيش البابلي، وبمناسبة هذا الانتصار بنى هايك قرية أسماها "هايكا عمار" على اسمه،

[١] فريجيا أو بلاد الفريجيا: نحو الغرب من الهضبة الأرمنية، وتبين الأبحاث الحديثة أن مجموعة منفصلة من الفريجيين واليونانيين بدأت في بداية الألف الثاني قبل الميلاد بالذهاب من آسيا الصغرى إلى شبه جزيرة البلقان. انظر اشخانيان (رفائيل)، نشأة الأرمن وتاريخهم القديم، تر: هوري عزازيان، مطبعة حلب، حلب، ط١، ١٩٨٦م، ص٢٠.

[٢] جبل آرارات: تمتد طبيعياً من بحيرة فان في الجنوب الغربي، وحتى بحيرة سيفان إلى الشمال الشرقي، وهناك أسطورة تقول أن سفينة نوح عليه السلام قد استقرت بعد أن انحسرت مياه الطوفان فوق قمة هذا الجبل، أطلق عليه ابن حوقل اسم الحارث، كما سمَى قمته الصغرى بالحويرث. انظر ابن حوقل (أبي القاسم النصيبي)، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط٢، د. ت، ص ٢٩٧.

[٣] اشخانيان، نشأة الأرمن وتاريخهم القديم، ص٢٠.

[٤] هايك أو هايكوس بن طوكوميوس بن كاميروس بن يافث بن نوح عليه السلام. انظر ديشابرهوش(انطوان)، مختصر تواريخ الأرمن، تر: القس انطوان خانجي، مطبعة دير الآباء الفرنسيسكانين، القدس، ط١، ١٨٦٨م، ص٢٢.

[٥] بحيرة فان: وردت في المصادر الأرمنية باسم بحيرة فان أو وان، بينما ورد ذكرها في المصادر العربية الإسلامية باسم بحيرة أرجيش، وهي أشهر بحيرات أرمينيا، وعلى شاطئها مدينة خلاط وأرجيش ووان. انظر أبو الفدا(المؤيد عماد الدين إسماعيل)، تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، د.ت، ص٤٢، لسترانج (كي)، بلدان الخلافة الشرقية، تر: بشير فرانسيس، كوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط، ١٩٨٥م، ص٢١٧، ٢١٨.

ومن ثم ما لبث الإقليم بكامله أن سمَي (هايوتس دزور) أي وادي الأرمن، وسمى الأرمن بلادهم هايستان أي بلاد هايك[1].

أما النظريات التاريخية الحديثة، فقد أجمعت على أنَ تشكل الأمة الأرمنية قد بدأ في القرن الثامن قبل الميلاد منذ اللحظة التي وصلوا فيها الأراضي المحصورة بين نهر هاليس[2] من جهة، ونهري دجلة و الفرات من جهة ثانية، وهي المنطقة التي كانت تؤلف في ذلك الوقت المقاطعة الشرقية من الإمبراطورية الحثية المعروفة باسم هاياسا، التي شكلت فيما بعد الأراضي الجبلية الشمالية المرتفعة في أرمينيا[3].

بعد أن تمكن الأرمن من بسط نفوذهم على تلك المنطقة، بدأت بعض عشائرهم بالانحدار تدريجياً نحو السهول في جنوب وغرب بحيرة فان، وأخضعوا القبائل المتواجدة هناك لهم، وبعد سقوط الإمبراطورية الحثية آلت مقاطعتهم الشرقية هاياسا إلى سكانها الجدد، وانضم الأرمن في الجنوب (جنوب بحيرة فان) إلى الأرمن في الشمال، وألفوا بلداً موحداً عرف باسم هايستان أي بلاد هايك. وفي الحقيقة إنَ هذا التمازج الأرمني بين قبائل الجنوب وقبائل الشمال، هو الذي انتهى إلى ظهور الشعب الأرمني[4].

---

[1] خوريناتسي (موسيس) ، تاريخ الأرمن من البداية حتى القرن الخامس الميلادي، تر: نزار خليلي، دار اشبيلية، دمشق، سوريا، ط١، ١٩٩٩م، ص٤١، اشخانيان ، نشأة الأرمن وتاريخهم القديم، ص١٤.

[2] نهر هاليس: يسمى كذلك بنهر قزل أرمق، ويصب في البحر الأسود. انظر عربش (سمير)، أرمينيا أرض وشعب، دار الريحاني، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩١م، ص١٥.

[3] المدور، الأرمن عبر التاريخ، ص١٠٧.

[4] المدور، الأرمن عبر التاريخ، ص١٠٧، ١٠٨.

وبالنسبة لتسمية أرمينيا فقد اختلف المؤرخون حولها، فمنهم من يرى أن التسمية نسبة إلى أرمينياك بن هايكوس أو هايك نفسه[١]، والبعض الآخر يرى أنها نسبة لآرام الملك[٢]، الذي خاض حروباً طاحنة من أجل توسيع حدود بلاده في كل الاتجاهات، وهذه الحروب أكسبته شهرة بطولية؛ مما جعل الأمم المجاورة تطلق اسم أرمينيا المشتق من آرام على تلك البلاد[٣].

وهناك رأي آخر يقول أن الجورجيين الذين تجاور بلادهم أراضي هذا الشعب الجديد قد استخدموا لفظ (**somekhi**)[٤] دلالة على جيرانهم الجدد أي الأرمن، وهذا اللفظ يعني عند الفرس اسم أرمينا (**Armina**)، الذي تحول بدوره باللغات الإغريقية واللاتينية إلى أرمينيا كما نعرفه اليوم[٥].

وقد ورد أول ذكر لأرمينيا في القرن السادس قبل الميلاد، منقوشاً على صخرة كائنة بالقرب من بلدة بيهستون[٦]، تركها الملك الفارسي داريوس الأول سنة ٥٢١ ق.م، إشارة إلى البلاد التي سيطر سيطر عليها[٧].

كان لموقع أرمينيا الاستراتيجي بين قارة أوروبا وآسيا دور كبير في توجه أنظار الدول الكبرى قديماً وحديثاً إليها، فتحولت أراضيها إلى ساحة حروب بين القوى الكبرى المتمثلة بالفرس

---

[١] البستاني (بطرس)، دائرة المعارف، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م، المجلد ٣، ص٢٠٠.

[٢] آرام الملك بن هارمايوس بن كيغام بن أماسيوس بن آرماييوس بن أرمينياك بن هايكوس. انظر ديشابرهوش، مختصر تواريخ الأرمن ، ص٩ .

[٣] خوريناتسي، تاريخ الأرمن من البداية حتى القرن الخامس الميلادي، ص٤٩ .

[٤] اشخانيان، نشأة الأرمن وتاريخهم القديم، ص٤٧

[٥] المدور، الأرمن عبر التاريخ، ص١٠٩.

[٦] هي صخرة تحتوي على نقوش، ومدونات مسمارية في قرية بيهستون غربي إيران، سجل عليها الملك الفارسي داريوس الأول حروبه وانتصاراته بعدة لغات هي الفارسية القديمة –الآشورية– البابلية، وقد نقل هذه النقوش المستشرق الإنكليزي هنري رولنسون عام ١٨٣٥م، واستطاع فك رموزها بعد جهد دام اثني عشر سنة كاملة، ليتمكن المؤرخون من دراسة تاريخ أرمينيا. انظر المدور، الأرمن عبر التاريخ، ص١٠٩.

[٧] حافظ (فؤاد حسن)، تاريخ الشعب الأرمني من البداية وحتى اليوم، القاهرة، ط١، ١٩٨٦م، ص٢٣.

والبيزنطيين، إلى أن تمكن الملك الأرمني ديكران الثاني(٩٥- ٥٥ ق.م) من استعادة سيادة بلاده، وأسس إمبراطورية واسعة امتدت من بحر قزوين إلى البحر المتوسط[١].

وكان لظهور الإسلام، وقيام الدولة العربية الإسلامية بإرسال الجيوش الإسلامية إلى البلدان والأقاليم المجاورة، وحروبهم التي خاضوها ضد البيزنطيين من جهة، والفرس من جهة أخرى، أثره البالغ على وضع أرمينيا، لأن الجزء الشرقي من أرمينيا تحت الوصاية الفارسية، أما الجزء الغربي فكان تحت الوصاية البيزنطية[٢].

وصلت الجيوش العربية الإسلامية إلى حدود أرمينيا، وتمكنت في عهد الخليفة عثمان بن عفان من السيطرة على عاصمتها دبيل[٣] سنة ٢٥هـ/٦٤٥م، لكن سرعان ما تمكنت بيزنطة من استعادة استعادة أرمينيا سنة ٢٧هـ/٦٤٧م. وبقيت أرمينيا سجالاً بين المسلمين والبيزنطيين، وفي حروب مستمرة، دون تحقيق نصر حاسم، حتى وافق والي الشام معاوية بن أبي سفيان على توقيع اتفاقية سلام مع الأرمن سنة ٣٣هـ/٦٥٣م. من أهم البنود التي جاءت فيها تعهد الأرمن بدفع الجزية التي يرغبون فيها، ويحق لهم أن يكون لديهم جيش مكون من خمسة عشر ألف فارس، مقابل أن يكون هذا الجيش على استعداد للذهاب إلى أي مكان يطلب منه، ليحاربوا جنباً إلى جنب مع

[١] غيفونت، تاريخ الراهب غيفونت، تح: جان جاك سلمانيان، جامعة القديس يوسف، بيروت، ط١، ١٩٩٤م، ص١٣.

[٢] بولاديان (آرشاك)، أرمينيا والعالم العربي (صفحات من تاريخ العلاقات الأرمنية – العربية)، مطبعة دمشق، دمشق، ط١، ٢٠٠٧م، ص١٢، المدور، الأرمن عبر التاريخ، ص١٩١.

[٣] دبيل: وتسمى أيضاً دوين، وهي عاصمة المملكة الأرمنية الثالثة، بناها الملك خسرو الثاني عام ٣٣١م حتى ٣٣٩م بالقرب من نهر أراكس، وتدل عليها الآن قرية صغيرة في جنوب العاصمة الحالية يريفان، ويطل عليها جبل آرارات. انظر لسترانج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٢١٦، ٢١٧، عربش، أرمينيا أرض وشعب، ص١٦.

المسلمين ضد أي اعتداء، مقابل تقديم الجيوش الإسلامية العون لهم ضد أي دولة تتعرض لهم[1].

وافق الأرمن على الصلح مع المسلمين للتخلص من السيادة البيزنطية، وفعلياً فإنَ هذه المعاهدة حررت الأرمن من تسلط مباشر إسلامي كان أو بيزنطي، مقابل خدمة عسكرية محدودة للمسلمين، وعقد حلف معهم[2].

[1] اسكندر (فايز نجيب)، الفتوحات الإسلامية لأرمينيا(١١- ٤٠هـ /٦٣٢ -٦٦١ م)، القاهرة، ط١، ١٩٨٣م، ص٥٣، ٥١.

[2] اسكندر، الفتوحات الإسلامية لأرمينيا، القاهرة، ص٥٣، هوفهانيسيان (نيكولاي)، العلاقات التاريخية الأرمنية- العربية، النشرة، مركز الدراسات الأرمنية في جامعة القاهرة، العدد١٨، شباط، ٢٠٠٨م، ص٣.

١- الموقع و الامتداد:

اختلف المؤرخون العرب المسلمون وجغرافيوهم في حدود أرمينيا الحقيقية، وفي تقسيماتها فنجدها عند ياقوت الحموي "...حدها من برذعة [١]إلى باب الأبواب[٢]، ومن الجهة الأخرى إلى بلاد الروم وجبل القبق[٣] "[٤].

أما عند الإصطخري " يحيط بها من الشرق الجبال و الديلم وغربي بحر الخزر، ومن الغرب حدود الأرمن و اللارن[٥] وشيء من حد الجزيرة، ومن الشمال جبال القبق، أما من الجنوب حدود العراق وشيء من حدود الجزيرة)[٦].

إن أرمينيا لم تعرف في تاريخها الطويل حياة الدعة والسلام، وكانت أرضها دائماً مسرحاً للحروب والتصادم بين مختلف الحضارات العظيمة، التي كانت تعيش على أطرافها؛ نتيجة لذلك فإنه ليس لأرمينيا في الواقع حدوداً ثابتةً، فهي دائمة التقلص و الامتداد، فمع كل انتصار يحققه

---

[١] برذعة: بلد في أقصى أذربيجان وهو معرب عن برده دار، ومعناه بالفارسية موضع السبي، وكان أول من أنشأ عمارتها الملك الفارسي قيباذ . انظر الحموي (ياقوت بن عبد الله)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٧٧م، ج١، ص٣٧٩.

[٢] باب الأبواب: وهي مدينة من مدن أرمينيا على بحر الخزر، وهي أكبر من أردبيل في أذربيجان ولها سور طويل ، بناها كسرى انشروان. انظر الحميري (محمد بن عبد المنعم)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م، ص٧٧، الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٠٣.

[٣] جبل القبق: هو جبل متصل بباب الأبواب، وبلاد اللان، وهو آخر حدود أرمينيا. الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٠٦.

[٤] الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١٦٠.

[٥] هي عند الإصطخري اللارن، وعند ياقوت الحموي اللان، وهي بلاد واسعة في طرف أرمينيا قرب باب الأبواب، مجاورين للخزر. انظر الإصطخري (إسحاق بن إبراهيم بن محمد)، المسالك والممالك، تح: محمد جابر عبد العال الحيني، مر: محمد شفيق غربال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ط١، ١٩٦١م، ص٧٧، الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٨.

[٦] الإصطخري ، المسالك والممالك، ص٧٧.

الشعب الأرمني كان يتبعه امتداد وتوسع في رقعة الأرض، وتغدو هذه الأرض جزءاً من أرمينيا الأم، وكل هزيمة تعقب هذه الانتصارات، يتبعها تقلص للحدود وانكماش في المساحة .

بناءً على ما سبق؛ يمكننا القول أن أرمينيا التاريخية[1] امتدت من بحر قزوين وأذربيجان[2] شرقاً، إلى هضبة الأناضول وجبال طوروس غرباً، ومن كرجستان[3] وجبال القوقاز والبحر الأسود شمالاً، إلى بلاد الجزيرة [4]وشمال بلاد الشام والبحر المتوسط جنوباً .

يتكون إقليم أرمينيا من سلاسل جبلية متوازية، تمتد من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي، وجبال أرمينيا مخروطية الشكل، ومعظمها فوهات براكين خامدة، ومن أشهرها جبل آرارات الذي كان يقع في وسط أرمينيا، وهو اليوم ضمن الأراضي التركية، وعبارة عن قسمين جبل آرارات الكبير، ويسمى جبل النار ويبلغ ارتفاعه حوالي ٥٢٠٥ م، وجبل آرارات الصغير إلى الشرق من جبل آرارات الكبير وارتفاعه حوالي ٣٩١٤ م. بالإضافة إلى جبال آلاغور التي تقع في قلب أرمينيا، وارتفاعها حوالي ٤١٨٠ م، وكذلك جبال بنغول داغ [5]، وسيفان داغ [6].

---

[1] يقصد بأرمينيا التاريخية: أرمينيا الكبرى والصغرى معاً، وقيل هي ثلاث أرمينيات وقيل أربع، أما أرمينيا الكبرى هي خلاط ونواحيها، وأرمينيا الصغرى تفليس ونواحيه، وهذه التسمية كانت قبل أن يهاجر الأرمن إلى كيليكيا ويأسسوا فيها مملكة أرمينيا الصغرى، وأرمينيا اليوم مقسمة بين سوريا والعراق وتركيا وجمهورية أرمينيا وجورجيا وأذربيجان. انظر الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١٦٠، السيد (أديب)، أرمينيا في التاريخ العربي، المطبعة الحديثة، حلب، ط١، ١٩٧٢م، ص٢٨.

[2] إقليم أذربيجان: إقليم واسع مشهور، حده من برذعة شرقاً إلى أرزنجان غرباً، ويتصل حده من جهة الشمال ببلاد الديلم والطرَم، وأشهر مدنه تبريز وهي قصبته، سلماس، أرمية، أردبيل وغيرها. انظر الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ١٢٨.

[3] الكرج أو كرجستان: وهي جورجيا اليوم، في أعالي نهر الكر، ويسكنها قوم من النصارى، اتخذوا من مدينة تفليس قاعدة لحكمهم. انظر الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤٤٦، لسترانج، بلدان الخلافة الشرقية، ص١٩٤.

[4] الجزيرة: هي المنطقة المحصورة بين نهري دجلة والفرات، وتشتمل على ديار مضر وديار ربيعة. انظر ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٢٠٩.

[5] جبال بنغول داغ: تعرف باسم جبال البحيرات الألف أو الينابيع الألف، وينبع منها نهر أراكس أو الرس ومعظم ومعظم روافد نهر الفرات. عربش، أرمينيا أرض وشعب، ص١٥.

[6] المدور، الأرمن عبر التاريخ، ص٦٨، ٦٩، السيد، أرمينيا في التاريخ العربي، ص٢٤.

يمكن عدَ أرمينيا بلاد الأنهار، ففيها أعظم نهرين في منطقة آسيا الصغرى والوسطى هما نهري دجلة والفرات، حيث ينبع الأول من جبال طوروس عند جنوب بحيرة فان ويبلغ طوله ٢٠٠٠كم، ويصب في شط العرب، أما نهر الفرات فيتألف من اتحاد نهرين هما قره سو و مراد سو، وكلاهما ينحدران من شمال مدينة أرضروم، ويبلغ طوله ٢٨٠٠كم، ويصب كذلك في شط العرب. بالإضافة إلى نهر آراكس[1] أو الرس الذي ينبع من جبال بنغول داغ شرقي مدينة أرضروم، و يرفده نهر الكور ليصبا معا في بحر قزوين[2].

تمتلك أرمينيا عدة بحيرات هامة أشهرها بحيرة فان أو وان، ويسميها العرب المسلمون بحيرة أرجيش، وكذلك بحيرة سيفان أو سيوان، وبحيرة أرمية[3] التي تقع ضمن إقليم أذربيجان الذي عدَ في معظم فترات التاريخ داخلاً ضمن حدود إقليم أرمينيا. محاصيلها الزراعية عديدة أهمها القمح والشعير وأشجار الكروم وقصب السكر، كما تحظى بثروة معدنية من الأحجار الكريمة ومناجم الذهب والفضة والحديد والنحاس وغير ذلك، أما مناخها فهو قاري حار جداً صيفاً وشديد البرودة شتاءً[4].

---

[1] نهر أراكس: هو النهر التاريخي الذي سمي في العهد القديم "كيهون "، وهو النهر الأم في أرمينيا، وقد بني عليه عدة جسور، منها جسر تشوغا الذي بناه الإسكندر المقدوني. انظر غيفونت، تاريخ الراهب غيفونت، ص٦٠.

[2] ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٠٠، ٣٠١، الشنتناوي (أحمد)، خور شيد (زكي)، يونس(عبد الحميد)، دائرة المعارف الإسلامية، مطبعة الشعب، القاهرة ، ط ٢، ١٩٦٩م، المجلد الأول، ص ٦٣٩.

[3] بحيرة أرمية: أو بحيرة كبوذان، وهوا سم مشتق من اللغة الأرمنية ومعناه (البحيرة الزرقاء)، وهذه البحيرة مالحة جداً. انظر لسترانج، بلدان الخلافة الشرقية، ص١٩٤ .

[4] ابن حوقل، صورة الأرض، ص٢٩٠-٣٠٠، اسكندر (فايز نجيب)، الحياة الاقتصادية في أرمينيا أبان الفتح الإسلامي، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ط١،١٩٨٣م، ص٣١.

٢- مملكة أرمينيا الصغرى :

كانت أرمينيا الكبرى في الفترة الممتدة (٣٥٨- ٤٥٥ هـ/ ٩٦٨-١٠٦٣م) تابعة لسلطة الخلافة العباسية، لكن بيزنطة كانت تترقب فترات الضعف الذي كانت تمر بها الدولة العباسية، لتعمل على ضم مناطق في أرمينيا الكبرى بالطرق الدبلوماسية والسياسية، من خلال إقناع بعض الأمراء الأرمن بالتنازل عن إماراتهم لصالح بيزنطة، مقابل التعهد بمنحهم بديلاً عنها خارج أرمينيا الكبرى[١]، ولاقت هذه السياسة نجاحاً وتمكنت من ضم عددٍ كبيرٍ من المناطق الأرمنية، فترك الأرمن موطنهم، وتوجهوا مع أمرائهم إلى المناطق الجديدة في آسيا الصغرى، وخاصة في إقليم كبادوكيا[٢]؛ تلك كانت الهجرة الأولى للأرمن من موطنهم الأم أرمينيا سنة ٣٩١هـ/١٠٠١م، ومن بقي فيها من الأرمن تعرض لضغط شديد من البيزنطيين الذين حاولوا فرض معتقدهم المتمثل بمذهب الطبيعتين على معتقد الأرمن المونوفيزيتي[٣].

---

٢ عبد الغني(عبد الرحمن محمد)، أرمينيا وعلاقاتها السياسية بكل من البيزنطيين والمسلمين(٣٣-٤٥٧هـ/٦٥٣-١٠٦٤م)، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت،ط١، ١٩٨٩م، ص١٩٥.

[٢] كبادوكيا: ويطلق عليها قبادوقيا، إقليم كان ضمن لواء الأناضول في الجهة الغربية من آسيا الصغرى، وفي قسمه الجنوبي ملاصقاً للحدود عند مخرج بوابات كيليكيا. انظر دياب (صابر محمد)، المسلمون وجهادهم ضد الروم في أرمينيا والثغور الجزرية والشامية خلال القرن الرابع الهجري، مكتبة السلام العالمية، القاهرة، ط١، ١٩٨٤م، ص١٧.

[٣] المونوفيزيتية: أو مذهب الطبيعة الواحدة، عقيدة مسيحية تقول بأن للمسيح طبيعة واحدة إلهية، وأن طبيعته البشرية امتزجت بهذه الطبيعة، فانفصلت الكنيسة الأرمنية عن الكنائس الأخرى التي تقول بمذهب الطبيعتين، أو المذهب الملكاني مذهب الامبراطورية البيزنطية ، ومن أتباع المونوفيزيتية أقباط مصر وكنيسة الاسكندرية واليعاقبة، وقد انتشر هذا المذهب في مناطق كثيرة من بيزنطة، فحاربتهم الامبراطورية البيزنطية بقساوة. انظر عطيه(عزيز سوريال)، تاريخ المسيحية الشرقية، تر: اسحاق عبيد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م، ص٨٧، ٨٨، المدور، الأرمن عبر التاريخ، ص٢٨٢.

بدورها فإنَ الخلافة العباسية لم تقف مكتوفة اليد، وقامت بالرد على البيزنطيين عن طريق السلاجقة[1] الذين اعترفت بشرعيتهم سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م[2]، وقامت بتحريضهم للهجوم على المدن الأرمنية الواحدة تلو الأخرى، حتى تمكنوا سنة ٤٥٦هـ /١٠٦٣م من السيطرة على عاصمتهم آني[3].

في تلك الأثناء بدأت الهجرة الأرمنية الثانية التي تزامنت مع السنوات التي تلت معركة مناذكرد عام ٤٦٣هـ/١٠٧٠م[4]، والتي انتصر فيها السلاجقة بقيادة زعيمهم ألب أرسلان[5]على جيوش الإمبراطورية البيزنطية، ويبدو أنَ هذا التزامن جاء بعد أن فقد الأرمن أملهم بأن يكونوا كياناً سياسياً مستقلاً في وطنهم الأم أرمينيا الكبرى، فكانت وجهة الأرمن في هذه المرة إلى إقليم كيليكيا الذي أسسوا فيه مملكتهم الجديدة التي أطلق عليها اسم أرمينيا الصغرى والتي ستكون موضوع البحث .

---

[1] السلاجقة: مجموعة من القبائل الترك عرفت باسم الغز، وينتسبون إلى زعيمهم سلجوق بن دقاق، وكانوا يقطنون الربع الشمالي المعمور ما بين الصين إلى تركستان، وقد زحف هؤلاء من موطنهم الأصلي إلى بلد ما وراء النهر، واستطاعوا أن يحققوا انتصاراً هاماً على والي خراسان الغزنوي، واستمر زعيمهم طغرلبك يحقق النصر تلو الأخر حتى دخل بغداد سنة ٤٤٧هـ /١٠٥٥م. انظر أبو النصر(محمد عبد العظيم)، السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، عين للدراسات، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠١م، ص٥٢.

[2] طقوش (محمد سهيل)، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، دار النفائس، بيروت، ط٣، ٢٠٠٩م، ص ٨٨ .

[3] آني : قلعة حصينة ومدينة بين خلاط وكنجة ، بناها الملك أشوط الأول عام ٢٧٢هـ/٨٨٥م، وأضحت عاصمة أرمينيا في عهد المملكة البقرادونية. انظر اسكندر (فايز نجيب)، استيلاء السلاجقة على عاصمة أرمينيا آني، دار الفكر، الإسكندرية، د.ط، ١٩٧٨م، ص٨، رنسيمان (ستيف)، تاريخ الحروب الصليبية، تر: السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٨١م، ج١، ص٢٠٦، عريش، أرمينيا أرض وشعب، ص١٦.

[4] مناذكرد: وتعرف أيضاً مناذجرد، منزكرت، ملاسكرد، بلد مشهور بين خلاط وبلاد الروم، أهله أرمن وروم، وفيها قامت معركة فاصلة بين الروم والمسلمين. انظر لسترانج، بلدان الخلافة الشرقية، ص١٤٨.

[5] ألب أرسلان : (٤٥٦ – ٤٦٤هـ /١٠٦٣–١٠٧٢ م) هو ثاني سلاطين السلاجقة العظام الذين سعوا لتقوية الدولة السلجوقية ، وهو الذي استطاع التوسع في أسيا الصغرى على حساب بيزنطة ووضع حداً لنفوذها بعد نجاحه في معركة مناذكرد . انظر أبو النصر، السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، ص٧٦، ٨٥.

يقع إقليم كيليكيا في جنوب شرق آسيا الصغرى، ويحيط به من الشرق جبال الأمانوس ومن الشمال والغرب جبال طوروس، أما من الجنوب فيحده البحر المتوسط، وتبلغ مساحته حوالي ٤٠٠٠٠كم٢ بطول ٤٠٠كم من الشرق إلى الغرب، وبعرض ١٠٠كم من الشمال إلى الجنوب[١]، وهو عبارة عن عدد من المدن تتوضع على حدود الدولة العربية الإسلامية مع الإمبراطورية البيزنطية، لذلك أطلق الجغرافيون المسلمون عليه اسم الدروب، أو الثغور الإسلامية، حيث كانت هذه المدن تقوم بدور الدفاع، و الذود عن الدولة العربية الإسلامية من جهة الإمبراطورية البيزنطية[٢]، ومن أهم مدن هذا الإقليم :

سيس : بلدة في آسيا الصغرى تعرف باسم سيسه، وفي القرون الوسطى أطلق عليها اسم سيس. ذكرها البلاذري في كتابه " فتوح البلدان " وقال "حلَا أهل سيسه مدينة تلي عين زربة"[٣]، وجرت عمارة سيس عدة مرات بعد أن خربها الروم، وقد جرى ذكر لسيس بوصفها مقر لملوك كيليكيا من الأرمن، وخاصة الملك ليون الثاني (٥٨٣-٦١٦هـ/١١٨٦ /١٢١٩م) الذي نقل مقر الملك من بلدة عين زربة (أنازربة) إلى سيس لأسباب سياسية وحربية[٤]. ومنذ ذلك الوقت أصبح المؤرخون المسلمون يطلقون على مملكة كيليكيا الأرمنية اسم بلاد سيس وعلى ملوك الأرمن اسم متملك سيس[٥].

---

[١] المدور ، الأرمن عبر التاريخ ، ص٢٢٣ .

[٢] الحموي ، معجم البلدان ، ج٤، ص٧٩.

[٣] ابن العديم (كمال الدين ابن أبي جرادة)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تح: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ط، ص٢٢٥.

[٤] مجموعة مؤلفين ، دائرة المعارف الإسلامية ، ص٤٦٨ .

[٥] يقال له صاحب سيس أو متملك سيس، لأنها كانت بلاد بيد المسلمين ثم وثب عليها رئيس الأرمن، فملكها من أيدي المسلمين، انظر القلقشندي (أبو العباس أحمد)، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٢٢م، ج٨ ، ص٢٩. كذلك من ألقاب ملوك الأرمن الذين حكموا في كيليكيا، لقب التكفور=

طرسوس:

مدينة مشهورة تقع بين أنطاكية و أذنة، تقول إحدى الروايات أنَ طرسوس بن الروم بن سام بن نوح عليه السلام قام ببنائها، وأصبحت موطن العباد والزهاد والصالحين[1]، وقد استولى عليها الروم زمن حكم الخلفاء الأمويين في دمشق، ثم استرجعها الخليفة العباسي المأمون، وأشرف على تحصيناتها حتى وفاته فدفن فيها [2].

حرص الخلفاء المسلمون على تولية أمرها لأشجع قوادهم لأنَ الحروب فيها مستمرة بين أهلها والروم، وهذا دليل على أهميتها في حماية أراضي المسلمين، ويؤكد ذلك التجهيزات التي خص بها العرب المسلمون تلك المدينة، حيث اشتملت على كثير من الخيل والرجال والعتاد أكثر من أي ثغر آخر[3].

المصيصة:

ذكرها الحموي" بأنها مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام، بين أنطاكية وبلاد الروم، تقارب طرسوس، وهي الآن بيد ابن ليون وولده بعده منذ أعوام كثيرة"[4]، أطلق عليها الروم اسم مامستر أي المصيصة، وهي مكونة من مدينتين إحداهما تسمى المصيصة والأخرى تسمى كفربيا على جانبي نهر جيحان بينهما قنطرة حجرية[5]. تأتي أهمية هذه المدينة والثغور بشكل عام من موقعها

=ومعناه المتوج ويطلق أحياناً على ملوك الدولة البيزنطية. انظر البقلي(محمد قنديل)، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٨٣، ص٨٠.

[1] القزويني (زكريا بن محمد)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٠م، ص١٣٦.

[2] المسعودي (أبو الحسن علي)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط٥ ، ١٩٨٨م، ج٢، ص٤٥.

[3] ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٨٣، الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٣٠، القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٣٦.

[4] الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١٥٤.

[5] الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار ، ص٥٥٤، ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ص١٥٣.

الاستراتيجي، فهي تتحكم بالطريق بين آسيا الصغرى وبلاد الشام، وتطل على البحر المتوسط من الجنوب[١].

إياس :

ذكرها ابن العديم بأنها"مدينة على شاطئ بحر الروم من الثغور الشامية هي الآن بيد الأرمن "[٢]، أصبح لهذه المدينة بعد قيام مملكة أرمينيا الصغرى في كيليكيا، وظهور إيلخانة فارس أهمية كبيرة، وذلك من خلال مينائها الذي بات ملتقى التجار الأوروبيين للحصول على منتجات الشرق[٣].

ومما زاد في أهمية ميناء إياس التسهيلات، والامتيازات التي منحها ملوك أرمينيا الصغرى للتجار الأوربيين، والدور الذي شغله الميناء في الحصار الاقتصادي الذي فرضته البابوية على دولة المماليك البحرية، خاصةً بعد سقوط إمارة أنطاكية الصليبية على يد الظاهر بيبرس سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٨م[٤].

عانت بيزنطة منذ سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م ضعفاً سياسياً ترجع جذوره إلى سنة ٤١٦هـ/١٠٢٥م[٥]، مما هيأ فرصة ملائمة للسلاجقة للسيطرة على معظم ممتلكاتها في أرمينيا الجديدة، لذا فقد

---

[١] القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٣٧٩.

[٢] ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ص٢٢٢.

[٣] الغامدي(عبد الله بن سعيد)، سياسة سلاطين دولة المماليك البحرية إزاء ميناء إياس الأرمني، مجلة جامعة الإمام، العدد٣٩، رجب، ١٤٢٣هـ، ص٧٩٢.

[٤] عاشور(سعيد عبد الفتاح)، الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٩، ٢٠١٠م، ج٢، ص٤٠٣.

[٥] بعد وفاة الإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني سنة ٤١٦هـ/١٠٢٥م، حكم بيزنطة أباطرة ضعاف، وساءت أوضاع البلاد الداخلية وفرضت الضرائب على الأهالي، ثم ازداد الوضع سوءاً بخسارتها أرمينيا الكبرى، بالإضافة إلى خسارتهم في معركة مناذكرد. انظر العريني (الباز)، الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٩٦٥م، ص٨٢٣، كذلك انظر

VASILEV, A.A., History of the Byzantine Empire, 324-1453, vol.2, university Wisconsin press, Madison, Wisconsin, 2006, p.213, 215.

عهدت إلى أحد موظفيها يدعى فيلاريتوس بمسؤولية الدفاع عن ممتلكاتها في كيليكيا. غير أن طموحه دفعه إلى أن يعلن استقلاله عن بيزنطة في السنة نفسها التي كلف بالمهمة المشار إليها، مستغلاً ما كانت تعانيه من متاعب سياسية، وأسس إمارة أرمنية شملت معظم إقليم كيليكيا[١].

للمحافظة على إمارته لجأ فيلاريتوس إلى استرضاء القوى السياسية البيزنطية والإسلامية المحيطة به، فقد تحول عن مذهبه المونوفيزيتي لصالح مذهب بيزنطة الأرثوذكسي، ولم يتردد في إعلان ولائه للسلاجقة، فأثارت سياسته هذه سخط الأرمن عليه وثاروا ضده، حتى تعرضت إمارته للتفتت والإنقسام بعد وفاته[٢].

ما لبث أن ظهر عائلتان من الأرمن ظلتا تتنافسان حول الاستئثار بالسلطة، والنفوذ في كيليكيا، هما أسرة آل هيثوم وآل روبين، حيث تمكن كل منهما من تأسيس إمارة مستقلة في هذا الإقليم سنة ٤٧٤هـ/١٠٨٢م، فقد سيطر أوشين بن هيثوم على الجبال الواقعة إلى غرب كيليكيا، متخذاً من قلعة لامبرون[٣] المطلة على جبال طوروس، وسهل كيليكيا مركزاً له، مما جعله أكثر ارتباطاً مع جيرانه البيزنطيين، بينما سيطر الأمير روبين على الجبال الواقعة إلى الشمال الشرقي من

---

[١] ابن العبري(غريغوريوس أبو الفرج الملطي)، تاريخ الزمان، تر: اسحق أرملة، دار المشرق، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م، ص١١٧، عاشور(سعيد عبد الفتاح)، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، سلطنة المماليك ومملكة أرمينيا الصغرى، جامعة بيروت، ط١، ١٩٧٧م، ص٢٣٠، كذلك انظر

SETTON, K.M., LEE WOLFF, R., HAZARD, W.H. (éd.), *A History of the Crusades*, vol. 1, *The Later Crusades (1189-1311)*, University of Wisconsin Press, Madison, 1969, p.38.

[٢] عاشور، سلطنة المماليك ومملكة أرمينيا الصغرى، ص٢٣١، عربش، أرمينيا أرض وشعب، ص ٨٠ .

[٣] لامبرون أو النمرون: إحدى القلاع الحصينة غربي كيليكيا، وهي معقل الأسرة الهيتومية الأرمنية. انظر عاشور، سلطنة المماليك ومملكة أرمينيا الصغرى،٢٣١.

سيس، متخذاً من قلعة بارتزبرت[1] مركزاً له، مما جعله أكثر ارتباطاً بالقوى التي ظهرت فيما بعد في بلاد الشام[2].

لم يكد يقترب القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي من نهايته حتى كان أمراء كيليكيا من الأرمن قد أظهروا مهارة في الاحتفاظ بكيانهم وسط العواصف المتضاربة التي أحاطت بهم، وقد دفع ذلك أحد خلفاء الأمير روبين وهو الأمير ليون الثاني (٥٨٣-٦١٦هـ/١١٨٦-١٢١٩م) إلى التطلع إلى التاج ليكون ملكاً متوجاً يتمتع بما للملوك من مكانه وهيبة. وجد ليون الثاني بالغرب الأوروبي ضالته وخاصة الامبراطور الألماني هنري السادس أقوى سلطة حاكمة في أوروبا الغربية، حتى لا يبدو ليون الثاني في صورة أقل مكانة من الأمراء الصليبيين في الشرق من ناحية، وحتى يتجنب أطماع أباطرة القسطنطينية من ناحية أخرى[3].

كما كان لجهود ليون الثاني في مساعدة الحملة الصليبية الثالثة، عندما شاركت قواته في حصار عكا، وساعد ريتشارد ملك انجلترا في غزو جزيرة قبرص، كفيلة في إعلاء مكانة الأمير ليون الثاني وإظهار إخلاصه وتجاوبه مع أهداف المسيحية، فأرسل سفارة إلى كل من البابا كالستين الثالث (٥٨٧-٥٩٥هـ/١١٩١-١١٩٨م) والامبراطور هنري السادس سنة ٥٩٤هـ/١١٩٧م.، وقد نجح السفراء في مهمتهم في الغرب، وأرسل الامبراطور هنري السادس سنة ٤٩٤هـ/١١٩٧م كبير أمنائه واسمه كونراد إلى الشرق ومعه تاجان أحدهما لصاحب قبرص والآخر للأمير ليون الثاني[4].

---

[1] تسمى بأسماء عديدة منها بارتزبرت ، كرموزول، خرتبرت، ويطلق عليه العرب المسلمون حصن زياد، وهو بأرض أرمينيا بين آمد وملطية. انظر الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٦٤.

[2] استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، مطبعة الإتحاد، الموصل، ط١، ١٩٥١م، ص٢٠٥، ٢٠٧.

[3] SETTON, A History of the Crusades, vol. II, p.649 .

[4] عاشور، سلطنة المماليك ومملكة أرمينيا الصغرى، ص٢٣٧.

توج الأمير ليون الثاني ملكاً على أرمينيا الصغرى سنة ٤٩٥هـ/١١٩٨م في حفل كبير في كنيسة طرسوس، بحضور بطريرك اليعاقبة ورئيس الأساقفة الأرثوذكس، فضلاً عن عدد كبير من القادة العسكريين والأمراء، وقد بارك هذا الحفل رئيس الكنيسة الأرمنية جريجوري السادس، في حين أضفى عليه المندوب الامبراطوري شعار الملكية وسط فرح الأرمن، الذين وجدوا في هذا التتويج إحياء لمملكتهم القديمة في أرمينيا الكبرى واتخذوا من مدينة سيس عاصمة لهم[١].

---

[١] طقوش (محمد سهيل)، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧م، ص١٣٠، كذلك انظر

STEWART, A.D., The Armenia Kingdom and the Mamluks war and diplomacy during the reigns of Het'um II (1289-1307), Brill, Leiden-Boston-Koln, 2001, p.34.

٣- قيام دولة المماليك البحرية في مصر وبلاد الشام :

بعد زوال الخلافة الفاطمية في مصر على يد صلاح الدين سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م[١]، أقام صلاح الدين ملكاً له في مصر امتد إلى بلاد الشام سنة ٥٧٠هـ / ١١٧٥م، وما إن توفي سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م، حتى بدأت النزاعات والحروب بين أفراد البيت الأيوبي من أجل الاستيلاء على الإرث الذي تركه صلاح الدين، حتى وصل الأمر أن استعان بعض السلاطين الأيوبيين بالفرنجة ضد بعضهم البعض، وكمثال على ذلك استعانة الملك الصالح إسماعيل صاحب دمشق بالفرنجة ضد الملك الصالح نجم الدين أيوب[٢]، الذي تولى الحكم في الديار المصرية سنة (٦٣٦- ٦٤٧هـ /١٢٣٨-١٢٤٩م)، ولكن مع ذلك تمكن الصالح نجم الدين أيوب من التغلب على التحالف الفرنجي الشامي، وبالتالي السيطرة على مناطق في بلاد الشام وإعادة الوحدة بينها وبين مصر[٣].

[١] أبو شامة (شهاب الدين بن إسماعيل المقدسي)، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تح: محمد حلمي أحمد، محمد مصطفى زيادة، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٩٨م، ج١، ق٢، ص٤٩٢، ابن شداد (بهاء الدين)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية سيرة صلاح الدين، تح: جمال الدين الشيال، مطبعة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٤م، ص٣١، توراو (بيتر)، الظاهر بيبرس، تر: محمد جديد، مر: أحمد حطيط، قدمس للنشر والتوزيع، دمشق، ط٢، ٢٠٠٢م، ص٤٢.

[٢] الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد: ولد بالقاهرة سنة ٦٠٣هـ/١٢٠٦م، تولى حكم مصر سنة٦٣٦هـ/١٢٣٨م بفضل المماليك الكاملية، توفي سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م. انظر بيبرس المنصوري (ركن الدين بيبرس بن عبد الله)، مختار الأخبار، تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة ٧٠٢هـ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ١٩٩٣م، ص٨، القرماني(أحمد بن يوسف)، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تح: أحمد حطيط ، فهمي سعد، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٩٢م، ج٢، ص٢٦١.

[٣] المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد مصطفى زيادة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٣٦م،ج١، ق١، ص٣٠٣، المولى(سالم يونس محمد)، دور المماليك في إنهاء الحكم الأيوبي في مصر، مجلة أبحاث كلية التربية الإسلامية، الموصل، العراق، المجلد ٩، العدد٣، ٢٠٠٩م، ص٤١٤.

أدت الحروب والخلافات بين الأيوبيين، وتوالي الحملات الصليبية إلى استعانة بعض السلاطين الأيوبيين أثناء حكمهم لمصر وبلاد الشام بالمماليك، الذين جلبوا من بلاد القبجاق، والقوقاز وبلاد ما وراء النهر عن طريق الشراء وأسرى الحروب، أو من خلال الهدايا التي كان يقدمها ولاة إقليم بلاد ما وراء النهر على شكل رقيق للخليفة العربي الإسلامي[1].

ظهر المماليك ولاسيما الأتراك منهم في العالم الإسلامي بشكل واضح منذ عهد الخليفة العباسي المعتصم بالله(٢١٨-٢٢٧هـ/٨١٣-٨٤٢م)، الذي عمل على استقدام أعداد كبيرة منهم للاعتماد عليهم بديلاً للعنصر الفارسي، ووصل بعضهم إلى مناصب إدارية كأمير الأمراء أو الوزراء، ووليَ بعضهم على بعض أقاليم الدولة العباسية كأحمد بن طولون، الذي أصبح والياً على مصر، وأسس فيما بعد الإمارة الطولونية في مصر(٢٥٤- ٢٩٢هـ/٨٦٨-٩٠٤م)[2]، فكان ممن اقتنى المماليك وسار على نهجه الحكام والأمراء وصولاً إلى السلاطين الأيوبيين، الذين تسابقوا في شراء المماليك من جنسيات متعددة (الأتراك، الشراكسة، الأكراد والصقالبة وغيرهم)، وكان أكثرهم استجلاباً للمماليك الأتراك الصالح نجم الدين أيوب، حيث أنَ تجاربه مع الجنود المرتزقة من الخوارزمية، والأكراد علمته أنَ الاعتماد عليهم أمر غير مأمون العاقبة[3]، ولكي يتجنب أي

---

[1] العبادي(أحمد مختار)، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م، ص١٠، طقوش ، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام ، ص١٦.

[2] ابن الأثير (أبو الحسن علي بن محمد الشيباني)، الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ج٥، ص ٣٣٩ .

[3] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٢، ص ٢٧٠، العريني(الباز)، المماليك، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٩٦٧م، ص٥٥، قاسم(قاسم عبده)، عصر سلاطين المماليك، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٤م، ص٧.

احتكاك بين مماليكه، وأهالي القاهرة، أسكنهم في جزيرة الروضة، وشيد لهم قلعة ليسكنوها، فأطلق عليهم اسم المماليك البحرية[١].

بدأ فعلياً ظهور المماليك على مسرح الأحداث في سنة ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م، عندما وصلت إلى الموانئ المصرية حملة فرنجية سابعة بقيادة الملك لويس التاسع ملك فرنسا قادمة من أوروبا[٢]، وفي تلك الأثناء كان سلطان مصر الصالح نجم الدين أيوب في بلاد الشام يعاني من المرض، فلما وصل الخبر إلى مسامعه، سارع إلى مصر من أجل أخذ الاحتياطات اللازمة لمواجهة الفرنجة، فاتخذ من المنصورة[٣] مركزاً لعملياته العسكرية، وقام بشحن دمياط بالمقاتلين، والمعدات، والأسلحة، والمؤن، ولكن ما إن وصل الفرنجة إليها، حتى ولًى المقاتلون منها هاربين، ولحق بهم سكانها إلى معسكر المسلمين في المنصورة تاركين دمياط خلفهم ليستولي عليها الفرنجة بسهولة فائقة[٤]. في الوقت الذي شرع فيه لويس التاسع، وقواته بالزحف إلى المنصورة، توفي الصالح أيوب سنة ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م[٥]، فسارعت أرملته شجر الدًر التي قدرت خطورة الموقف إلى إخفاء

---

[١] عاشور(سعيد عبد الفتاح)، العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، ط٢، ١٩٧٦م، ص٥، توراو، الظاهر بيبرس، ص٤٠.

[٢] جوانفيل (جان سيردي)، القديس لويس، حياته وحملاته على مصر والشام، تر: حسن حبشي، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٦٨م، ص٩١، توراو، الظاهر بيبرس، ص٤٦.

[٣] المنصورة: مدينة بين دمياط والقاهرة، بناها الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب سنة ٦٢٠هـ/١٢٢٣م عندما استولى الفرنجة على ثغر دمياط، ولما انتصر عليهم سماها المنصورة، انظر ابن إياس (محمد بن أحمد الحنفي)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تح: محمد مصطفى زيادة، مكتبة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط١، ١٩٧٥م، ج١، ق١، ص٢٤.

[٤] ابن واصل(حمال الدين محمد)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تح: عمر عبد السلام التدمري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م، ج٦، ص٧٤، ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تح: محمد حسن شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط ، ١٩٩٢م، ج٦، ص٢٣٠، العبادي، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ١٠٤.

[٥] ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج٦، ص٨١، زيادة (محمد مصطفى)، حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته في المنصورة، مجلة العربي، وزارة الإعلام، الكويت، العدد٤٥، ١٩٦٢م، ص٤٩.

خبر موت زوجها، وأرسلت تستدعي ابنه توران شاه[1] من حصن كيفا[2]، واستمرت المناشير تخرج عليها علامة السلطان، والأدوية والطعام تدخل غرفته كما لو كان حياً[3].

ما إن وصل خبر موت الملك الصالح إلى لويس التاسع، حتى سارع إلى توجيه ضربة للمسلمين قبل أن يستكملوا استعداداتهم، ويستفيقوا من الصدمة، فعبر قسم من جيشه بقيادة أخيه الكونت روبرت إلى المنصورة التي وجدوها خالية من المقاومة[4]، حتى وصلوا إلى باب القصر السلطاني " إلا أن الله تدارك بلطفه، وأخرج إلى الفرنج الطائفة التركية، التي تعرف بالبحرية و الجمدارية، وفيهم ركن الدين بيبرس البندقداري، فحملوا على الفرنج حملة زعزعوهم بها، وأزاحوهم عن باب القصر"[5]، وقتلوا أعداداً كبيرة منهم بفضل الخطة الحربية المحكمة التي وضعها الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري[6].

وفي خضم الصراع ضد الفرنجة تسلم توران شاه السلطنة في مصر(٦٤٧-٦٤٨هـ/ ١٢٤٩-١٢٥٠م)، وأظهر قدرة وكفاية عالية في حرب الفرنجة، عندما أنزل بهم هزيمة كبرى في

---

[1] الملك المعظم توران شاه بن الملك الصالح نجم الدين أيوب، تسلم الحكم بعد وفاة والده سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م، وكانت نهايته القتل على يد أمراء أبيه في السنة نفسها. انظر بيبرس المنصوري، مختار الأخبار، ص٨، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٦، ص ٣٦٤.

[2] حصن كيفا : بلدة وقلعة كبيرة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر. انظر الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٥٦٥.

[3] ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج٦، ص١٠٢، عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، ص٨.

[4] جوانفيل، القديس لويس، حياته وحملاته على مصر والشام، ص١١٤، ١١٥.

[5] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٢، ص٣٥٠.

[6] أكمن بيبرس فئة كبيرة من الجنود والفرسان في كمائن متعددة حول المنصورة، وأمرها بأن تظل في كمائنها حتى تصدر الإشارة إليها بالحركة، والتقدم إلى القصر السلطاني، وتطبق على الفرنجة. انظر زيادة، حملة لويس على مصر وهزيمته في المنصورة، ص٥٠.

فارسكور [1]، ووقع الجيش الفرنجي بالجملة بين أسرى وقتلى، وكان من جملة الأسرى لويس التاسع نفسه الذي سيق مكبلاً بالأغلال إلى المنصورة[2].

لكن الأمر لم يستقر لتوران شاه الذي اصطدم بطموح شجر الدر زوجة أبيه من جهة، وبقوة فرسان المماليك البحرية من جهة أخرى، وانتهى هذا الصدام بالاتفاق بين شجر الدر وأمراء المماليك من أجل القضاء عليه، وتم ذلك على يد فرسان المماليك لينتهي بموته حكم الدولة الأيوبية في مصر سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م[3] .

بعد مقتل توران شاه أضحى المماليك أصحاب الكلمة الفضلى في مصر، وأصبح عرش مصر شاغراً، فتم الاتفاق فيما بينهم على اختيار شجر الدَر، أرملة الملك الصالح نحم الدين أيوب لتولي السلطنة، وفي أثناء حكمها٦٤٨هـ /١٢٥٠م واجهت صعوبات عديدة، ومعارضات حادة لاعتلائها العرش، كونها أول امرأة تعتلي عرش المسلمين، بالإضافة إلى وقوف الأمراء، والملوك الأيوبيين في بلاد الشام موقف العداء منها، وعدوا أنفسهم أصحاب الحق الشرعي في حكم مصر وبلاد الشام، باعتبارهم من سلالة صلاح الدين، فتجهز الملك الناصر يوسف صاحب حلب،

---

[1] فارسكور :هي قرية من قرى مصر على شاطئ النيل على الضفة الغربية وهي قريبة من دمياط. انظر الحموي، معجم البلدان،ج٤، ص٢٥٨.

[2] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٧، ص٣٦٢، ٣٦٤، حسين (حمدي عبد المنعم محمد)، دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠ م، ص١٣٩، زيادة، حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته في المنصورة، ص١٤٥ .

[3] أغلب المؤرخين المعاصرين للمماليك ركزوا على إبراز صفات توران شاه السلبية، وذلك رغبة منهم في إظهار المماليك بمظهر الوقار والرزانة أولاً، وليسوغوا قتل المماليك له واستيلائهم على السلطة ثانياً، ولكسب ود الناس وإسباغ الشرعية على عملهم في تنحيته عن السلطة ثالثاً. انظر أحمد (كرفان محمد)، السلطان توران شاه الأيوبي (٦٤٧– ٦٤٨هـ /١٢٤٩– ١٢٥٠م)، مجلة التربية والعلم، جامعة دهوك، العراق، المجلد ١٣، العدد ٣، ٢٠٠٦م، ص٨٩ ، أما تفاصيل مقتله فيروي المقريزي أن المعظم توران شاه مات " جريحاً، حريقاً، غريقاً"، انظر المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٢، ص٣٦٠.

وزحف بجيوشه إلى دمشق ودخلها دون قتال، وبذلك أصبحت مصر بيد المماليك، وبلاد الشام بقيت تحت سيطرة الأيوبيين[١].

لإنقاذ الموقف طلبت شجر الدَّر من الخليفة العباسي المستعصم بالله تأييد سلطنتها، ولكن خاب أملها عندما عاب الخليفة على المسلمين في مصر تنصيب امرأة في الحكم، وقال: "إن كانت الرجال قد عدمت عندكم فأخبروني حتى نسيِّر إليكم رجلاً "[٢]، ونتيجة لموقف الخليفة السلبي من سلطنة شجر الدَّر، فقد خلعت نفسها عن العرش بعد حكم دام حوالي ثلاثة أشهر، وتزوجت الأمير عز الدين أيبك[٣] باعتباره آنذاك أضعف فرسان المماليك، لكي تظل السلطة بيدها، وتحكم البلاد من خلاله، وباعتلاء الأمير عز الدين أيبك عرش السلطنة بدأت دولة المماليك البحرية[٤]. يتضح ممَا سبق أنَ اختيار السلطان عز الدين أيبك وتنصيبه على العرش، يمثل حدثاً شكلياً ليس غير، ثم أنُ الأحداث بعد تولية السلطان المعز أيبك العرش تكشف بوضوح أيضاً أنَ اختياره كان حلاً فرضه حرج الموقف السياسي، أكثر ممَا كان حلاً يدخل في حسبانه قوة أيبك الفعلية. وبينما كان المماليك يتخبطون بالنزاعات والمشاكل، كان جيش المغول يتقدم من أواسط آسيا، يكتسح البلدان والأقاليم وصولاً إلى الخلافة الإسلامية في بغداد كما سنرى لاحقاً.

---

[١] ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج٦، ص١٣٧، طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص٤١، ٤٢،

[٢] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك ،ج١، ق٢، ص٣٦٨، ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج١، ق١، ص٢٨٧.

[٣] الأمير عز الدين أيبك: اشتراه الصالح نجم الدين أيوب في حياة أبيه الملك الكامل، وتنقلت الأحوال به إلى أن جعله جاشنكير، واستمر كذلك حتى توفي الصالح، فولاه الأمراء المماليك السلطنة بعد رفض المسلمين لحكم شجر الدر، وقد كانت نهايته القتل على يد شجر الدر سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م. انظر المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٢، ص٣٦٨، بيبرس المنصوري، مختار الأخبار، ص٩.

[٤] ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج٦، ص١٤٠، توراو، الظاهر بيبرس، ص ٥٨، عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، ص٢٥.

الفصل الثاني :

العلاقات المملوكية الأرمنية بين عامي(٦٥٨هـ-٦٨٩هـ/١٢٦٠-١٢٩٠م)

١. أسباب الخلاف المملوكي الأرمني :

أ- سياسة الأرمن الودية تجاه المغول.

ب- الحصار الاقتصادي على دولة المماليك البحرية .

٢. حملات الظاهر بيبرس على مملكة أرمينيا الصغرى.

٣. الظاهر بيبرس وفتح أنطاكية.

٤. علاقة المنصور قلاوون مع مملكة أرمينيا الصغرى.

١- أسباب الخلاف المملوكي الأرمني :

عانت مملكة أرمينيا الصغرى من أوضاع مضطربة خلال حكم الملك هيثوم الأول (٦٢٣-٦٦٩هـ/١٢٢٦-١٢٧٠م) نتيجة انحسار الدعم الغربي للحركة الصليبية في المشرق من جهة، ولضربات المسلمين لها من جهة أخرى، وهذا ما دفع هيثوم الأول إلى التحالف مع القوة الجديدة التي ظهرت على مسرح الأحداث المتمثلة بالمغول، لمواجهة السياسة القوية التي رسمتها لنفسها دولة المماليك البحرية، والتي استهدفت الجهاد ضد الصليبيين والمغول معاً، فمن هم المغول؟ ومن أين جاؤوا؟

أ- سياسة الأرمن الودية تجاه المغول :

المغول أمة تكونت من قبائل بدوية[1]نشأت في هضبة منغوليا[2]، وكانت قبيلة قيات[3] أهم هذه القبائل المغولية خاصة في عهد زعيمها "يسوكاي بهادر" "والد جنكيز خان" الذي استطاع بجهوده

---

[1] أهم القبائل المغولية: قيات، أويرات، النايمان، الكرايبت، المركيبت، التتار، وكانت التتار طائفة كبيرة تتكون من قبائل كثيرة، وقبيل ظهور جنكيز خان تمكن التتار من إخضاع أغلب هؤلاء القبائل، وكانوا يتمتعون بشهرةٍ كبيرة نتيجة قوتهم وجبروتهم بحيث أن هذه القبائل على اختلاف مراتبها وطبقاتها وأهميتها كانوا يتسمَون بالتتار فأطلق على الجميع التتار، لكن المغول هم الأصل والتتار فرع منهم. انظر الهمذاني(رشيد فضل الله)، جامع التواريخ، تر: فؤاد عبد المعطي الصياد ويحيى الخشاب، دار النهضة العربية، بيروت، ط٢ ،١٩٨٣م ،ج١، ص٦١.

[2] هضبة منغوليا الواقعة شمال صحراء جوبي بين بحيرة بايكال في الغرب وجبال خنجان على حدود منشوريا في الشرق، وتكون الجبال المحيطة بها والتي أشهرها جبال خنجان حاجزاً منيعاً بين الاقاليم الصينية الحارة وبين الأراضي الباردة في سيبيريا. انظر استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص٢٢٧، الصياد (فؤاد عبد المعطي)، المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٠م، ج١، ص٣٠.

[3] قبيلة قيات أو قبيلة برجقين المغولية: هي قبيلة جنكيز خان مؤسس الإمبراطورية المغولية، وكانت صغيرة العدد، وتدين بالوثنية، عن تفاصيل قبيلة قيات. انظر القداوي(علاء محمود)، النجار(رغد عبد الكريم أحمد)، امبراطورية المغول، دراسة في تكوينها وصراع الأسرة الحاكمة على منصب الخان الأعظم، آداب الرافدين، العدد ٥٩، ٢٠١١م، ص٢٨٨، فهمي(عبدالسلام عبد العزيز)، تاريخ الدولة المغولية في إيران، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٨١م، ص١٣، الصياد، المغول في التاريخ، ص٣١.

الكبيرة تثبيت أركان قبيلته، وإكسابها الشهرة والقوة بالاعتماد على التحالف مع القوى الأخرى، كتحالفه مع قبيلة الكرايبت[١]، بالإضافة إلى محاربته التتار، والانتصار عليهم بعد قتله لزعيمهم[٢].

وعندما توفي يسوكاي بهادر كان ابنه تيموجين[٣] في الثالثة عشر من عمره، فانفض عنه أكثر الأقارب والأتباع مستغلين صغر سنه، وأعلنت قبيلته التمرد والعصيان، والانضمام إلى القبائل الأخرى، ولكن هذا لم يدم طويلاً، فما أن بلغ السابعة عشر من عمره حتى استطاع بفضل ذكائه وحنكته أن يجتذب إليه كبار رجال المغول من أتباع أبيه، وإخضاع المناوئين له في هذه القبيلة حتى تمت له السيطرة التامة عليها[٤].

بعد أن ثبَت تيموجين أركان قبيلته، وجه أنظاره إلى القبائل المجاورة التي انشقت عن قبيلة قيات، فتمكن من إخضاعها ومن ثم توحيدها تحت رايته سنة ٦٠٢هـ/١٢٠٥م، بعد أن عقدت جميع

---

[١] الكرايبت: من قبائل المغول، موطنهم في الواحات الشرقية الداخلة في صحراء جوبي وجنوب بحيرة بايكال، وكانت قبائل الكرايبت في القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين أقوى أقوام المغول ، بالإضافة إلى أنها كانت تدين بالمسيحية. انظر الهمذاني، جامع التواريخ، ج١، ص٨٧، فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص١٤، القداوي، النجار، امبراطورية المغول، ص٢٨٠.

[٢] العريني (الباز)، المغول، دار النهضة، بيروت، د.ط، ص٤٤، الصياد، المغول في التاريخ، ص٣٩، فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص٣٠.

[٣] تيموجين: لفظة صينية معناها الصلب الفائق، ومن معانيها أيضا الفارس الكامل، وقد سماه والده بهذا الإسم نسبة إلى زعيم التتار الذي تمكن من القضاء عليه بيوم مولده التي كانت سنة ٥٤٩هـ/١١٥٥م، وتوفي سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٧م، بعد أن أسس في النصف الأول من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي امبراطورية مترامية الأطراف امتدت مابين الصين شرقاً، والبحر الأدرياتي غرباً. انظر العريني، المغول، ص٤٣، كذلك انظر
Claude Cahen, The Mongols and the near East in setton, History of the Crusades, Vol.ll, p. 615 .

[٤] اقبال (عباس)، تاريخ إيران بعد الإسلام، من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية، تر: محمد علاء الدين منصور، مر: السباعي محمد السباعي، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٨٩م، ص٣٤٨، الصياد، المغول في التاريخ، ص٤٥.

هذه القبائل مجلس القوريلتاي[1] الذي تم فيه تنصيب تيموجين خاناً على المغول، ومنحه لقب "جنكيز خان" أي إمبراطور العالم أو ملك العالم[2].

وضع جنكيز خان نظاماً للقبائل المنضوية تحت لوائه يسمى الياسا أو "اليسق"[3]، ومن ثم بدأ حملاته العسكرية التوسعية لتوسيع حدود امبراطوريته على حساب الممالك المجاورة، فتمكن في سنة ٦١٢هـ/١٢١٥م من الاستيلاء على بكين حاضرة إمبراطورية كين الصينية، بالإضافة إلى مملكة هيسيا الصينية، وبناءً على هذا التوسع أصبح المغول متاخمين للعالم الإسلامي المتمثل بالدولة الخوارزمية[4].

---

[1] القوريلتاي: هو مجلس يتكون من أمراء المغول وأقاربهم، ويعقد جلساته للتشاور في حال حدوث أمر هام كتنصيب خان جديد، أو القيام بحملة حربية. انظر الهمذاني، جامع التواريخ، ج١، ص٢٣٤، القداوي، النجار، إمبراطورية المغول، ص٣١٠.

[2] الخالدي (إسماعيل عبد العزيز)، العالم الإسلامي والغزو المغولي، مكتبة الفلاح، الكويت، ط١، ١٩٨٤م، ص٣٧، عمران(محمود سعيد)، المغول وأوروبا، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د.ط، ص٣٢، الصياد، المغول في التاريخ، ص٤٩.

[3] الياسا: كلمة مغولية بمعنى حكم أو قاعدة أو قانون، وهي مجموعة من الأحكام تتعلق بالجزاء والعقاب، أقرها جنكيزخان سنة ٦٠٣هـ/١٢٠٦م، فقد حددت الياسا علاقة الحاكم بالمحكوم، وعلاقة المحكومين بعضهم ببعض، وعلاقة الفرد بالمجتمع، وقد بقيت أحكام الياسا موضع اهتمام القبائل المغولية، والمرجع الذي يرجعون إليه في أمور الحكم والسياسة. انظر الخالدي، العالم الإسلامي والغزو المغولي، ص٣٨، العريني، المغول، ص٥٦-٥٧، الصياد، المغول في التاريخ، ص٣٣٨، عمران، المغول وأوروبا، ص٣٦.

[4] لاين(جورج)، عصر المغول، تر: تغريد الغضبان، مر: سامر أبو هواش، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة "مشروع كلمة"، أبو ظبي، ط١، ٢٠١٢م، ص٣٥، ماجد (عبد المنعم)، التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك في مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٨٨م، ص١٥٩، الصياد، المغول في التاريخ، ص٥٣.

ساد السلم بين جنكيز خان والسلطان الخوارزمي محمد خوارزم شاه[1] في البداية، وتبادلا الرسائل والسفارات، إلى أن وصل جمع كبير من تجار المغول "حوالي أربعمائة وخمسين تاجر" ومعهم قدر عظيم من البضاعة القيمة إلى بلاد ما وراء النهر، فطمع أمير مدينة أترار[2] بأموالهم، وأفهم السلطان الخوارزمي بأنهم جواسيس ليتمكن من قتلهم جميعاً، وما إن وصلت أخبار هذه الحادثة إلى جنكيز خان سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م، حتى أرسل رسولاً إلى السلطان محمد خوارزم شاه يطلب منه تسليمه أمير مدينة أترار إزاء فعلته بالتجار، لكن السلطان رفض طلب جنكيز خان، ولم يكتف بذلك بل أقدم على قتل الرسول، فكانت الحرب بينهما[3].

سار جنكيز خان لغزو البلاد الخوارزمية وفق خطةٍ حربيةٍ محكمةٍ، وبدأ بحصار مدينة بخارى التي استولى عليها سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م[4]، وتوجه بعد ذلك إلى مدينة سمرقند حاضرة إقليم ما

---

[1] هو قطب الدين محمد خوارزم شاه ، وكان يطلق لقب خوارزم شاه على حكام الدولة الخوارزمية، وهم من أتراك بلاد ما وراء النهر، استلم الحكم خلفا لأبيه علاء الدين تكش خوارزم شاه سنة ٥٩٦هـ/١١٩٩م، فاتخذ لنفسه لقب أبيه، وتسمى علاء الدين محمد خوارزم شاه، أما وفاته فكانت سنة٦١٧هـ/١٢٢٠م في إحدى جزر بحر قزوين أثناء اجتياح المغول لبلاده، انظر ابن خلدون(عبد الرحمن)، العبر و ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، مر: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ج٥، ص١١٤، لاين، عصر المغول، ص٣٦.

[2] مدينة أترار، أوترور: مدينة على نهر سيحون، شمال سمرقند، وهي أول مدينة في بلاد خوارزم شاه، وتعد مفتاح التجارة بين شرق آسيا وغربها، وكان حاكمها في الوقت الذي وصلت فيه القافلة المغولية " ينال خان" ابن خال السلطان علاء الدين خوارزم شاه. انظر حمدي (حافظ أحمد)، الدولة الخوارزمية والمغول، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٩٤٩م، ص٨٥، إقبال، تاريخ إيران بعد الإسلام، ص٣٥١.

[3] ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ج٥، ص١٣١، ابن العبري (غريغوريوس أبو الفرج الملطي)، تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط١، ١٩٨٠م، ص٤٠١، حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص ٨٥، عمران، المغول وأوروبا، ص٣٨، الصياد، المغول في التاريخ، ص١٠٤.

[4] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٤٠٥، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٤٠٧، حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص١٤٣، الصياد، المغول في التاريخ، ص١١٦، الخالدي، العالم الإسلامي والغزو المغولي، ص٧٩.

وراء النهر، وصحب معه عدداً كبيراً من أسرى مدينة بخارى ليستعين بهم في حصار المدينة، وتمكن من دخول المدينة سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م، والاستيلاء على قلعتها[١]، ثم ما لبث أن سيطر على مدينة خوارزم عاصمة البلاد سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م[٢].

بعد سقوط الدولة الخوارزمية بيد المغول، أصبح الطريق مفتوحاً إلى بلاد فارس، ومن ثم إلى الخلافة العباسية في بغداد. وفي سنة ٦٥١هـ/١٢٥٣م انطلق هولاكو[٣]على رأس جيشٍ كبيرٍ من العاصمة قراقورم[٤]، بتكليف من منكوخان[٥] إلى بلاد ما وراء النهر، فأوصاه بالمحافظة على تقاليد

---

[١] كانت أكثرية الحامية الخوارزمية من القبائل التركية التي تقيم على حدود الدولة الخوارزمية الشمالية، فرأوا أن يستسلموا للمغول، ويعرضوا الصلح على أساس أنهم والمغول من أصل تركي واحد، فلما عرضوا التسليم على جنكيز خان، وعدهم بإدخالهم في خدمته، كذلك خرج قاضي المدينة يتبعه كبار رجال الدين، وذهبوا إلى معسكر جنكيز خان ليعرضوا عليه تسليم المدينة، بشرط أن يؤمنهم على حياتهم وعلى سكان المدينة، فوعدهم جنكيز خان بتنفيذ رغباتهم، وما أن فتحت المدينة حتى أعمل القتل في السكان. انظر ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٤٠٥، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٤٠٩، حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص١٤٧.

[٢] ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل)، البداية والنهاية، تح: رياض عبد الحميد مراد، محمد حسان عبيد، مر: عبد القادر الأرناؤوط، بشار عواد معروف، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط٢، ٢٠١٠م، ج١٥، ص١٠٥، حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص٢٢٢، الصياد، المغول في التاريخ، ص١٣٧، لاين، عصر المغول، ص٣٨، الخالدي، العالم الإسلامي والغزو المغولي، ص٨٢.

[٣] هولاكو بن تولوي خان بن جنكيز خان، وأخ الخان المغولي منكوخان الذي كلفه مع أخيه قوبيلاي بقيادة الجيوش المغولية لتوسيع حدود الإمبراطورية المغولية. انظر الهمذاني، جامع التواريخ، ج١، م٢، ص٩١.

[٤] قراقورم: وتكتب قره قرم، وهي مدينة في منغوليا على نهر أورخون، ويعني اسمها الرمل الأسود وكانت عاصمة المغول في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي. انظر أبو الفدا، تقويم البلدان، ص٥٠٣، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٧، ص١٦٢، حاشية رقم(٢)، طقوش (محمد سهيل)، تاريخ المغول العظام والإيلخانيين، دار النفائس، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م، ص١٠٦، لاين، عصر المغول، ص٣٩.

[٥] منكوخان بن تولوي بن جنكيز خان، توج سنة ٦٤٩هـ/١٢٥١م في مجمع رؤساء المغول "القوريلتاي" بعد وفاة الخان المغولي كيوك، وهو في الثالثة والأربعين من عمره، ويعد من أشهر خانات المغول بعد جنكيز خان، توفي سنة ٦٥٨هـ/١٢٥٩م. انظر ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٤٥٦، لاين، عصر المغول، ص٣٣.

جنكيز خان وقوانينه في (الكليات والجزئيات) كما أوصاه باحترام رأي زوجته دوقوز خاتون[1] ومشاورتها في جميع القضايا والشؤون[2].

و دوقوز خاتون هذه كانت مسيحية نسطورية مخلصة لعقيدتها، فعملت على مؤازرة المسيحيين، لذلك قوي حال هذه الطائفة[3]. وفي هذا تفسير واضح لعطف هولاكو على المسيحيين ، وكراهية دولة مغول فارس بالذات للمسلمين، و للخلافة العباسية، حقيقة أن هولاكو نفسه ظل بوذياً، ولم يعتنق المسيحية يوماً، لكن ذلك لم يحل دون تأييده للمسيحيين، وعطفه عليهم، مهما كان مذهبهم، ولعلّ هذا الاتجاه نحو المسيحية في دولة مغول فارس هو الذي باعد بينهم وبين أقربائهم من مغول القبجاق (القبيلة الذهبية)[4] في جنوب روسيا، وهم الذين تأثروا بالديانة الإسلامية واعتنقوها[5].

وصل هولاكو سمرقند ثم عبر نهر جيحون إلى خراسان وتقدم في شمال إيران، وتمكن من إخضاعها لسلطانه سنة ٦٥٣هـ/١٢٥٥م، وتوافد عليه الحكام المحليون في فارس من بقايا الدولة الخوارزمية، ليعلنوا ولاءهم وخضوعهم لهولاكو، كما خضع له سلاطين سلاجقة الروم، ولم يبق خارجاً عن طاعة هولاكو في بلاد فارس سوى الباطنية الذين ظلوا معتصمين في قلاعهم، دون أن تتمكن أي حكومة من الحكومات المعاصرة أن تقضي على قوتهم في فارس والشام، لذلك

---

[1] كانت دوقوز خاتون امرأة هولاكو العظمى، ومفضلة على نسائه الأخريات، لأنها كانت زوجة أبيه، وورثها عنه وتزوجها بعد وفاته، وكانت تتمتع بمنزلة وشخصية قوية. انظر عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٢٣١.

[2] الهمذاني، جامع التواريخ، ج١، م٢، ص٢٣٦-٢٣٧.

[3] SETTON, A History of the Crusades, vol. II, p.720 .

[4] القبيلة الذهبية: سميت بهذا الاسم نسبة إلى خيام معسكراتها ذات اللون الذهبي، وقد امتدت منازلها في شرق وغرب بلاد القبجاق. انظر فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص١٠٠، لاين، عصر المغول، ص٣٩.

[5] الهمذاني، جامع التواريخ، ج١، م٢، ص٢٣٩-٢٤٠، عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٢٣١.

هاجم هولاكو بنفسه العام التالي القلاع الإسماعيلية[١]، وبدأ بتدميرها الواحدة تلو الأخرى إلى أن سيطر على قلعة ألموت[٢] سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م، ليؤسس دولة ثابتة الأركان يحكمها هو وأبناءه من بعده سميت بالدولة الإيلخانية[٣].

تابع هولاكو زحفه باتجاه الخلافة العباسية، بعد أن انضمت إليه فرقة من المحاربين المسيحيين من الكرج والأرمن[٤]، وفي سنة٦٥٦هـ/١٢٥٨م سقطت بغداد بيد المغول بعد حصارٍ قصيرٍ، وقتل الخليفة العباسي المستعصم بالله[٥]، وبسقوط الخلافة العباسية أسرع الملوك والحكام المسلمون

---

[١] أسس الدولة الإسماعيلية في بلاد فارس الحسن بن الصباح، داعية الخلافة الفاطمية المصرية في فارس، وكان قد حضر إلى مصر في أيام الخليفة المستنصر بالله الفاطمي، وكان شاهداً على إمامة نزار بن المستعلي، لكن خلفاء الحسن بن الصباح قطعوا دعوتهم للفاطميين في مصر لما حكم في مصر أئمة من غير نسل نزار، فانفصلوا عن الدولة الفاطمية في مصر، وأقاموا لهم في فارس دولة قوية ما لبثت أن سيطرت على معظم فارس. انظر ماجد، التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك في مصر، ص١٦٥.

[٢] قلعة ألموت: قلعة حصينة من ناحية دوزبار على قمة جبل، لا يمكن نصب المناجيق عليها ولا النشاب يبلغها، وهي كرسي ملك الإسماعيلية. انظر القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٢٠٠، الصياد، المغول في التاريخ، ص٧٧، الخالدي، الغزو الإسلامي والعالم المغولي، ص٥١، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٧٦.

[٣] ايلخان : الملك التابع أي حاكم الولايات في الدولة، ويتبع الخاقان (الخان الأعظم) الذي يحكم الدولة كلها في العاصمة قراقورم، وقد تأسست دولة مغول فارس على يد هولاكو سنة٦٥٦هـ/١٢٥٨م بعد أن اختار مدينة مراغة في أذربيجان عاصمة لامبراطوريته التي شملت خراسان وفارس وكرمان والعراق وآسيا الصغرى، وانهارت سنة ٧٥٦هـ/١٣٥٥م بسبب الصراع بين أمراء المغول وقادة الجيش. انظر فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران ص٥، عبد المنعم(صبحي)، المغول والمماليك السياسة والصراع، دار العربي للنشر، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٠م، ص١٧.

[٤] تمكنت الجيوش المغولية بقيادة "بايجو" من الاستيلاء على بلاد الكرج سنة ٦٣٦هـ/١٢٣٨م، ودخلوا عاصمتها تفليس، ثم آني العاصمة القديمة لأرمينيا الكبرى، وذلك ضمن الخطة التوسعية للجيوش المغولية. انظر توراو، الظاهر بيبرس، ص٦٩، سليمان (أحمد عبد الكريم)، المغول والمماليك حتى نهاية عصر الظاهر بيبرس، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٤م، ص٥٥.

[٥] الخليفة العباسي المستعصم بالله أبو أحمد عبد الله بن المستنصر بالله بن الظاهر بالله بن الناصر لدين الله أبي أبي العباس أحمد، أخر خلفاء بني العباس في بغداد. قتل في سنة ٦٥٦ هـ /١٢٥٨م على يد هولاكو، وكانت خلافته خمسة عشر سنة تقريباً (٦٤٠- ٦٥٦هـ/ ١٢٤٢-١٢٥٨م). انظر المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٢، ص٤٠٩، القرماني، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، ج٢، ص١٩٤، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٧، ص٥٩.

لإعلان خضوعهم وتبعيتهم لهولاكو، أي أن جميع حكام المسلمين في الشرق الأدنى من سلالتي سلجوق وأيوب قد أحنوا جميعاً رؤوسهم أمام المغول خشية بطشهم[١].

تتابع سقوط المدن الإسلامية أمام هولاكو، وجيشه الواحدة تلو الأخرى من ميافارقين[٢] إلى ماردين[٣]، وصولا إلى مدن بلاد الشام[٤]، فكانت البداية بحلب سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م، تلتها حماه والمعرة وحمص، وأثناء ذلك حدثت بعض التطورات جعلت هولاكو يعود إلى بلاده[٥] تاركاً وراءه كتبغا نوين[٦] أحد قواده نائباً عنه، بعد أن وجه رسالة إلى السلطان سيف الدين قطز[٧] سلطان

---

[١] عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٣٣٨.

[٢] ميافارقين: هي قاعدة ديار بكر، تقع بين الجزيرة الفراتية وأرمينيا، وكانت تحت حكم الملك الكامل محمد بن الملك المظفر غازي بن العادل بن أيوب. انظر القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج٤، ص٣٢٠.

[٣] ماردين: وهي قلعة بديار ربيعة من الجزيرة الفراتية، وهي معقل أمراء بني حمدان، وعند مجيء المغول كان يحكمها الملك السعيد نجم الدين إيلغازي الأيوبي. انظر لسترانج، بلدان الخلافة الشرقية، ص١٢٥، ١٢٦، ابن شداد (عز الدين محمد بن علي)، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تح: يحيى زكريا عبارة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط١، ١٩٩١م، ج١، ق٢، ص٢٠.

[٤] إن بلاد الشام كانت تحكم من قبل أمراء الأسرة الأيوبية، فحلب ودمشق كانت تحكم من قبل الناصر يوسف بن الملك العزيز بن الظاهر غازي، وحماه يحكمها الملك المنصور الثاني محمد بن محمود، أما حمص من قبل الأشرف مظفر الدين موسى بن الملك المنصور إبراهيم بن شيركوه، وكان الأيوبيون في عداء شديد مع الدولة المملوكية في مصر. انظر حسين، دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، القسم الأول.

[٥] حدث خلاف بين مغول فارس ومغول القبيلة الذهبية لأسباب تتعلق بوراثة العرش في قراقورم، فبعد وفاة الخان الأكبر منكو خان عام٦٥٧هـ/١٢٥٩م، حدث صراع بين خان منغوليا الغربية أرك بوك وخان الصين قوبيلاي على العرش. وقف هولاكو إلى جانب قوبيلاي، بينما انضم بركة خان إلى أرك بوك. انظر سليمان، المغول والمماليك حتى نهاية عصر الظاهر بيبرس، ص٦٠.

[٦] كتبغا نوين: قائد مغولي من قوم النايمان، مسيحي نسطوري، تولى قيادة مقدمة جيش هولاكو أثناء غزواته في الشرق، ويذكر الهمذاني أن كتبغا كان يتولى نظارة الخاصة (باورجى) وذلك بمثابة استطلاع(يزك)، انظر الهمذاني، جامع التواريخ، ج١، م٢، ص٢٣٦، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٧، ص٧٢، حاشية رقم(٣).

[٧] قطز : كان من مماليك المعز أيبك التركماني، ويروي ابن إياس أنه لم يكن مرقوقاً، وإنما كان يدعى محمود بن ممدود ابن أخت خوارزم شاه من أولاد ملوك الشرق، وأخذ من جملة سبايا التتار لما وقعت الكسرة على الدولة الخوارزمية . انظر ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج١، ق١، ص٣٠٤، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٢، ص٤١٧.

المماليك في مصر تتضمن التهديد والوعيد، ويدعوه فيها إلى الاستسلام، وعدم مقاومة المغول، وتقديم فروض الطاعة له[1].

ردَ قطز على رسالة هولاكو بقتل رسله، وأخذ يعد العدة لمواجهة المغول، فاستدعى أمراء المماليك البحرية الذين هربوا إلى بلاد الشام بعد مقتل زعيمهم أقطاي[2]، وأبرز هؤلاء الأمراء الذين انضموا إلى الجيش المملوكي الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري والأمير قلاوون الألفي. في الوقت الذي كان فيه الجيش المغولي يستكمل السيطرة على بلاد الشام، سارع قطز بإرسال حملة استطلاعية بقيادة بيبرس لتحرير غزة التي كان فيها حامية مغولية، واختار قطز وادي عين جالوت[3] مكاناً لأرض المعركة لعلمه بعدم توافر معلومات كافية لدى المغول عن طبيعة أرض الوادي، فجعل المدخل الغربي للوادي ساحةً للمعركة، واستدرجت قوات المقدمة بقيادة بيبرس الجيش المغولي إلى وادي عين جالوت، وحصل الاشتباك بين الطرفين سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م، وانتهى بانتصار الجيش المملوكي وهزيمة المغول ومقتل قائدهم كتبغا في أرض المعركة[4].

---

[1] الهمذاني، جامع التواريخ، ج١، م٢، ص٣١٣، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٥، ص٣٤١، ماجد، التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك في مصر، ص١٧٠.

[2] أقطاي: من مماليك الصالح نجم الدين أيوب، كان جمدارياً عنده- أي المشرف على خزائن الملابس السلطانية- وأصبح مقدماً على المماليك البحرية، وقد استفحل أمره في الدولة المعزية بالديار المصرية، وكان نتيجة ذلك أن قتل بأمر من السلطان المعز أيبك لطمعه في السلطنة سنة٦٥٢هـ/١٢٥٤م. انظر ابن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٩، ص١٨٥.

[3] عين جالوت: بلدة تقع إلى الشمال الغربي من مدينة بيسان، على مسافة عشر كيلومترات على نهر الجالود بجوار عين ماء يطلق عليها الاسم نفسه، ويذكرها السكان المحليون باسم عين جالود. انظر ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٧، ص٧٣، حاشية رقم(٣).

[4] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٢، ص٤٣٠، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٥، ص٣٥٢، ابن ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج١، ق١، ص٣٠٦، بيبرس المنصوري (ركن الدين بيبرس)، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تح: دونالد س. ريتشاردز، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ص٥١، عاشور (سعيد عبد الفتاح)، الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، دار النهضة، القاهرة، ط١، ١٩٩٦م، ص١٩٨.

يعود هذا النصر إلى عدة أسباب منها جهود السلطان قطز بحثَ المسلمين على مواجهة المغول بعد أن سيطر عليهم الخوف والهول من الجيش المغولي أولاً، وجهود بيبرس وخططه الحربية الناجحة ثانياً، وعودة هولاكو قبل وصوله إلى دمشق مع قسم من جيشه إلى مقره في أذربيجان، بعد أن وصله نبأ موت الخان الأعظم منكوخان والخلاف الذي اندلع على العرش المغولي ثالثاً[1].

وفي هذا الموضوع يروي ابن العبري في مؤلفه "تاريخ مختصر الدول" أن الجيش المغولي الذي بقي في بلاد الشام بعد رحيل هولاكو بلغ عدده حوالي عشرة آلاف فارس، وإنَ هذا العدد يقل كثيراً عن الجيش المملوكي[2]، ولكن هناك شك في هذا القول لعدة أسباب منها أن قائد الجيش المغولي كتبغا نوين كان يحمل أعلى رتبة عسكرية مغولية وهي نوين، ولا يوكل إليه إلا المهمات الكبرى، ويتلقى أوامره من هولاكو نفسه، فلا يمكن أن يتولى قائد بهذه الرتبة قيادة جيش صغير. بالإضافة إلى أن الروايات المصرية تذكر أن كتبغا جمع كل من تفرق من التتار في بلاد الشام أي عساكر الحاميات المغولية الموجودة في المدن التي سيطر عليها المغول، كما يذكر ابن تغري بردي أن "كتبغا جمع من في الشام من التتار وغيرهم"[3]، مما يدل على وجود قوات غير مغولية إلى جانب الجيش المغولي، و هذا ما تؤكده المصادر الصليبية المعاصرة من أن كتائب

---

[1] الهمذاني، جامع التواريخ، ج١، م٢، ص٣٠٨، حمزة (عادل عبد الحافظ)، الشرق الإسلامي بين شقي الرحى (الصليبين والمغول)، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، د.ت، ص٥٢.

[2] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٤٨٩.

[3] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٧، ص٧٧.

من الأرمن و الكرج كانت بصحبة الجيش المغولي في عين جالوت[1]، فما هي العلاقة بين المغول والأرمن؟

بدأ ظهور الأرمن على مسرح الأحداث، عندما سعى المغول للسيطرة على بلاد الروم، نظراً لموقعها المؤثر في السياسة التوسعية للمغول، حيث لم يكتف قائد الجيوش المغولية بايجو بإعلان طاعة سلاجقة الروم له فحسب، بل شنَ هجوماً كاسحاً على أرزن الروم سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢م[2]، وفي العام التالي سنة ٦٤١هـ/١٢٤٣م هزم المغول سلاجقة الروم هزيمةً ساحقةً في معركة كوسه داغ ، وقد أسفر عن هذه المعركة تحطم جيش سلاجقة الروم، وهروب السلطان السلجوقي كيخسرو الثاني (٦٣٥-٦٤٣هـ/١٢٣٧-١٢٤٥م) من أرض المعركة، الأمر الذي دفع وزيره مهذب الدين إلى التقرب من المغول، وعقد معهم اتفاقاً يقضي ببقاء الدولة السلجوقية شريطة تأدية القطيعة كل سنة ، وإرسال الإمدادات اللازمة للمغول عند الحاجة إليها[3].

أدرك الملك الأرمني هيثوم الأول خطورة المغول، وصعوبة مقاومتهم بعد انتصارهم على سلاجقة الروم في معركة كوسة داغ، وبالتالي مجاورتهم لكيليكيا، فقرر التودد إليهم بإرساله سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٤م سفراء محملين بهدايا ثمينة إلى بايجو كاعتراف بالتبعية والولاء للمغول، لكن

---

[1] الشاعر(محمد فتحي)، مصر قاهرة المغول في عين جالوت، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م، ص٤٨، رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ص٥٣٦.

[2] سليمان، المغول والمماليك حتى نهاية عصر الظاهر بيبرس، ص٣١، الصياد، المغول في التاريخ، ص١٨٢، عمران، المغول وأوروبا، ص٥٣.

[3] أبو الفدا(المؤيد عماد الدين إسماعيل)، المختصر في أخبار البشر، تقديم حسين مؤنس، تح: محمد زينهم عزب، يحيى سيد حسين، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ج٣، ص٢٠٨، عمران، المغول وأوروبا، ص٥٣، عاشور، الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، ص٨١.

بايجو طالب مقابل ذلك تسليم زوجة وابنة السلطان السلجوقي كيخسرو الثاني، اللتين لجأتا إلى كيليكيا لدى البارون قسطنطين والد هيثوم الأول هرباً من المغول[١].

أعرب هيثوم الأول عن استعداده لكسر التقاليد، والأعراف من أجل التوصل إلى تفاهم مع الغزاة الجدد، فأذعن لطلب المغول وسلمهم زوجة وابنة السلطان السلجوقي، بل وأرسل إلى بايجو كتاباً يفيض بالولاء والاحترام، وتلقى منه شهادة اعتراف وتبعية للخان المغولي الأعظم[٢].

بعد أن اطمأن هيثوم أن المغول لن يهاجموا بلاده، أخذ يهاجم أملاك السلاجقة، فاستولى على قلعة براكانا وعدة قلاع أخرى، وامتنع عن دفع القطيعة لدولة سلاجقة الروم. لكن هذا الحال لم يدم طويلاً، ففي عام ٦٤٣هـ/١٢٤٥م أغارت جموع من سلاجقة الروم على مملكة أرمينيا الصغرى، وقرروا الانتقام من الأرمن، مستغلين انسحاب القوات المغولية من بلادهم، فاضطر هيثوم للإذعان للسلاجقة وإعادة قلعة براكانا ودفع القطيعة المتأخرة[٣].

و أمام هذا الضغط السلجوقي أدرك الملك الأرمني هيثوم الأول أنه لا سبيل لحماية بلاده إلا عن طريق التحالف مع المغول، وأن شهادة بايجو بتبعية هيثوم للمغول غير كافية، بل يجب الحصول على شهادة من الخان الأعظم في قراقورم، فأرسل إثر ذلك أخاه الكونتسطبل سمباد[٤] رسولاً إلى قراقورم سنة ٦٤٥هـ/١٢٤٦م، من أجل طلب المساعدة من الخان كيوك (٦٤٤–

---

[١] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٢٨٧، كذلك انظر

SETTON, A History of the Crusades, vol. 2, p. 645-653

[٢] طقوش(محمد سهيل)، تاريخ سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، دار النفائس، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م، ص٢٨٩، عاشور، سلطنة المماليك ومملكة أرمينيا الصغرى، ص٢٣٤، كذلك انظر

STEWART, *The Armenia Kingdom*, p.35.

[٣] ابن شداد(عز الدين)، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، ج١، ق٢، ص٣٤٠، طقوش، تاريخ سلاجقة الروم، ص٢٩٠، توراو، الظاهر بيبرس، ص٧٠.

[٤]سمباد :هو ابن قسطنطين وأخ الملك الأرمني هيثوم الأول، ولد سنة ٦٠٥هـ/ ١٢٠٨م، وتدل كلمة الكونتسطبل على أنه عمل كرئيس لإسطبلات الملك الأرمني، ثم ترقى إلى قائد للجيش الأرمني، توفي سنة٦٧٤هـ/ ١٢٧٦م. انظر ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٤٤٨.

٦٤٧هـ/١٢٤٦-١٢٤٩م) لإيقاف الأطماع السلجوقية في مملكة أرمينيا الصغرى، والسبب الذي دفع بهيثوم لتكليف أخيه وقائد جيشه بهذه المهمة بدلاً منه، أنه أراد أولاً ألا يغامر بحياته، بالإضافة إلى حرصه على معرفة مدى تقبل الخان المغولي لفكرة التحالف مع مملكة أرمينيا الصغرى، وخاصةً أن السفارات البابوية عادت معظمها خائبة، بسبب مطالبها باعتناق الخان المغولي للمسيحية والتحالف معهم، لأن الخان المغولي أراد أن يكون الأمر على أساس من التبعية أكثر منه تحالف، وحين صرح الكونتسطبل سمباد أن أخاه هيثوم يعد نفسه من التابعين للخان المغولي، استقبل إثر ذلك استقبالاً ودياً، فقد شدّ سمباد الخان المغولي بقوة شخصيته وثبات كلامه، يدل على ذلك تكريم الخان له بقلادة ولوح ذهبي كبير، كما شرفه بزواجه من ملكة تتارية، فقد كانت هذه عادة المغول في تكريم ضيوفهم الذين يودونهم، وعلى الرغم من كونه مسيحي والديانة المسيحية تنص على الزواج بواحدة فقط، لكن سمباد قبل بذلك خوفاً من إغضاب الخان المغولي ورغبةً منه في الحصول على التحالف والتبعية، وعاد إلى كيليكيا بعد أن تمكن من الحصول على وثيقة من الخان كيوك يتعهد فيها بضمان بقاء مملكة أرمينيا الصغرى، وعدم جواز انتهاك حرمتها، بالإضافة إلى وعده بمساعدة الملك هيثوم باسترجاع القلاع التي انتزعها سلاجقة الروم من مملكة أرمينيا الصغرى[١].

لكن الأوضاع تغيرت عندما توفي الخان المغولي كيوك، و انتخب منكو خاناً أعظم للمغول، فسارع الملك الأرمني هيثوم الأول هذه المرة بنفسه سنة ٦٥٢هـ/١٢٥٤م إلى قراقورم ليضمن مودة الخان الجديد، ولتجديد العهود التي حصل عليها أخوه سمباد من الخان كيوك، لأنه على

---

[١] توراو، الظاهر بيبرس، ص٧٠، طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص١٣١. أما المؤرخ الأرمني كلود موتفيان فيذكر أن هذه السفارة كانت بهدف إقامة تحالف مع المغول، وضمان أمان الأرمن الذين يعيشون خارج كيلكيكا. انظر

C. MUTAFIAN, *Le Royaume Arménien Cilice XII^{e}-XIV^{e}*, CNRS Editions, Paris, 1993, p55.

النقيض من الأمراء الكثيرين الخاضعين الذين حضروا إلى قراقورم رغماً عنهم، ظهر هيثوم تابعاً بمحض إرادته وحليفاً للمغول، واستقبل بناءً على ذلك بكل حفاوة وتقدير[1].

وبعد إقامة قصيرة لدى المغول، غادر هيثوم العاصمة قراقورم إلى بلاده بصحبة فرقة عسكرية مغولية لخدمته، وحمايته إلى غاية وصوله كيليكيا، ولم ينس هيثوم أصله الأرمني، فمر في طريق عودته بالوطن الأم أرمينيا الكبرى، حيث استقبله الأساقفة ومقدمو الأديرة والأمراء وعامة الأهالي الأرمن بالحفاوة والترحاب، وكانت هذه أول مرة يزور فيها أحد حكام كيليكيا من الأرمن الوطن الأم في الشرق[2].

وصل هيثوم الأول إلى كيليكيا سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م محملاً بوثائق هامة تضمنت ضمان أمن مملكة أرمينيا الصغرى، وإعفاء كل الكنائس والأديرة المسيحية الخاضعة لحكم المغول من الضرائب، بالإضافة إلى العمل من أجل تكوين حلف من المسيحين والمغول ضد المسلمين. وهنا سؤال يطرح نفسه، ما الدافع لهذه السياسة التي انتهجها المغول مع مملكة أرمينيا الصغرى؟

انتهج المغول هذه السياسة مع الأرمن لإدراكهم أهمية الموقع الجغرافي لبلادهم من أجل المساهمة الفعالة في السيطرة على المدن الشامية من ناحية، ولجعل كيليكيا تنجح بمواجهة الأطماع السلجوقية في بلادهم من ناحية أخرى، أما السبب الأهم الذي سيظهر فيما بعد هو العداء المشترك للسلطنة المملوكية في مصر[3].

---

[1] سمباد، التاريخ المعزو إلى القائد سمباد الأرمني، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، تح: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٩م، ج٣٥، ص٣٢٥، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٤٦٠، توراو، الظاهر بيبرس، ص٧١، سليمان، المغول والمماليك حتى نهاية عصر الظاهر بيبرس، ص٣٣.

[2] أكانك(غريغور أوف)، تاريخ أمة الرماة، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، تح: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٣م،ج٤٢، ص٤١٤، عاشور، سلطنة المماليك ومملكة أرمينيا الصغرى، ص٢٤٤.

[3] STEWART, A.D., *The Armenia Kingdom*, P35.

وتأكيداً لمبدأ التحالف المغولي الأرمني، اشترك الأرمن إلى جانب الجيش المغولي أثناء الهجوم على بغداد عام٦٥٦هـ/١٢٥٨م[١]، كما أن هجوم المغول على بلاد الشام كان بمشاركة الأرمن، فقد حشد هيثوم الأول جيشه، واستعد للحرب بعد أن نصح هولاكو بالهجوم على حلب لأنها مفتاح بلاد الشام ودلهم على مواضع ضعف المسلمين، وعند الاستيلاء عليها سوف تخضع بقية المدن الشامية، وانضم إلى التحالف الأرمني _ المغولي الأمير بوهيموند السادس أمير أنطاكية وطرابلس (٦٤٩-٦٦٦هـ/١٢٥١-١٢٦٨م) وصهر الملك الأرمني هيثوم الأول وحليفه[٢] ، كما قام البطريق الأرمني بالصلاة لهولاكو ومنحه البركة، مما جعل هذه الحرب تبدو كأنها حملة صليبية أرمينية مغولية[٣].

و بعد حصار دام ثلاثين يوماً استسلمت قلعة حلب للغزاة [٤]، واستغل هيثوم الأول الفرصة فأحرق الجامع الكبير في حلب، ومنحه هولاكو جزءاً من الغنائم التي استولوا عليها، وأعاد إليه القصور

---

[١] أكانك، تاريخ أمة الرماة ،ج٤٢، ص٣٧٧.

[٢] أقام هيثوم محالفات مع كثير من أمراء الفرنج بما أجراه من مصاهرات، إذ تزوجت أخته ستيفاني من هنري الأول ملك قبرص، وتزوجت أخته ماريا من يوحنا إبلين كونت يافا، كما إن بناته تزوجن من أمراء من اللاتين، فتزوجت سيبيلا من بوهيموند السادس أمير أنطاكية، وتزوجت إيفيما من يوليان كونت صيدا. انظر سمباد، التاريخ المعزو إلى القائد سمباد الأرمني، ج٣٥، ص٣٢٤، ٣٢٧، العريني، المغول، ص١٩٨، حاشية رقم(١).

[٣] الصياد، المغول في التاريخ، ص٢٩٠، مونتريال(جيرارد أوف)، أعمال القبارصة، تر: سهيل زكار، دار التكوين، دمشق، ط١، ٢٠٠٨م، ص٤٢، طقوش، تاريخ المغول العظام و الإيلخانيين، ص١٥٠.

[٤] في ذلك الوقت كان المؤرخ ابن العبري رئيساً لأساقفة حلب، وكان أول من سارع للقاء قادة الجيش المغولي الصليبي، وقدم طاعته لهولاكو. انظر ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٣١٦، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٢، ص٤٢٢، الشاعر، مصر قاهرة المغول في عين جالوت، ص٣٦.

والقلاع التي أخذها المسلمون في حلب من مملكة أرمينيا الصغرى وهي مرعش[١]، وبهسنا[٢]، ودربساك[٣].

كما استعاد بوهيموند السادس مناطق كان صلاح الدين الأيوبي قد غزاها في إمارة أنطاكية مثل دركوش[٤] وكفر دبين[٥]، وقد بلغ عدد الأسرى المسلمين في حلب ما يزيد على مئة ألف أسير من الصبيان والنساء حملوا إلى أرمينيا الصغرى لبيعهم في أسواق الرقيق[٦] .

ولم يكد يسمع الناصر يوسف الأيوبي بسقوط حلب في أيدي المغول حتى فرّ من دمشق، وذلك بنية الهروب إلى مصر، وترك دمشق خالية، ومن الواضح أن هذا السلوك الشائن الذي سلكه ملوك الأيوبيين في الشام جاء بمثابة فصل الختام لدولتهم وإعلاناً لتنازلهم عن ملكهم في الشام ليستولي عليه إما المغول أو المماليك[٧].

---

[١] مرعش: مدينة بالثغور بين الشام وبلاد الروم، لها سوران وخندق، وفي وسطها حصن. انظر الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١٠٧. تأتي أهمية مرعش من موقعها شرقي طوروس، على أهم طرق المواصلات والتجارة، حيث كانت تتحكم بالمواصلات بين بلاد الشام والشمال، وبين المغول الإيلخانين والغرب. انظر
STEWART, *The Armenia Kingdom*, P. 46.

[٢] بهسنا: قلعة حصينة بقرب مرعش وسمسياط، كانت من أملاك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب ودمشق، إلى أن استولى عليها المغول أثناء غزوهم لبلاد الشام. انظر الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٥١٦، ابن شداد، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، ج١، ق٢، ص١١٨.

[٣] دربساك: قلعة حصينة قرب أنطاكية في آسيا الصغرى. الحموي، معم البلدان، ج٢، ص٥٠٠.

[٤] دركوش: حصن قرب أنطاكية من أعمال العواصم. انظر الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤٥٢.

[٥] كفر دبين: بضم الدال، وتشديد الباء وكسرها، وهو حصن بنواحي أنطاكية و" كفر" عند أهل الشام تعني القرية. انظر الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤٦٩، ابن شداد، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، ج١، ق٢، ص٧١.

[٦] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٢، ص٤٢٣، عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٢٤١، عاشور، سلطنة المماليك ومملكة أرمينيا الصغرى، ص٢٤٥، توراو، الظاهر بيبرس، ص٧٧، الصياد، المغول في التاريخ، ص٢٩٤، كذلك انظر
SETTON, A History of the Crusades, vol. 2, p. 557.

[٧] عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٣٤٢.

كذلك اشترك الأرمن إلى جانب المغول أثناء الاستيلاء على دمشق، وطالب هيثوم الأول من القائد المغولي كتبغا إغلاق مساجد دمشق وتحويل بعضها إلى كنائس، ففعل ذلك بالرغم من استعطاف المسلمين له، وكان من الطبيعي أن تستثير هذه السياسة شعور المسلمين جميعاً في الشرق الأدنى[١]. إن نظرة سريعة للأحداث تدفعنا للتساؤل هنا عن موقف الصليبيين(المسيحيون الغربيون في الشام) من المغول؟

في الحقيقة إن بوهيموند السادس أمير أنطاكية وطرابلس انضم إلى الحركة المغولية وشارك بها بوصفه صهراً لهيثوم الأول وحليفه، وليس بوصفه أميراً صليبياً كاثوليكياً، حتى إن سلوك بوهيموند ضايق معظم الصليبيين في الشام، وخاصة صليبيو عكا الذين استاؤوا من تصرفه[٢]، أي أن العطف الذي أبداه المغول تجاه المسيحيين الشرقيين دون الغربيين (الصليبيين) أزعج الصليبيين، وضايقهم وأخافهم من الوقوع تحت رحمة الكنائس الشرقية، حتى أنهم أرسلوا إلى الغرب يطلبون حملة صليبية جديدة، ليس ضد المسلمين، وإنما ضد المغول وحلفائهم المسيحيين الشرقيين، والنتيجة الواضحة لموقف الصليبيين الغربيين من حركة الغزو المغولي لبلاد الشام هي أنهم أضاعوا من أيديهم فرصة ثمينة لم يتحها الزمان لهم مرة أخرى. وبعد عودة هولاكو إلى قراقورم تاركاً كتبغا في الشام، أراد كتبغا أن يعقد اتفاقاً مع الصليبيين في عكا وصور وقبرص يشبه الاتفاق المعقود مع الملك الأرمني، لكن الصليبيين رفضوا ذلك[٣].

---

[١] طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص١٣٢.

[٢] SETTON, A History of the Crusades, vol. 2, p. 472,565.

[٣] عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٣٤٧.

وهكذا يمكن القول أن سياسة الملك الأرمني العدائية مع المسلمين سواء السلاجقة أو المماليك، وتحالفه مع الصليبيين والمغول، واشتراكه في حملاتهم وغزواتهم ضد المدن الإسلامية، كانت أحد أهم الأسباب في الصراع المملوكي- الأرمني الذي بدأ مع هزيمة المغول في بلاد الشام. وعلى أية حال لم تكن علاقة الملك هيثوم مع المغول علاقة الند مع نظيره، بل كانت علاقة التابع بالمتبوع، لأن نظرة الخان للمساعدات التي يقدمها الصديق، ومنها المساعدات التي قدمها هيثوم، لا تخرج عن كونها جزءاً من واجبات التابع، والخاضع لسلطة سيده.

ب- الحصار الاقتصادي :

بعد انتصار المماليك في عين جالوت وانشغال مغول فارس بالصراع مع أبناء عمومتهم من مغول القبجاق، وجد هيثوم نفسه وحيداً في صراعه مع المماليك، الذي لم يكن مقتصراً على الأسباب السياسية. ففي تلك المرحلة كان للعامل الاقتصادي دورٌ بارزٌ في الصراع بين الطرفين. لذلك حاول هيثوم جاهداً التأثير في حركة التجارة المملوكية، فدولة المماليك بنت قوتها، وعظمتها على أساس احتكار جزء مهم من النشاط التجاري بين الشرق والغرب[١].

بعد الغزو المغولي للبلاد الإسلامية، عمت الفوضى في الأقاليم الوسطى والغربية من آسيا، مما أدى إلى توقف طريق بغداد التجاري[٢]، ولم يكن أمام التجار الأوروبيين من سبيل للحصول على منتجات الشرق إلا عن طريق البحر الأحمر[٣]، وهو الطريق الذي تسيطر عليه دولة المماليك التي قامت بدور الوسيط التجاري بين تجارة الشرق والغرب، فأصبحت مركزاً للتجارة العالمية،

[١] عاشور، سلطنة المماليك ومملكة أرمينيا الصغرى، ص٢٤٦.

[٢] كانت التجارة قبيل الاجتياح المغولي تمر عبر الطريق المعروف باسم طريق الحرير، الذي كان يبدأ من الصين تم يعبر التبت إلى شمال بحر آرال، ومنه إلى جنوب بحر قزوين فإلى طهران وبغداد ودمشق، ومنها يتشعب إلى ثلاث جهات، أولها إلى بيروت، ثانيها إلى صور وثالثها إلى أنطاكية، ومن هذه المدن إلى موانئ البحر المتوسط في أوروبا وأفريقيا. انظر عمران، المغول وأوروبا، ص٧٩.

[٣] طريق البحر الأحمر أو الطريق البحري من الشرق الأقصى (الهند والصين)، إلى البحر الأحمر، ويتفرع إلى فرعين: الأول شمالاً عبر صحراء سيناء إلى دمشق، وموانئ البحر المتوسط، والثاني إلى الشمال الغربي عبر الصحراء إلى النيل، فالقاهرة، إلى الإسكندرية، ثم إلى أوروبا، ومما زاد في أهمية هذا الطريق على سائر الطرق الأخرى، أنه يختصر مدة السفر براً إلى أربعة أو خمسة أيام. انظر هايد. ف، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، تر: أحمد محمد رضا، مر: عز الدين فوده، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٨٥م، ج١، ص٥٨، ضومط (انطوان خليل)، الدولة المملوكية، التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري، دار الحداثة، بيروت، ط١، ١٩٨٠م، ص١٨٢.

الأمر الذي يفسر في ضوء ذلك الثروة الطائلة التي تمتعت بها دولة المماليك، وما نتج عنها من مظاهر البذخ، والترف، والأبهة[1].

لكن هذا الواقع لم يدم طويلاً، وخاصةً بعد قيام الدولة الإيلخانية في بلاد فارس التي تنبهت إلى أهمية النشاط التجاري عبر بلادها، فبادرت إلى تأمين طريق التجارة، ومحاربة قطاع الطرق، وشجعوا التجار على أن يرتادوا الطرق البرية القديمة القادمة من الصين، ويجتازوا بلاد فارس إلى سواحل البحر الأسود الجنوبية، وإلى ميناء إياس التابع لمملكة أرمينيا الصغرى الذي أصبح يعج بالتجار الأوروبيين[2].

بادر هيثوم الأول إلى فرض حصار اقتصادي على دولة المماليك، مستغلاً حاجتها إلى الأخشاب والحديد لصناعة السفن وآلات الحصار المستخدمة في الحروب، والتي اعتادوا على استيرادها من جبال لبنان وإقليم كيليكيا، وهي الجهات التابعة لهيثوم ملك أرمينيا و بوهيموند السادس أمير أنطاكية وطرابلس، لذلك سارع هيثوم في إصدار أوامره إلى أهالي كيليكيا بمنع الاتجار مع المماليك منعاً تاماً، ومنع تزويد سفنهم بما يلزمهم من حاجيات وبضائع[3].

ولأنَ عماد الجيش المملوكي كان من الرقيق، فقد حرص بيبرس على الإكثار من شراء المماليك من بني جنسه القبجاق "إذ مالت الجنسية إلى الجنسية" على حد تعبير القلقشندي[4]، وكانت

---

[1] عاشور، العصر المماليكي في مصر وبلاد الشام، ص٢٩٨، النهار(عمار)، الدراسات النظرية الجديدة في عصر دولة المماليك البحرية، مجلة دراسات تاريخية، العددان١١٧-١١٨، حزيران، ٢٠١٢م، ص٢٤٦.

[2] عمران، المغول وأوروبا، ص٨٠، الغامدي، سياسة سلاطين دولة المماليك البحرية إزاء ميناء إياس الأرمني، ص٧٩٢.

[3] عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٤٠٢، طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص١٣٢، توراو، الظاهر بيبرس، ص١٥٧.

[4] القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج٤، ص٤٥٨.

العلاقة الودية الوطيدة بين بيبرس وبركة خان[1] حاكم القبجاق هي التي يسرت سبل الحصول على المماليك الأرقاء من ناحية، كما أن الهجرات المغولية الكثيرة إلى مصر كانت مورداً إضافياً من ناحية أخرى[2]. وكان هؤلاء الرقيق يصلون إلى مصر عن طريق السفن من موانئ البحر الأسود، ويمرون بالبوسفور والدردنيل، ليصلوا إلى سواحل البحر المتوسط، وأهمها الإسكندرية ودمياط. ولحرمان المماليك من تلك التجارة الهامة، أغلق هيثوم الأول الطرق المؤدية إلى بلاد الشام، كذلك أغلق الموانئ الأرمنية في وجه التجارة المملوكية، مما تسبب في عرقلة شراء المماليك ووصولهم إلى مصر[3].

كانت أخبار النشاط التجاري المتزايد لميناء إياس، والدور التجاري الذي تقوم به مملكة أرمينيا الصغرى يصل تباعاً لسلاطين المماليك، وقد رصد ابن عبد الظاهر هذا النشاط قائلاً: " وفي هذه السنة (سنة٦٨٠هـ/١٢٨١م) وردت الأخبار من حلب المحروسة، بأن الغيارة[4] توجهت إلى

---

[1] بركة خان بن جوشي بن جنكيز خان (٦٥٤-٦٦٥هـ/١٢٥٧-١٢٦٦م)، وهو رابع ملوك دولة مغول بلاد غرب القبجاق والذين يعرفون كذلك بمغول البلاد الشمالية، وعاصمتهم مدينة سراي. انظر النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٧، ص٣٥٦، المحيمد(علي بن صالح)، نفوذ المغول في آسيا الصغرى، الدرعية، الرياض، العددان ٢١، ٢٢، ٢٠٠٣م، ص١٩٢، حاشية (٣).

[2] نوار(صلاح الدين)، الطوائف المغولية في مصر، دار المعارف، الإسكندرية، د.ت، ص٣، قاسم(عبده قاسم)، علي(علي السيد)، الأيوبيين والمماليك، التاريخ السياسي والعسكري، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، مصر، د.ت، ص١٥٩.

[3] لبيب(صبحي)، سياسة مصر التجارية في عصر الأيوبيين والمماليك، جامعة كييل، ألمانيا الغربية، د.ت، ص١٣٢، زعرور (إبراهيم محمود)، الخطط البابوية تجاه مصر والمشرق العربي في القرن الرابع عشر الميلادي حسب ماجاء في كتاب الأسرار لمارينو سانوتو، مجلة دراسات تاريخية، العددان٨٥-٨٦، ٢٠٠٤م، ص٢٠٨.

[4] الغيارة : أي الطوائف المغيرة .

الروم، وكانوا ستمائة راكب أو سبعمائة راكب، وإنهم صادفوا قافلة تقدير مائتي جمل خارجة من بلاد سيس إلى الروم، فنهبوها وكانت موسوقة سكرا وصابون وفستقا ورصاصا وقطنا"[١].

وفي الواقع إن أهمية ميناء إياس وازدهاره تعود لعدة أسباب، أولها منح ملوك أرمينيا الصغرى التجار الأجانب امتيازات تجارية عديدة، حيث استفاد تجار البندقية وجنوا من تخفيض في الضريبة المفروضة على البضائع المارة ببلادهم من ٤% إلى ٢% فقط. وفي سنة٦٧٠هـ/ ١٢٧١م منح ليون الثالث ملك أرمينيا الصغرى (٦٦٩-٦٨٨هـ/١٢٧٠-١٢٨٩م) امتيازات أخرى للبنادقة، وأتبعها بأخرى سنة ٦٨٧هـ/١٢٨٨م لصالح الجنويين أعفاهم فيها من دفع الكثير من الرسوم والضرائب، ومنها إلغاء ضريبة بيع العبيد، لكنه أجبرهم على أداء اليمين بعدم بيعهم للمسلمين أو لأي شخص تكون نيته بيعهم في أسواق المسلمين. والواضح أن الهدف من ذلك هو تضييق الخناق على دولة المماليك في مصر وبلاد الشام، إذ كانت تجارة العبيد أهم مصدر للحصول على المماليك الذين يوضعون في الخدمة العسكرية[٢].

يضاف إلى ذلك سقوط أنطاكية بيد سلطان المماليك بيبرس سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٧م، فقد كان لهذه المدينة ميناء السويدية (سان سيمون) الذي يطل على البحر المتوسط، وتأتي أهميته من كونه صلة الوصل بين الإمارات الصليبية في بلاد الشام، والغرب الأوروبي، وبعد وقوعه بيد المماليك تحول التجار الأوروبيون عنه إلى ميناء إياس الأرمني[٣].

---

[١] ابن عبد الظاهر (محي الدين)، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تح: مراد كامل ومحمد علي النجار، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٦١م، ص١.

[٢] الغامدي، سياسة سلاطين دولة المماليك البحرية إزاء ميناء إياس الأرمني، ص٧٩٤، عاشور، سلطنة المماليك ومملكة أرمينيا الصغرى، ص٢٤٧، العريني، المغول، ص٢٩٧.

[٣] عمران(محمود سعيد)، تاريخ الحروب الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٠م، ص٣٢٩.

والأهم من كل ما سبق فرض البابوية حصار اقتصادي على دولة المماليك، عندما أصدر البابا جريجوري العاشر(٦٦٦-٦٧٤هـ/١٢٦٧-١٢٧٥م) سنة ٦٧١هـ/١٢٧٢م المراسيم لمنع التجار الأوروبيين من التردد على موانئ مصر وبلاد الشام، وحظر عمليات البيع والشراء وخاصة السلع التي لها أهمية استراتيجية[١]، ولكن في الواقع إن فكرة فرض حصارٍ اقتصاديٍّ على دولة المماليك في مصر وبلاد الشام لم تتخذ طابعاً عملياً واضحاً إلا بعد استيلاء المسلمين على عكا سنة٦٩٠هـ/ ١٢٩١م، وإنهاء الوجود الصليبي في بلاد الشام والذي استمر لمدة مئتي عامٍ تقريباً، إذ أن القضاء على الصليبين في بلاد الشام، أثار سخط البابوية بشدة، وعلى الفور أصدر البابا نيقولا الرابع(٦٨٧-٦٩٢هـ/١٢٨٨-١٢٩٣م) مرسوماً حرم فيه على العالم المسيحي الإتجار مع دولة المماليك، وهدد كل من يخالفه بقرار الحرمان الكنسي فضلاً عن مصادرة جميع أمواله وممتلكاته[٢]. وإن كان هذا المرسوم قد حرَم الاتجار بالرقيق والخيول، وبعض المواد الأولية كالحديد والأخشاب لصناعة السفن والأسلحة، فإنَ البابا بونيفاس الثامن (٦٩٣-٧٠٢هـ/١٢٩٤-١٣٠٣م) سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٩م أضاف إلى المواد السابقة القمح، والزيوت، والنبيذ، التي كانت مصر تستوردها جميعاً في تلك الفترة، وبذلك لم يبق أمام التجار الأوروبيين سوى ميناء إياس، فهو الميناء المسيحي في الشرق الذي يتصل برياً بطرق التجارة الآسيوية[٣].

وبالرغم من صدور تلك المراسيم من أعلى سلطة دينية، فإنها لم تردع التجار وتحملهم على إيقاف تعاملهم مع مصر، الأمر الذي دفع البابا نيقولا الرابع إلى اتخاذ تدابير أكثر حزماً، حيث

---

[١] النشار(محمد محمود أحمد)، علاقة مملكتي قشتالة وأراجون بسلطنة المماليك، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م، ص٩٥.

[٢] عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٤٠٣، إديوري (بيتر)، قبرص والحروب الصليبية، دار الملتقى، قبرص، ليماسول، ط١، ١٩٩٧م، ص١٠٠، عاشور، سلطنة المماليك ومملكة أرمينيا الصغرى، ص٢٤٧.

[٣] هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ج٢، ص٣١٦.

أمر بتجهيز عشر سفنٍ حربيةٍ تجول في البحر الأبيض المتوسط من الداوية[1] والإسبتارية[2] مهمتها إرهاب السفن الأوروبية التي تخرق الحظر التجاري على مصر، وكذلك مهاجمة السفن الإسلامية التي تجوب البحر المتوسط، وسرقة ونهب محتوياتها[3].

انقطعت العلاقات التجارية بين الدولة المملوكية وغرب أوروبا بعد تشدد البابوية في تطبيق مراسيم وقرارات الحصار، فدأب سلاطين المماليك على تشجيع تجار الشرق الأقصى، وجذب التجار الأوربيين للحضور إلى مصر عن طريق إغرائهم بثروات مصر وأموالها، وقد حفظ القلقشندي نص مرسوم أصدره السلطان المنصور قلاوون، وجهه إلى كافة التجار يعدد لهم فيه مزايا الإقامة في مصر، وهو في نفس الوقت وثيقة أمانٍ للتجار على أنفسهم وأموالهم[4].

أما موقف المدن التجارية الإيطالية المطلة على البحر المتوسط (البندقية– جنوا– بيزا) من هذه القرارات والمراسيم، فقد تميز بعدم الثبات على مبدأ واحد، فتارةً نجد التجار الإيطاليين يرضخون لقرارات البابوية، وتارةً يحاولون التملص من هذه القرارات بشتى الوسائل، وذلك بحسب مصالحهم

---

[1] الداوية: طائفة عسكرية دينية تطلق على جماعة فرسان المعبد، تأسست هذه الطائفة في عام ١١١٩م، لحماية طريق الحجاج النصارى بين يافا وبيت المقدس، ثم تحولت بعد ذلك إلى هيئة عسكرية، وقد منح بلدوين الثاني ملك بيت المقدس أفرادها خانا يقيمون فيه بالقرب من معبد سليمان، لذلك سموا فرسان المعبد، وقد أدت هذه الطائفة دوراً كبيراً في الحروب الصليبية. انظر طقوش، تاريخ سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، ص٧٦.

[2] الإسبتارية: الكلمة تحريف ظاهر للفظ الفرنجي Hospitallers، وتطلق على إحدى جمعيات الإخوة الرهبانيين التي شكلت في عهد الحروب الصليبية بالشرق، وهي معروفة كذلك باسم فرسان القديس يوحنا، وقد خرجت من الشام مع الصليبيين بعد سقوط عكا سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م، واستقرت في جزيرة رودرس. انظر فشر(هربرت)، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، تر: محمد مصطفى زيادة، الباز العريني، ابراهيم أحمد العدوي، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٥٤م، ص٤٤٤.

[3] عبد النبي(ناجلا)، القرصنة اللاتينية في شرق حوض البحر المتوسط على عصر سلاطين المماليك، مجلة المؤرخ العربي، مصر، العدد٩، ٢٠٠١م، ص٥٨، الجرجري (جاسم محمد)، العلاقات السياسية بين المماليك والفرنجة خلال الفترة(٦٤٨-٩١٥هـ/١٢٥٠-١٥٠٧م)، مجلة تكريت، كركوك، المجلد١٤، العدد٨، أيلول،٢٠٠٧م، ص١٣٤.

[4] ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، ص٢٣٦، القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج١٣، ص٣٤٠.

التجارية التي قد تتقدم في بعض الأحيان على ولائهم الديني[1]، وذلك لأن التجارة مع مصر كانت تمثل مصدراً هاماً لاقتصادها، فعلى سبيل المثال حضر إلى مصر وفد من البندقية عام ٧٠٢هـ/١٣٠٢م طالباً من السلطان الناصر محمد بن قلاوون إعادة الامتيازات التجارية القديمة التي كانت تتمتع بها مدينة البندقية وإعادة القنصل البندقي إلى مكانه بمدينة الإسكندرية[2]. وقد يكون ما دفع البنادقة لإرسال هذا الوفد محاولة المماليك إقامة علاقات تجارية مع الممالك المسيحية في إسبانيا، بهدف كسر الطوق المضروب عليهم من طرف البابوية وجرت مراسلات عديدة وتم تبادل الهدايا بينها وبين مصر[3]. كما استغل البنادقة حاجة البابوية للمال، واستطاعوا الحصول منها على بعض المراسيم التي تتيح لهم العمل مع مصر رغم الحظر البابوي[4].

وهكذا لم تكتف أرمينيا الصغرى ومن ورائها الغرب الأوروبي بالمحاولات العسكرية والسياسية للقضاء على المماليك، وإرسال الحملات، وإقامة التحالفات مع أعداء المماليك، بل إنها اتبعت أساليب أخرى لا تقل خطورة عن ذلك، وخصوصاً في المجال التجاري، فحاولت منع وصول المواد الاستراتيجية والسلع الغذائية التي كانت الدولة المملوكية في أشد الحاجة إليها.

[1] مصطفى (إيلاف عاصم)، دور البابوية والقرصنة في شل حركة التجارة الشرقية في البحر الأبيض المتوسط ١٢٩١-١٤٩٨م، الجامعة المستنصرية، كلية التربية الأساسية، العدد٧٣، ٢٠١٢م، ص٢٧٥.

[2] هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى، ج٢، ص٢٦٨، الجرجري، العلاقات السياسية بين المماليك والفرنجة، ص١٣٦.

[3] كانت الممالك الإسبانية وخاصة أراجون على خلاف مع البابوية، لذلك لم ترضخ للمراسيم البابوية وتحريم التجارة مع المماليك، والسبب هو محاولة خايم الأول حاكم أراجون من تزويج ابنه لابنة ملك صقلية ووريثته على الرغم من معارضة البابا. انظر النشار، علاقة مملكتي قشتالة وأراجون بسلطنة المماليك، ص٤٠.

[4] أصدرت البابوية قراراً يبيح لمن صدر ضده قرار الحرمان الكنسي أن يشتري الغفران ويتخلص من العقوبة بدفع مبلغ من المال. انظر
DEPPING, Histoire ducommerce entre le levant et l' Europe, Paris, 1830, T.II, p.176.

بدورهم المماليك لم يقفوا مكتوفي الأيدي أمام هذا الحصار، فحاولوا تنويع مصادر تجارتهم بإقامة علاقات مع بعض الدول الأوروبية كإسبانيا، وتشجيع المدن التجارية الإيطالية، وإغرائهم بمنحهم الامتيازات. أدت هذه السياسة إلى زيادة عداء سلاطين المماليك لكيليكيا، فأرسلوا الحملة تلو الأخرى لتأديب ملوك أرمينيا، وفرض شروطهم ومطالبهم عليهم، ولتخريب المدن الأرمنية وخاصةً ميناء إياس التجاري الذي كان رأس الحربة في الإضرار بالتجارة المملوكية كما سنرى لاحقاً.

٢- حملات الظاهر بيبرس على مملكة أرمينيا الصغرى:

إنَّ نمو العلاقات التجارية بين قارتي آسيا وأوروبا عن طريق ميناء إياس عاد بالفائدة على مملكة أرمينيا الصغرى، وعلى سكان الأقاليم الواقعة خارج حدودها[١]، عدا دولة المماليك التي ألحقت أضراراً بالغةً باقتصادها، وهذا ما أدركه سلاطين المماليك عامةً، والظاهر بيبرس خاصةً الذي تولى السلطنة إثر قتله سيده سيف الدين قطز[٢] بعد معركة عين جالوت، وعاد سلطاناً إلى قلعة الجبل[٣] في القاهرة سنة (٦٥٨ -٦٧٦هـ/ ١٢٦٠-١٢٧٧م) . ما إن استلم بيبرس السلطنة حتى

[١] الدليل على فائدة سكان الأقاليم المجاورة لكيليكيا، أنه عندما استولى أمير البحر الجنوي لوكيتو جريمالدي luchetto grimaldi سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٧م في ميناء قرياقوس korykose الأرمني على سفينة كبيرة تحمل بضائع ثمينة، طالب أصحاب هذ البضائع بالتعويض عنها، وكان من بينهم أرمن من إياس وسوريون من عكا وصور وأنطاكية، وبعض رعايا الخان المغولي في فارس أبغا بن هولاكو، وكان مسلمو سوريا يجلبون إلى سوق إياس كمياتٍ كبيرةٍ من القطن. انظر هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى، ج٢، ص٣١٦.

[٢] أشار بعض المؤرخين إلى حادثة قتل بيبرس لقطز مبررين فعلته هذا بحجة أنه وعده بنيابة حلب إذا انتصروا على المغول، ونكث قطز بوعده، أو أن بيبرس كان حاقداً على قطز بسبب قتله لسيدهم أقطاي بإيعاز من عز الدين أيبك، ولكن الرأي الأقرب إلى الصحة أن الأطماع المادية، والصراع على السلطة هي التي كانت وراء قتل بيبرس لقطز. أما عن تفاصيل مقتله فيروي ابن أيبك الدوادار أن عدداً من الأمراء شاركوا في قتل السلطان، ويذكر المقريزي الرواية نفسها، أما ابن عبد الظاهر فيروي أن بيبرس فعلها منفرداً، ويورد الحكاية باختصار غامض. ابن عبد الظاهر(محي الدين)، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تح: عبد العزيز الخويطر، الرياض، ط١، ١٩٧٦، ص٦٧، ابن أيبك الدوادار (أبو بكر بن عبد الله)، كنز الدرر و جامع الغرر، الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية، تح: أولرخ هارمان، مركز ودود للمخطوطات، القاهرة، ط١، ١٩٧٣م، ص٦١، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٢، ص٤٣٥.

[٣] قلعة الجبل: هي مقر السلطان ودار مملكته، بناها الطواشي بهاء الدين قراقوش سنة ٥٧٢هـ/١١٧١م للملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، وموقعها بين ظاهر القاهرة والجبل المقطم والفسطاط. انظر القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج٣، ص٣٨٢، النويري(شهاب الدين أحمد)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: نجيب فواز، حكمت فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج٣١، ص٥، ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ص٥٣.

واجه أخطاراً عديدةً على الصعيد الداخلي[1] وعلى الصعيد الخارجي، فسارع بالقضاء على المشكلات الداخلية، وتفرغ للخطر الخارجي المتمثل بالإمارات الصليبية في بلاد الشام، والدولة الإيلخانية في بلاد فارس بزعامة هولاكو وخلفائه، بالإضافة إلى الأرمن في كيليكيا، حيث بدأ بشن الحرب على مملكة أرمينيا الصغرى عامةً وميناء إياس خاصةً[2].

كانت البداية بمواجهة الاستفزازات الأرمنية، وهجومها على مناطق في شمال بلاد الشام، حيث قام الملك هيثوم الأول بالتعاون مع سلطان سلاجقة الروم ركن الدين قلج أرسلان، بناءً على أوامر هولاكو لهم بقصد البلاد الإسلامية سنة ٦٦٢هـ/١٢٦٤م، فجهز هيثوم الأول جيشاً مدعوماً بعرب بني كلاب[3]، والذي بلغ تعدادهم نحو ألف فارس، فأغاروا على مرعش وعينتاب[4]، ولكن

---

[1] واجه بيبرس خلال حكمه عدة ثورات منها ثورة علم الدين سنجر الحلبي الذي تسلم نيابة دمشق من قبل قطز، وبعد مقتل قطز استغل الوضع، وقام بالتمرد ضد السلطان الجديد، وأعلن نفسه سلطاناً حاكماً في دمشق، وتلقب بلقب "الملك المجاهد" سنة٦٥٨هـ/١٢٦٠م، ولكن بيبرس تمكن من القضاء عليه، بالإضافة إلى تمرد جماعة من السودان من الغلمان التفوا حول رجل يدعى الكوراني سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م، لكن بيبرس لم يتوار عن قمع التمرد وإخماد حركتهم. انظر النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣٠، ص٣٨، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٢، ص٤٤٠، قاسم، علي، الأيوبيين والمماليك، التاريخ السياسي والعسكري، ص١٤٩.

[2] بيبرس المنصوري(ركن الدين بيبرس بن عبد الله)، التحفة المملوكية في الدولة التركية، تح: عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م، ص٤٥.

[3] كان عرب بني كلاب قد انتشروا على أطراف حلب، وتمكن بنو مرداس الكلابيين سنة ٤١٤هـ/١٠٢٣م من تشكيل إمارة لهم في حلب، وأعمالها عرفت بالإمارة المرداسية، وقد اشتهر عرب بنو كلاب بالشجاعة والفروسية. انظر ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج١، ص٥٤٥. أن العرب سايروا الدولة الأيوبية ولم يخرجوا عليها، كما لم ينقلبوا على سلاطينها، وكان سلاطين الأيوبيين بالمقابل اتبعوا سياسة رشيدة عادلة إزاء جميع المواطنين دون استثناء، في حين افتقد العرب في عصر المماليك هذا النوع من العدالة، وعندما أدرك العرب عزم الأمراء المماليك على الاستيلاء على الحكم، أعلنوا معارضتهم لهذا المبدأ ورفضوا قبوله وطالبوا أن يكون حكم العرب للعرب، ووقع القتال بين الفريقين، كذلك وقفوا إلى جانب الأرمن ضد المماليك حتى استطاع الظاهر بيبرس أن يخضعهم لسلطانه. انظر السيد (محمود)، تاريخ القبائل العربية في عصر الدولتين الأيوبية والمملوكية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط١، ١٩٩٨م، ص١١.

[4] عينتاب: قلعة حصينة ورستاق " أي القرية " بين حلب وأنطاكية، وهي من أعمال حلب، انظر الحموي، معجم البلدان، ج٦، ص٢٥٣، ابن شداد، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، ج١، ق٢، ص١١٠.

الأخبار وصلت على وجه السرعة إلى مسامع الظاهر بيبرس عبر جهازه البريدي الضخم، وأصدره أوامره إلى الجيوش المرابطة في حمص وحماه، فأغارت عساكر المسلمين على عساكر الأرمن وردوهم منهزمين[1].

لم يقف الملك الأرمني هيثوم الأول مكتوف اليد، فاستنجد بسبعمئة فارسٍ من المغول المتواجدين في بلاد سلاجقة الروم، وكذلك بمئةٍ وخمسين فارساً من بوهيموند السادس أمير أنطاكية وطرابلس، تقدموا نحو بلاد الشام، ووصلوا إلى عمق حارم حيث ضربوا خيامهم، ولكن اضطرت الحملة للتراجع بسبب نقص التموين، وقساوة المناخ تاركةً هيثوم الأول مع قواته وحيداً، وبذلك لم يبق أمام هيثوم سوى اللجوء إلى الحيلة، فألبس عساكره السراقوجات[2] ليوهم المسلمين أن نجدة مغولية قد وصلت، وأغاروا على سرمين والفوعة[3]، وما حولها من القرى ينهبون ويسلبون، ولكن سرعان ما تغير الموقف عندما وصلت الجيوش المملوكية[4]، وهاجمت عساكر الأرمن، وردوهم وطاردت فلولهم إلى عمق كيليكيا[5].

---

[1] شافع بن علي، حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، تح: عبد العزيز الخويطر، الرياض، ط٢، ١٩٨٩م، ص١٥٤، النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣٠، ص١٦٥، ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ص١٩٢، سمباد، التاريخ المعزو إلى القائد سمباد الأرمني، ج٣٥، ص٣٣٩.

[2] السراقوج: هو لباس للرأس(قلنسوة) مخروطي الشكل، طويل بحافة مقلوبة إلى أعلى، وكان خاصاً بالعسكريين، وهو الزي المغولي المميز، انظر ابن شداد (عز الدين)، تاريخ الملك الظاهر، تح: أحمد حطيط، مركز الطباعة الحديثة، بيروت، ط١، ١٩٨٣م، ص١٢٤.

[3] سرمين والفوعة: قرى كبيرة من نواحي حلب . انظر الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٢٨٠.

[4] أصدر بيبرس أوامره بنقل وحدات من دمشق إلى الشمال للدعم، وأمر البدو في الشام ألا يسيروا إلى مناطق الرعي سنة ٦٦٢هـ/١٢٦٤، ليستفيد من خدماتهم كونهم فرسانا يتسمون بالخفة والرشاقة، فتعرضت عساكر الأرمن للهجوم من كل صوب. انظر ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ص١٩٦، توراو، الظاهر بيبرس، ص١٤٦.

[5] ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ص١٩٣، ابن أيبك الدوادار، كنز الدرر وجامع الغرر، ج٨، ص٩٥، شافع بن علي، حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، ص١٥٧، ابن واصل،

كان بيبرس يدرك أن مملكة أرمينيا الصغرى تستمد قوتها من المغول عدوه اللدود في بلاد فارس، فكان لابد من عزلها عن حلفائها لتبقى وحيدة، لذلك اتبع نشاطاً دبلوماسياً ضد إيلخانات فارس، تمثل بالتحالف مع عدوهم بركة خان زعيم القبيلة الذهبية الذي اعتنق الإسلام سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م[١]. تبادل الحاكمان بعض الرسائل، وكتب بيبرس إلى بركة خان رسالة سنة ٦٥٩هـ/١٢٦١م يدعوه فيها إلى محاربة هولاكو، إذ أنَ واجبه يفرض عليه كونه مسلماً شن الحرب المقدسة، والجهاد ضد المغول، فرد عليه بركة "إني قدمت أنا وأخوتي لحربه من سائر الجهات، لإقامة منار الإسلام، وإعادة مواطن الهدى على ما كانت عليه من العمارة، وذكر الله والآذان والقراءة والصلاة، وأخذ ثأر الأئمة والأمة"[٢].

ولكي يحكم بيبرس قبضته على مغول فارس، كذلك كتب إلى ملك شيراز [٣]، وإلى ملك اللور [٤] وإلى جماعة بني خفاجة[٥] يستحثهم ضد هولاكو وخلفائه، واتسعت دائرة التحالف لتصل إلى الإمبراطور

مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج٦، ص٣٧٨، سرور(محمد جمال الدين)، الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٨٣م، ص١١٥.

[١] سليمان، المغول والمماليك حتى نهاية عصر الظاهر بيبرس، ص٦٠.

[٢] ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ص١٧١، ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج٦، ص٣٧٩.

[٣] شيراز: بلد عظيم مشهور، وشيراز هي قصبة فارس، وفي وسطها، بينها وبين نيسابور مئتي وعشرون فرسخاً. انظر الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣٢٠، شافع بن علي، حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، ص١٥٩، حاشية رقم(١).

[٤] اللور: ويقال لها اللر أيضا، وهي جبال بين أصبهان وخوزستان، وتلك النواحي تعرف بهم، فيقال بلاد اللر ويقال لها لورستان، وهي عبارة عن قسمين اللر الكبرى في الجنوب، واللر الصغرى في الشمال، انظر ليسترانج، بلدان الخلافة، ص٢٣٥.

[٥] كانت قبيلة خفاجة تقطن في المنطقة الممتدة من هيت والأنبار إلى الكوفة، وكان لهذه القبيلة دور في تسهيل حركة الجيوش المملوكية على ضفتي نهر الفرات، بالإضافة إلى الإغارة على الجيوش المغولية في العراق. انظر الذيابات(آمنة محمود)، القبائل العربية في بلاد الشام في السياسة المملوكية(٦٥٨-٨٤٢هـ)، جامعة مؤته، الأردن، رسالة الدكتوراة، ٢٠٠٠م، ص٤٦. يروي ابن عبد الظاهر في حوادث سنة ٦٦٢هـ أنه: "وصلت جماعة من عرب بني خفاجة، وعلى أيديهم كتب من تأخر منهم بالعراق، ويذكرون أنهم يغيرون على التتار، وأن غاراتهم

البيزنطي ميخائيل الثامن باليولوغوس (٦٥٨-٦٨١هـ/١٢٥٩-١٢٨٢م)[١]. فهذا الوضع الجديد كان له تأثير سلبي على سياسة حكام المغول تجاه مملكة أرمينية الصغرى، فلم يعد بوسعهم تقديم المساعدة المطلوبة، أو إرسال الجيوش لمساعدة الأرمن حين يتعرضون لهجمات المماليك[٢]. أدرك هيثوم ملك أرمينيا بأنه لا يستطيع الاعتماد على المغول، وخاصةً بعد وفاة هولاكو سنة ٦٦٣هـ/١٢٦٥م، وتسلم ابنه أبغا الحكم في إيلخانة فارس(٦٦٣-٦٨١هـ/١٢٦٥-١٢٨٢م)[٣]، وانشغاله بالصراع مع أبناء عمومته من مغول القبجاق، فلجأ إلى الدبلوماسية، وأرسل سفارةً سنة ٦٦٤هـ/١٢٦٥-١٢٦٦م محملةً بالهدايا إلى الظاهر بيبرس ليسترضيه، ولفتح باب المفاوضات[٤].

طالب بيبرس أثناء المفاوضات من هيثوم عدة مطالب تمثلت في إعلان طاعته للمماليك، ودفع الجزية أولاً، وفتح طريق الدروب أمام القوات المملوكية ثانياً، بالإضافة إلى إقامة علاقاتٍ تجاريةٍ حرةٍ واسعة النطاق مع بلاد الشام، إذ كان السلطان مهتماً بموارد الأرمن الزراعية، والحيوانية

تصل إلى باب بغداد والبصرة، ويخبرون بأحوال شيراز وأن ملكها سرغل شاه قتل ملكته، وهي زوجته، ووصلت إليه جماعة من التتار فهزمهم، فكتب السلطان إليه يقوي نفسه، وأحسن السلطان إلى أمراء خفاجة". انظر ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ص١٩٤.

[١] تمكن الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثامن باليولوغوس من استعادة القسطنطينية، وإعادة إحياء الإمبراطورية البيزنطية عام٦٦٠هـ/١٢٦١م بعد القضاء على الدولة اللاتينية التي تأسست إثر الحملة الصليبية الرابعة عام ٦٠١هـ/١٢٠٤م. VASILEV, History of the Byzantine Empire, vol.2, p.580, 588.

[٢] ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج٦، ص٣٥٩، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٢، ص٥٠٢، ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ص١٤٩.

[٣] أبغا بن هولاكو بن تولوي بن جنكيز خان، ولد سنة ٦٣١هـ/١٢٣٤م، وتولى عرش إيلخانة فارس بعد وفاة والده هولاكو سنة٦٦٣هـ/١٢٦٥م، حتى توفي في همذان سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م. انظر الهمذاني، جامع التواريخ، ج٢، م٢، ص٣، سليمان، المغول والمماليك حتى نهاية عصر الظاهر بيبرس، ص٨٨.

[٤] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٤٩٨، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٧، ص١٢٥.

(القمح، الشعير، الخشب، الخيل، البغال)[1]. إلا أن المفاوضات لم تؤد إلى نتيجةٍ إيجابيةٍ، بسبب تخوف هيثوم من ردة فعل مغول فارس في حال موافقته، فرفض الشروط. كانت ردة فعل المماليك أكثر خطورةً وسرعةً، فما أن ذهب هيثوم إلي تبريز عاصمة الأيلخان في فارس سنة ٦٦٤هـ/١٢٦٦م، ليطلب من أبغا المساعدة ضد المماليك، حتى سارع بيبرس بإرسال الجيوش إلى كيليكيا مستغلاً فرصة غياب هيثوم عن بلاده[2]. كلف بيبرس الملك المنصور الثاني صاحب حماه[3] بقيادة الحملة التي انطلقت إلى أرمينيا الصغرى سنة ٦٦٤هـ/١٢٦٦م، إلى جانبه الأمراء عز الدين أوغان[4] وقلاوون الألفي. وما أن وصلت الجيوش المملوكية إلى منطقة الدروب حتى انحرفوا شمالاً ليعبروا جبال الأمانوس[5]، وسارع الأرمن لاعتراض طريقهم أثناء هبوطهم إلى

---

[1] ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٤٩٨، توراو، الظاهر بيبرس، ص١٥٦، كذلك انظر
M. CANAR, « Le royaume d'Arménie-Cilicie et les Mamlouks jusqu'au traité de 1285 » p.228.

[2] عاشور(فايد عاشور)، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين والمغول في العصر المملوكي، جروس بروس، لبنان، ط١، ١٩٩٥م، ص١٥١، عاشور، سلطنة المماليك ومملكة أرمينيا الصغرى، ص٢٤٩، طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلا الشام، ص١٣٤.

[3] الملك المنصور الثاني محمد بن محمود بن محمد(٦٤٢-٦٨٣هـ/١٢٤٤-١٢٨٤م)، وقد حكم إحدى وأربعين عاماً تقريباً، منها تسع سنوات في العصر الأيوبي، واثنان وثلاثون عاماً في عصر سلاطين المماليك. كان له دور كبير في رسم سياسة الأسرة الأيوبية، وعلاقتها مع الدولة المملوكية، حيث توجه إلى مصر، وقاتل مع السلطان سيف الدين قطز في معركة عين جالوت، وعندما تولى بيبرس السلطنة دخل في طاعته، واستمر بحكم مملكة حماه. انظر أبوراس(عبد الرحمن صادق)، علاقة مملكة حماه بدولة سلاطين المماليك، الناشر التركي، طنطا، مصر، ط١، ١٩٩٣م، ص١٦.

[4] الأمير عز الدين أوغان – أي سم الموت– الركني ثم الظاهري، هو مولى السلطان بيبرس، وكان من أعيان الأمراء وأكابرهم في الدولة الظاهرية، وحدث أن غضب علية الظاهر بيبرس، وسجنه في قلعة الجبل حتى مات سنة ٦٧٥هـ/١٢٧٦م، ودفن بمقابر باب النصر ظاهر القاهرة وهو بعمر الخمسين. انظر ابن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، بيروت، ج١٠، ص١٦، ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر، ص٧٣، حاشية(٢).

[5] ظن الأرمن وخاصة ليون بن هيثوم أن الجيوش المملوكية لن تستطيع الهبوط إلى السهل الكيليكي، لأن والده كان قد بنى على رؤوس الجبال أبراجاً، لكن المسلمين تمكنوا من الصعود إلى رؤوس الجبال، والإغارة على المملكة. انظر النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣٠، ص١٨٥، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٧، ص١٢٦.

السهل الكيليكي، وبقرب دربساك جرت معركة حاسمة بين الجيش المملوكي، والجيش الأرمني بقيادة ليون بن هيثوم الأول، انتهت بانتصار المماليك حيث" داستهم العساكر الإسلامية وأفنوهم قتلاً وأسراً".[1]

قتل في هذه المعركة طوروس بن هيثوم، وأسر ولده الثاني ليون، وانتشرت الجيوش المملوكية في بلاد سيس، فقتلوا أعداداً كبيرةٍ من الأرمن، وخربوا العاصمة سيس، وأقام الملك المنصور فيها عدة أيام، بينما توجه الأمير أوغان باتجاه جهة الروم، والأمير قلاوون باتجاه باقي المدن الكيليكية كالمصيصة وإياس وأذنة وطرسوس، وعادوا إلى سيس محملين بالغنائم "حتى بيع رأس البقر بدرهمين ولم يجد من يشتريه"[2].

عندما عاد هيثوم إلى بلاده وجد عاصمته مدمرة، وبلاده مستباحة، وولي عهده ليون أسيراً لدى الجيوش المملوكية، فعادت الاتصالات ثانيةً بين الأرمن والمماليك. سارع هيثوم سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٦م بإرسال سفارةٍ إلى القاهرة برئاسة أخيه "فاساك" بهدف توقيع هدنة مع السلطان بيبرس، وإطلاق سراح ابنه الأسير ليون[3].

---

[1] أبوا الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤، ص٨، ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج١، ق١، ص٣٢٥، سمباد، التاريخ المعزو إلى القائد سمباد الأرمني، ج٣٥، ص٣٤٢، ابن أبي الفضائل(المفضل)، النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، تح و تر: إيتان بلوشية، تاريخ سلاطين المماليك
Histoire des suiltans mamlouks, Imbrimeurs-Editers, Patrologia Orientalis, Paris, 1919, vol.I, p. 494.

[2] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٢، ص٥٥٢، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٧، ١٢٦، عاشور، العصر المماليكي في مصر وبلاد الشام، ص٦٣، توراو، الظاهر بيبرس، ص١٦٧.

[3] ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ص٢٨٢، شافع بن علي، حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، ص٢٣٩، النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣٠، ص٩٩ ، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٢، ص٥٥٥، عاشور، سلطنة المماليك ومملكة أرمينيا الصغرى، ص٢٥١.

اشترط بيبرس أثناء المفاوضات ومقابل أطلاق سراح ليون، الإفراج عن الأمير شمس الدين سنقر الأشقر[1]الذي وقع أسيراً لدى المغول عقب سيطرتهم على مدينة حلب عام ٦٥٨هـ/١٢٦٠، بالإضافة إلى إعادة بعض القلاع التي انتزعها الأرمن من المسلمين في وقتٍ سابقٍ مثل بهسنا ومرزبان ورعبان ودربساك وشيخ الحديد وغيرها من القلاع[2]، ولم تفض هذه المفاوضات إلى أي نتيجة رغم منح بيبرس لهيثوم مهلة سنة لتحقيق مطالبه[3].

وفي سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٦-١٢٦٧م، وبينما كان السلطان في صفد وصلت مجدداً رسل هيثوم الأول و ايزابيلا دي ايبلين حاكمة بيروت حاملة الهدايا للسلطان، من أجل المفاوضة على إطلاق سراح ليون، وتسليم أسرى من المسلمين، بالإضافة إلى رد أموالٍ كانت قد سلبت من تجارٍ مسلمين أبحروا على سفينة إلى قبرص، واعتقلوا هناك خلافاً للقوانين، وقد حمل بيبرس

---

[1] من بين الأمراء الذي هربوا إلى بلاد الشام الأمير شمس الدين سنقر الأشقر الذي كان خوشداش" أي زميل" بيبرس وقلاوون في الطباق. تعرض للسجن في قلعة حلب على يد الناصر يوسف، إثر المواجهة التي قامت بين الناصر يوسف والمغيث عمر صاحب الكرك، وبانتصار الناصر يوسف طلب من المغيث بتسليم المماليك البحرية التي لديه، وكان من بينهم شمس الدين سنقر الأشقر، وعندما سيطر هولاكو على حلب وجد في سجن الناصر سبعة من المماليك البحرية من ضمنهم الأمير سنقر الأشقر، وقد اختلفت الروايات في مصيره سنقر بعد الأسر، حيث يروي المقريزي أن هولاكو أطلق سراحه وأكرمه، بينما يروي ابن عبد الظاهر أن سنقر الأشقر وقع بأسر المغول عندما دخلوا حلب ولم يطلق هولاكو سراحه. والأقرب إلى الصحة هو رأي ابن عبد الظاهر ووجود سنقر الأشقر أسيراً لدى المغول من خلال قيام بيبرس بافتدائه بابن ملك أرمينيا من خلال وجوده في سجون إيلخانة فارس. انظر المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٢، ص٤٢٢، ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ص٣٢٩.

[2] كان هدف بيبرس من استعادة هذه القلاع هو تجريد مملكة أرمينيا من أسباب دفاعها وعزلها عن حلفائها من المغول والفرنج، بالإضافة إلى موقع هذه القلاع الاستراتيجي على طريق التجارة، حيث تتحكم دربساك في الدرب الواصل بينه وبين اسكندرونه، وتكفل انتظام المواصلات بين مملكة أرمينيا الصغرى وأنطاكية. أما بهسنا فتسيطر على الطريق الممتد من سيس إلى سميساط إلى أعالي الفرات، وتتحكم بالمواصلات بين كيليكيا وفارس الخاضعة للمغول. انظر العريني، المغول، ص٢٨٥.

STEWART, *The Armenia Kingdom*, P. 46, not, 10.

[3] ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ص٢٨٠، بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، ص١٠٧، ١٠٨، عاشور(فايد حماد)، العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى، مر: جوزيف نسيم، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٧٥، ص٩٢.

ايزابيلا مسؤولية ذلك كونها زوجة هيو الثاني ملك قبرص، كما جدد مطالبه السابقة بشأن الأمير سنقر الأشقر والقلاع[1].

قرر هيثوم التوجه إلى الأردو[2]، وتمكن من افتكاك أسر الأمير شمس الدين سنقر الأشقر، لكنه ماطل في تسليم القلاع، فجاء الجواب من بيبرس برسالة إلى هيثوم جاء فيها: "إن كنت تقسو على ولدك وولي عهدك أنا أقسو على صديق مابيني وبينه نسب ويكون الرجوع منك لا مني، ونحن خلف كتابنا، ومهما شئت افعل بسنقر الأشقر"[3]. اضطر هيثوم أمام تشدد بيبرس للخضوع لمطالبه وكتبت الهدنة بينهما سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٨م، وأرسل بيبرس ممثليه لاستحلاف هيثوم وتم تبادل الأسيرين، وتنازل الأرمن عن الأماكن الحصينة في مرزبان ورعبان والدربساك وشيح الحديد باستثناء بهسنا كما يروي ابن عبد الظاهر[4].

---

[1] ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ص٢٨٢، شافع بن علي، حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، ص١٢١، النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣١، ص٩٠، بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، ص١٠٨، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٢، ص٥٥٩، توراو، الظاهر بيبرس، ص١٧١.

[2] الأردو : لفظ مغولي معناه المعسكر، وقد استعمل في المراجع العربية والأجنبية بهذا الاسم للدلالة على معسكر ايلخان الدولة المغولية في فارس، انظر المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٢، ص٥٦٩.

[3] النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣٠، ص٩٩، ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ص٣٢٨، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٢، ص٥٦٩، كذلك انظر

G. Hassan, Les relations diplomatiques entre les mamelouks bahrides et les Etatschrétien en Orient (milieu du XIIIe-fin du XIVe siècle), thèse de doctorat, Université de Sorbonne, Paris, 2010, p350.

أما شافع بن علي فيروي أن رد السلطان ورسالته هي" إذا سمحت أنت بولدك الذي هو ثمرة فؤادك، وقرة عينك، فأنا أسمح بسنقر الأشقر أولى، وأين الخوجداش من الولد". انظر شافع بن علي، حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، ص٢٨٠.

[4] ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ص٣٢٩، النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣٠، ص٩٩، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٢، ص٥٦٩، عاشور، العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى، ص٩٢، أما ابن شداد الذي كان معاصراً للأحداث أشار إلى أن سنقر الأشقر تدخل لصالح الأرمن من أجل الاحتفاظ بحصن بهسنا. ابن شداد، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، ج١، ق٢، ص١١٩، وقبل بيبرس هذا الطلب. ولا يمكن فهم الأسباب الحقيقية لهذا الطلب من

وفي العام التالي أي سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٨م، وصلت سفارة أرمنية من هيثوم الأول مع مبعوث من أبغا خان إلى دمشق حيث كان السلطان بيبرس بانتظارها، وقد عرض فيها هيثوم التوسط لإبرام الصلح بين بيبرس وأبغاخان، ولكن السفارة لم تحقق هدفها بسبب اتهام أبغا لبيبرس في رسالته بقتل رسل المغول سنة٦٥٨هـ/١٢٦٠م، والمطالبة بالخضوع له مجدداً. كان جواب بيبرس على هذه السفارة برفض طلب الخضوع، ورفض ما أخذ عليه من تحميله مسؤولية إعدام الرسل الذين قتلوا بناءً على أوامر السلطان قطز، وذكر السفراء مزهواً بانتصار عين جالوت[١].

تنازل هيثوم عن العرش لابنه ليون بعد عودته للبلاد سنة ٦٦٨هـ/١٢٦٩م، وما أن استلم ليون السلطة (٦٦٨-٦٨٨هـ/١٢٦٩-١٢٨٩م) حتى سارع بالتوجه إلى بلاط أبغا خان لبذل يمين الطاعة والولاء، ومن ثم بدأ العمل على إعادة بناء مملكته التي دمرتها الجيوش المملوكية، وأعاد بناء ميناء إياس وأنعش التجارة فيه فاستعادت البلاد ازدهارها ورخاءها[٢].

لكن هذا العداء لم ينته، فقد أغارت الجيوش المملوكية سنة ٦٧٢هـ/١٢٧٣م بقيادة الأمير حسام الدين العينتابي على القلعة الأرمنية كينوك[٣]، جراء قيام حامية القلعة بالإغارة على قوافل المسلمين والتجار، في الوقت الذي حرص فيه بيبرس على سلامة الطرق التجارية، وقد تمكن

سنقر الأشقر إلا أنه عبارة عن امتنان وشكر للأرمن على دورهم في خروجه من سجن المغول. كما أن ابن شداد يشير إلى أن سكان الحصن لم يرغبوا بالخضوع لسلطة الأرمن، خصوصاً بعد دخول المغول على قلعتهم سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠ بل أرادوا الارتباط بالمماليك، ولكنهم لم يتلقوا أي رد على مطلبهم لذلك قرروا الخضوع لسلطة ملك الأرمن، وبما أن بيبرس يعلم بأن العلاقات بين سكان بهسنا والأرمن لم تكن قوية، فإنه لم يجد ضرورة ملحة للمطالبة بضمها. انظر ابن شداد، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، ج١، ق٢، ص١١٨.

[١] بيبرس المنصوري، التحفة المملوكية في الدولة التركية، ص ٦٥، ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ص٣٣٩، توراو، الظاهر بيبرس، ص١٨٢-١٨٣.

[٢] أكانك، تاريخ أمة الرماة، ص٤٣٨، ديشابرهوش، مختصر تواريخ الأرمن، ص٢٤٢.

[٣] كينوك هي نفسها الحدث الحمراء التي بناها سيف الدولة علي بن حمدان، وهي قلعة حصينة بين ملطية وسمسياط ومرعش، ومعنى تسميتها كينوك أي المحترقة، وكان قسطنطين صاحب سيس قد أخذها من ملوك سلاجقة الروم. انظر ابن شداد، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، ج١، ق٢، ص١٧٣، القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج١٤، ص١٦١.

الجيش المملوكي من الاستيلاء على القلعة وقتل حاميتها[١]. وبعد عامٍ واحدٍ أي في سنة ٦٧٣هـ/ نهاية سنة١٢٧٤ومطلع ١٢٧٥م، توجه كذلك الأمير حسام الدين العينتابي بالجيوش المملوكية، وأغار على مرعش وخرب المدينة ونهب ما جاورها[٢].

كما خالف ليون شروط المعاهدة التي أبرمها السلطان بيبرس مع والده هيثوم التي تنص على ألا يجدد بناء أي حصنٍ أو قلعةٍ في البلاد دون استشارة السلطان، وقطع الجزية والهدايا المقررة عليه، وفي هذا يقول بيبرس المنصوري: "فإن صاحب سيس قد قطع الهدايا المقررة عليه، وخالف شروط الهدن، فعادت الموادعة منازعةً والهدنة أهنةً"[٣]، ولم يكتف ليون بذلك بل قام أيضاً بإلباس المقاتلين الأرمن السراقوجات، وادعى أنهم عساكر المغول ليخيف القوافل التجارية ويستولي عليها[٤].

هذه الخروقات لبنود المعاهدة، بالإضافة إلى مكاتبة معين الدين سليمان برواناه[٥] حاكم سلاجقة الروم للسلطان بيبرس يحرضه فيها على الدخول إلى بلاد سيس[٦]، دفعت السلطان المملوكي

---

[١] بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، ص١٤٠

[٢] النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣٠، ص٢١٥-٢١٦، ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ص٤٣٣، بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، ص١٤٤، توراو، الظاهر بيبرس، ص٢١٠.

[٣] بيبرس المنصوري، مختار الأخبار تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة٧٠٢هـ، ص٥٣.

[٤] النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣٠، ص٢١٦.

[٥] البرواناه: كلمة فارسية معناها في الأصل الحاجب، وقد كان معين الدين وزيراً ووصياً على السلطان السلجوقي كيخسرو الثالث وعمره ستة أعوام، خلفا لأبيه السلطان ركن الدين قلج أرسلان الرابع. انظر طقوش، سلاجقة الروم، ص٢٧٥.

[٦] كان معين الدين برواناه قد اشتكى لأبغا أثناء زيارته له من سوء تصرفات آجاي وسماغر نوين القائدين المكلفين بقيادة الحامية المغولية الموجودة في بلاد سلاجقة الروم، واتهم آجاي بالتخطيط لقتله والاتصال بسلطان المماليك، فطلب منه أبغا كتمان الأمر، ووعده بسحب القائدين من بلاد سلاجقة الروم، وعندما عاد معين الدين إلى بلاده وجد أن آجاي حانقاً عليه وشديد الإعراض عنه، فظن أنه قد علم بما جرى بينه وبين آبغا لذلك خشي على نفسه من بطش آجاي، فحمله هذا إلى مكاتبة الظاهر بيبرس سراً، وشجعه على دخول بلاد سلاجقة الروم . انظر ابن شداد، الظاهر بيبرس، ص٧٩.

بيبرس إلى جمع عساكره سنة ٦٧٣هـ/١٢٧٥م، وتوجه إلى الشام ومنها إلى حماه قاصداً بلاد سيس، وفي حماه كلف بيبرس الأميرين عيسى بن مهنا[١] وحسام الدين العينتابي التوجه بقوةٍ عسكريةٍ إلى جهة البيرة لمنع المغول من التقدم نحو الشام أو كيليكيا لتقديم الدعم للأرمن، ثم كلف الأمير قلاوون الألفي وبيلبك[٢] الخازندار[٣] بقيادة الجيش والسير إلى بلاد سيس[٤].

وما إن استولى المماليك على المصيصة حتى لحق بهم الظاهر بيبرس بنفسه "فعبر الدربند من دربساك إلى باب اسكندرونه إلى سيس، فملك إياس وأذنه والمصيصة بعد أن قتلوا من الأرمن خلق كثير وغنموا من الغنائم والدواب والمماليك عدة كثيرة"[٥].

قام الملك الظاهر بحرق مدينة سيس ثم حرق مدينة المصيصة وخربها، وكذلك فعل بباقي المدن الأرمنية، والجدير بالذكر بأن بيبرس بقي في أرمينيا الصغرى حوالي الشهر دون أن يتقدم

---

[١] الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا بن غضبة بن ربيعة، كان على علاقة جيدة مع الظاهر بيبرس، تعود إلى الفترة التي هرب فيها بيبرس إلى بلاد الشام في سلطنة المعز أيبك، فقد نزل بين آل مهنا، وعندما تسلطن بيبرس كتب له بإمرة العرب، واستمر بها حتى وفاته سنة٧٤٤هـ/١٣٤٣م. انظر ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٧، ص٩٨، حاشية رقم(٥)، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٢، ص٤٤٨.

[٢] الأمير بيلبك الخازندار: هو مملوك السلطان الظاهر بيبرس، ولاه السلطان نيابة السلطنة سنة ٦٥٨هـ/١٢٥٩، واستمر في منصبه في عهد السلطان السعيد بركة خان، مات سنة٦٧٦هـ/١٢٧٧م وقيل قتل مسموماً. انظر ابن أيبك الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، تح: نبيل أبو عمشة، علي أبو زيد، محمد موعد، محمود سالم محمد، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٨م،ص٦٤٤، ٦٤٥.

[٣] الخازندار:هو المشرف على خزائن السلطان من نقد وأمتعة. انظر عاشور، العصر المماليكي في مصر وبلاد الشام ، ص٤٣٢.

[٤] بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، ص١٤٤، ، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣٠، ص٢١٦، ابن أيبك الدوادار، كنز الدرر وجامع الغرر، ج٨، ص١٧٨، عاشور، العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى، ص٩٢، سرور، الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عهده، ص١١٦.

[٥] الذهبي(شمس الدين أبي عبدالله)، دول الإسلام، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٥م، ص٣٧٥، ابن أيبك الدوادار، كنز الدرر و جامع الغرر، ج٨، ص١٧٧، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٧، ص١٦٦، النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣٠، ص٢١٦-٢١٧، عاشور، العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى، ص١٠٢، سرور، الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عهده، ص١١٦.

حلفاؤها المغول لمساعدتها، ثم عاد بجيشه محملاً بالغنائم، وكان هدف الظاهر بيبرس من وراء ذلك ألا تقوم لمملكة أرمينيا الصغرى أية قائمة بعد هذه الموقعة، ومنع أي تحالف مغولي أرمني ضده[١].

وهكذا يمكن القول أن العلاقات المملوكية الأرمنية في عهد الظاهر بيبرس كانت عدائيةً من خلال الحرب التي شنها على مملكة أرمينيا الصغرى، ويمكن عدها حرباً اقتصاديةً هدفت لتدمير ميناء إياس، وبالتالي تدمير طرق التجارة التي تمر عبره، وإعادة تنشيط اقتصاد المماليك، أكثر مما يمكن اعتبارها حرباً انتقاميةً ضد الأرمن والمسيحيين، بحجة سياستهم تجاه المسلمين ومساندتهم للزحف المغولي على البلاد الإسلامية.

[١] ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ص٤٣٣.

٣- الظاهر بيبرس وفتح أنطاكية:

كانت مدينة أنطاكية في فترة حكم الظاهر بيبرس من أهم المعاقل الصليبية في المشرق، والتي كانت تتبع للأمير بوهيموند السادس أمير انطاكية وطرابلس، وصهر ملك أرمينيا الصغرى هيثوم الأول، فمثلت بذلك المحور الثالث في التحالف المغولي الأرمني الصليبي.

شرع بيبرس بمهاجمة أنطاكية، وتوجيه ضربةً للصليبيين في بلاد الشام سنة ٦٦٠هـ/١٢٦٢م، فأرسل جيشاً أمضى الصيف بطوله يعمل في إمارة أنطاكية حرقاً ونهباً. وقد تمكن هذا الجيش من الاستيلاء بصورةٍ عابرةٍ على ميناء سان سيمون(السويدية) وتدميره، وكاد الجيش المملوكي أن يستولي على أنطاكية لولا تدخل هيثوم الأول الذي استنجد بهولاكو، وأمده بقوةٍ عسكريةٍ اشتركت مع الجيش الأرمني في إنقاذ المدينة[١]، فعاد الجيش المملوكي إلى القاهرة، ومعهم أكثر من مئتي أسيرٍ، وهذا يدل على أن التحالف بين المغول وأرمينيا الصغرى وأنطاكية ظل قائماً حتى بعد معركة عين جالوت[٢].

عاود بيبرس في سنة ٦٦٣هـ/١٢٦٥م استئناف الحرب ضد الصليبيين، حيث تكمن من فتح مدينة قيسارية وأرسوف على الساحل الشامي، وفي سنة ٦٦٤هـ/١٢٦٦م فتح مدينة صفد[٣]،

---

[١] توراو، الظاهر بيبرس، ص١٣٧.

[٢] شافع بن علي، حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، ص١٠٥،

[٣] تعد صفد من أخطر القلاع الصليبية وهي قاعدة فرسان الداوية. استسلم الداوية بعد ثلاث محاولات هجومية قام بها الجيش المملوكي، وذلك بعد إدراكهم استحالة المقاومة، فطلبوا الأمان، وقيل أن بيبرس أعطاهم الأمان بأن ينسحبوا إلى عكا واشترط عليهم تسليم أسلحتهم، ولكن حدث العكس فما أن سلم الداوية القلعة حتى أمر بيبرس بقتلهم جميعا. هنا اختلفت روايات المؤرخين حول السبب الذي دفع ببيبرس لنقض الأمان، فابن عبد الظاهر يذكر بأن الداوية كانوا يحملون أسلحتهم حين غادروا القلعة، في حين يروي العيني أن بيبرس حين دخل القلعة وجد فيها بعض الأسرى المسلمين. انظر ابن عبد الظاهر،الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ص٢٦٠، العيني (بدر الدين محمود)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تح: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العام للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٨٥م، ج١، ص٤٢١، قاسم، علي، الأيوبيين والمماليك، ص١٦١.

وبذلك جعل أمير أنطاكية وطرابلس بمعزل عن الإمارات الصليبية الأخرى، فأصبح في موقف ضعيف جداً أمام قوة المماليك المتنامية التي حاصرت طرابلس بقيادة الظاهر بيبرس سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٨م، وقد لقيت القوات المحاصرة مقاومة من أمير أنطاكية وطرابلس بوهيموند السادس الذي كان متواجداً في طرابلس آنذاك[١].

انسحب السلطان من طرابلس، فاعتقد بوهيموند أن دفاعه عن المدينة هو السبب في رحيل السلطان، وإحباط الهجوم على طرابلس، ولكن ذلك كان جزءاً من خطةٍ اتبعها السلطان حين أوهم خصمه أن الهجوم الرئيسي كان على طرابلس في حين أن هدف الهجوم الرئيسي كان أنطاكية[٢].

وبناءً على ذلك توجه السلطان إلى حمص، ومنها إلى حماه، وهناك قسم جيشه إلى ثلاث فرق، الأولى بقيادة الأمير بدر الدين بيلبك الخازندار حيث كلفه بالتوجه إلى ميناء السويديه لقطع الإمدادات التي قد تصل إلى أنطاكية عن طريق البحر، والفرقة الثانية بقيادة الأمير عز الدين أوغان، وكانت مهمته التوجه إلى الدربساك لسد الممرات الكيليكية، ومنع وصول الإمدادات إلى أنطاكية من مملكة أرمينيا الصغرى، أما الفرقة الثالثة وهي القوة الرئيسية كانت بقيادة الظاهر بيبرس هاجمت مدينة أنطاكية[٣].

---

[١] النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣٠، ص١٩٤، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٢، ص٥٦٧، الناصر(صفوان حسن طه)، دور الملك الظاهر بيبرس في تحجيم التحالف المغول_الأرمني_الصليبي، مجلة التربية والعلم، المجلد ١٦، العدد(١)، ٢٠٠٩م، ص٧٦.

[٢] قداوي(علاء محمود خليل)، تحالف ملوك أرمينيا الصغرى وأنطاكية الصليبية مع المغول لاحتلال بلاد الشام، جامعة الموصل، العراق،٢٠٠٠م،

[٣] النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣٠، ص١٥٤، سمباد، التاريخ المعزو إلى القائد الأرمني سمباد، ص٣٥، ص٣٤٢، بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، ص١١١، عمران (محمود سعيد)، تاريخ الحروب الصليبية، ص٣٢٨، سرور، الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره، ص٨٦.

تولى أمر القيادة والدفاع عن أنطاكية قائد قلعة بغراس الكند سطبل (سيمون مانسل) الذي كان أرمنياً[1]، ويمت بصلة قربى إلى الأسرة الهيتومية الأرمنية، وقد تسرع وخرج لملاقاة الجيوش المملوكية، لكنه أخفق بمهمته، ووقع في أسر القوات المملوكية، وتفرقت عساكره[2]، فطلبوا منه إعطاء الأوامر إلى حامية القلعة بتسليم المدينة، ولكن رجال الحامية رفضوا تنفيذ هذا الطلب. دخلت الجيوش المملوكية المدينة بعد حصارٍ دام خمسة أيام، وغنموا منها غنائم كثيرة. ويصف بيبرس المنصوري تلك الحادثة قائلاً: "أمر السلطان بجمع المكاسب، فجمع من الأموال و المصوغ ما لا يحصى، وقسمت النقود بالطاسات والشربات، ولم يبق غلام إلا وله غلام"[3].

أدى سقوط إمارة أنطاكية إلى هروب الفرنج الداوية من حصن بغراس[4] وتركه خالياً، فأرسل الظاهر بيبرس قوةً من جنوده استولت على القلعة، وأمدها بالعدة والرجال، وأصبح منذ ذلك الوقت في عداد الحصون الإسلامية، أما الكونتسطبل سيمون مانسل فقد أطلق بيبرس سراحه، وسمح له، ولعائلته بالعودة إلى أرمينيا الصغرى[5].

---

[1] بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، ص١١١، رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، المغول والمماليك ونهاية الشرق الفرنجي، ج٣، ق٢، ص٥٥٧.

[2] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٧، ص١٤٠.

[3] بيبرس المنصوري، مختار الأخبار، تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة ٧٠٢هـ، ص٣٦.

[4] بغراس أو بغراص: قلعة حصينة عند جبل اللكام، بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ، وتطل على نواحي طرسوس، انظر الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤٦٧، ابن شداد، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، ج١، ق٢، ص٤١١.

[5] أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر،ج٤، ص٥، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٧، ص١٤٣، سمباد، التاريخ المعزو إلى القائد سمباد الأرمني، ج٣٥، ص٣٤٧، ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ص٣١٣، توراو، الظاهر بيبرس، ص١٨٧.

ومن أنطاكية أرسل السلطان بيبرس برسالة إلى صاحبها بوهيموند السادس يخبره بفتحها، ويصف له الدمار الذي حلَ بإمارته، ومتهكماً على مكانته بعد فقدانه لها، حيث جعل رتبته تنحط من أمير إلى كونت[1].

وهكذا يمكن القول أن سقوط أنطاكية يعد كارثةً حقيقيةً للصليبيين في بلاد الشام، لأنها بحكم موقعها الجغرافي كانت تشكل لهم سنداً قوياً منذ بداية الحروب الصليبية[2]، يضاف إلى هذا أنها أول إمارةٍ صليبيةٍ أسست في الشرق مع الرها، وقد عاشت مئة وواحد وسبعين عاماً، لذلك عدَ سقوطها نكسةً كبيرة للصليبيين فضلاً على أن انهيارها عجل في انهيار الصليبيين في بلاد الشام عامة[3].

وكان انعكاس سقوط أنطاكية على مملكة أرمينيا الصغرى قوياً، حيث أصبح الطريق إلى كيليكيا مفتوحاً أمام الجيوش المملوكية، وانقطعت صلة الفرنجة في طرابلس وعكا بأرمينيا التي خسرت حليفاً قوياً. وبذلك تبددت فكرة التحالف المغولي الأرمني الصليبي ضد المسلمين المماليك.

---

[1] ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ص٣٠٩، ابن أبي الفضائل، النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، ج١، ص٥٠٩، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٧، ص١٢٩.

[2] الناصر، دور الملك الظاهر بيبرس في تحجيم التحالف المغولي_الأرمني_الصليبي، ص٧٦.

[3] عمران، تاريخ الحروب الصليبية، ص٢٢٩، سرور، الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عهده، ص٨٧.

٥- علاقة المنصور قلاوون مع مملكة أرمينيا الصغرى:

استلم المنصور سيف الدين قلاوون[١] السلطنة بعد عزل العادل بدر الدين سلامش[٢]سنة ٦٧٨هـ/١٢٧٩م، ورغم تغير الحكام لكن العلاقات العدائية بين المماليك و كيليكيا استمرت، ولم تحد سياسة المنصور قلاوون عن سياسة الظاهر بيبرس. لكن المنصور قلاوون تعرض في بداية عهده لعددٍ من المشكلات الداخلية جعلته ينشغل عن الأمور الخارجية، كان أبرزها تمرد الأمير شمس الدين سنقر الأشقر الذي كان نائباً للسلطنة بدمشق، وكان يرى أنه أحق بالحكم بعد الظاهر بيبرس، فعارض استئثار قلاوون بالسلطة في القاهرة، ولم يحلف له يمين الولاء، ولم يرض بخلع سلامش، فأعلن نفسه سنة ٦٧٨هـ /١٢٨٠م سلطاناً بدمشق واتخذ لقب الكامل[٣].

---

[١] الملك المنصور سيف الدين أبي المعالي قلاوون الألفي الصالحي النجمي: السابع من ملوك الترك. أصله من مماليك الأمير آق سنقر الكاملي، ثم قدمه إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب، فأعتقه سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م، واستمر يترقى بالمناصب حتى بلغ سلطنة المماليك في مصر وبلاد الشام سنة٦٧٨هـ/١٢٧٩م. انظر ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج١، ق١، ص٣٤٧، النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣١، ص٣، ابن دقماق (ابراهيم بن محمد بن إيدمر العلائي)، الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، تح: سعيد عبد الفتاح عاشور، مر: أحمد السيد دراج، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٩٨٢م، ص٢٩٥.

[٢] حاول الظاهر بيبرس توريث السلطة لأبنائه من بعد وفاته في دمشق سنة٦٧٦هـ/١٢٧٧م، عندما خلفه ابنه السعيد ناصر الدين محمد بركه خان، وكان يبلغ من العمر تسعة عشر عاماً، ولم يستمر بركه في الحكم بسبب تآمر أمراء المماليك عليه، فخلع نفسه من السلطة سنة ٦٧٨هـ/١٢٧٩م، واستلم مكانه أخوه العادل بدر الدين سلامش، وله من العمر سبع سنوات، وقد عين المنصور قلاوون أتابكاً له، ثم ما لبث أن عزله قلاوون عن العرش بعد ثلاثة أشهر من حكمه بحجة صغر سنه، ونصب نفسه سلطاناً سنة ٦٧٨هـ/١٢٧٩م. انظر ابن ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج١، ق١، ص٣٤٦، النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣٠، ص٢٥٥.

[٣] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٧، ص٢٩٤، الذهبي، دول الإسلام، ص٣٧٧، بيبرس المنصوري، التحفة المملوكية في الدولة التركية، ص٩٢.

سعى سنقر الأشقر إلى تثبيت سلطانه في بلاد الشام، فأرسل قواته إلى غزة لمنع القوات المصرية من الزحف على الشام، ولكن خانه معظم عساكره، وانضموا إلى الجيش المصري الذي استطاع هزيمته، ففر إلى الرحبة وكاتب مباشرةً أبغا خان، وشرح له الاختلاف الواقع بين العساكر الإسلامية، وحثه على قصد البلاد بجيوشه ووعده بالانحياز إليه لمساعدته[1].وبناء على ذلك سارع المغول بالقدوم إلى المنطقة، فقد وجه أبغا بالتعاون مع حليفه الأول حاكم أرمينيا الصغرى حملةً استطلاعيةً إلى بلاد الشام سنة٦٧٩هـ/١٢٨٠م، تمكنت من مهاجمة حلب وقتل الكثير من أهلها، كما أحرقوا الجامع الكبير فيها ودار السلطنة والأمراء ، ثم رحلوا عنها بعد يومين من العبث فيها[2].

تنبه السلطان إلى خطر قدوم المغول وانحياز الأمراء الهاربين إلى جانبهم، فبادر مباشرةً إلى عقد الصلح مع سنقر الأشقر، ودعاه إلى محاربة المغول، وخرج من مصر، متوجهاً إلى دمشق، ودعا فيها إلى التعبئة. ومن دمشق سار الجيش المملوكي بقيادة السلطان إلى حمص. في الوقت نفسه خرج المغول في جيشٍ كبيرٍ بقيادة أبغاخان نفسه نحو بلاد الشام، فنزل أبغا عند قلعة الرحبة، وتقدم منكوتمر بن هولاكو حتى وصل حمص، وانضم إليه جيشٌ أرمنيٌ بقيادة ليون الثالث بالإضافة إلى حشود من الكرج والعجم والسلاجقة وغيرهم[3].

---

[1] ابن حبيب (الحسن بن عمر)، تذكرة النبيه في أيام المصور وبنيه، تح: محمد أمين وسعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٧٦م، ج١، ص٥٧، النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣١، ص١٤، ١٥، ١٩.

[2] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٣، ص٣٨٢، ابن حبيب، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، ج١، ص٥٩، الذهبي، دول الإسلام، ص٣٧٨، ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج١، ق١، ص٣٢٠.

[3] ابن حبيب، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، ص٦٣، أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤، ص١٥، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٣٤١، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٣، ص٦٩٢، سرور(محمد جمال الدين)، دولة بني قلاوون في مصر، الحالة السياسية والاقتصادية بوجه خاص، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، ص١٦٢، كذلك انظر STEWART, The Armenia Kingdom, P.54.

التقى الجيشان المغولي والمملوكي بالقرب من حمص، وجرت المعركة بتاريخ ٦٨٠هـ/١٢٨١م وانتهت بانتصار جيش المماليك، وانهزام المغول بعد انسحاب منكوتمر من المعركة لإصابته، أمام هذه الهزيمة الكبيرة للمغول اضطر الملك الأرمني للانسحاب متوجها إلى حصن بغراس، وهناك وقع في كمين نصبه له التركمان والأكراد، فلم يصل إلى سيس إلا ومعه القليل من فرسانه[١].

تبع هزيمة المغول والأرمن في واقعة حمص موت أبغا سنة٦٨١هـ/١٢٨٢م، وخلفه أخوه أحمد تكودار[٢] الذي نشأ على المسيحية. وتعمد في صباه باسم نيقولا، ولما بلغ الرشد، اعتنق الإسلام لاتصاله بالمسلمين الذين كان كلفاً بهم[٣]، وبناءً على ذلك فقد بدأ فصل جديد في العلاقات بين المماليك ومغول فارس كان السائد فيها علاقات تقارب وسلام. أرسل الخان أحمد سفارتين سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م و٦٨٣هـ/١٢٨٤م إلى السلطان يخبره بإسلامه ويسأله: "اجتماع الكلمة وإخماد الفتنة والحرب"[٤] من مبدأ اجتماع الطرفين على دين واحد[٥].

لاشك أن هذا التحول الذي طرأ على السلطة في إيلخانة فارس قد أثر على المسيحيين عموماً، وعلى مملكة أرمينيا الصغرى خصوصاً، فقد أصبح محتماً عليها أن تواجه سياسة المماليك

---

[١] ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، ص٤٤، بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، ص١٩٦، مونتريال، أعمال القبارصة، ص٢٥٧، الذهبي، دول الإسلام، ص ٣٧٩.

[٢] الخان أحمد تكودار: هو أول حاكم مغولي اعتنق الدين الإسلامي، وحكم الدولة الإيلخانية (٦٨١-٦٨٣هـ/١٢٨٢-١٢٨٤م)، وقد اغتيل من قبل أحد أفراد الأسرة المغولية. انظر ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، ص٢، أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤، ص٢٦٠.

[٣] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٧، ص٢٦٢، حاشية رقم(٣)، سرور، دولة بني قلاوون في مصر، ص٢٢٦، حاشية رقم(٣).

[٤] ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، ص٦، النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣١، ص٨٩، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٣، ص٩٧٧، ملحق رقم(٧).

[٥] ساد الهدوء جبهات القتال بين المماليك ومغول فارس في عهد أحمد تكودار والسلطان قلاوون، حيث لم تذكر المصادر التاريخية أية صدامات ومعارك اندلعت بينهم.

العدائية لوحدها دون أن تنتظر أي دعم قد يأتيها من فارس. أدرك السلطان قلاوون هذا الأمر فأصدر أوامره إلى نائب حلب بالتوجه إلى بلاد الأرمن سنة٦٨٢هـ/١٢٨٣م، كرد فعلٍ على مشاركة الأرمن في الغارات المغولية التي شنت سابقاً على بلاد الشام، وهاجمت الجيوش المملوكية ميناء إياس وأعملوا الحرق والنهب فيه، واشتبكوا مع الأرمن عند باب اسكندرونه، وسرعان ما حلت الهزيمة بالأرمن ولحقوا بهم حتى تل حمدون وعادوا إلى بلادهم وهم محملين بالغنائم[١].

أدرك ليون الثالث بأنه لا قدرة له على مواجهة الجيوش المملوكية، وخاصة بعد أن فقد دعم المغول لذلك قرر الاتجاه إلى السلم، وطلب الهدنة وفتح باب المفاوضات مع السلطان المملوكي قلاوون سنة٦٨٤هـ/١٢٨٥م، موسطاً بينهم مقدم الداوية أفرير كليام ديباجوك لأنه في أغلب الأوقات "كان رسل صاحب سيس كلما حضروا أمسكوا وعوقوا، ولا يرد لهم جواب"[٢].

استجاب السلطان لطلب ليون الثالث بشأن تحقيق صلح بين الطرفين، وتم عقد معاهدة سلام سنة ٦٨٤هـ/١٢٨٥م، وهي معاهدة السلام الوحيدة الموقعة بين مملكة أرمينيا الصغرى ودولة المماليك التي وصلت إلينا، وذلك من قبل ابن عبد الظاهر كاتب الدست لدى السلطان قلاوون في كتابه " تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور"، وأهم ما تضمنت هذه المعاهدة تقديم ملك الأرمن جزية سنوية للسلطان مقدارها ألف ألف درهم قطيعة من دراهم وأصناف

---

[١] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٣، ص٧١٦، ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، ج٢، ص٣١، سرور، دولة بني قلاوون في مصر، ص٢٢٦.

[٢] استناداً لما ورد لدى ابن عبد الظاهر فإن مقدم الداوية كان قد قدم خدمة جليلة للسلطان قلاوون، لذلك قبل السلطان وساطته وشفاعته لصاحب سيس. انظر ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، ص٩٢.

أخرى[1]، ويطلق ملك الأرمن سراح الأسرى المسلمين كافة الذين بحوزته، بالإضافة إلى إطلاق حرية التجارة، وحركة التجار في الأراضي الخاضعة للأرمن، وفي حال حدوث أي اعتداء على تاجر مسلم تقع المسؤولية على ملك الأرمن[2].

تعكس بنود هذه المعاهدة مدى الضعف الذي آلت أليه مملكة أرمينيا الصغرى، ومن ورائها حلفاؤها المغول، وتركيز المماليك على الجانب الاقتصادي للسيطرة على التجارة وطرق المواصلات. لم تحتو المعاهدة على أي بند يتضمن المطالبة بتسليم أي قلعة من قلاع الأرمن للمسلمين، حيث ذكر ابن عبد الظاهر أنه: " انتفعت خزائن الأموال بهذه الجملة العظيمة التي تحمل في كل سنة، ولو فتحت وعمرت سيس لما فضل عن كلفها هذا القدر"[3]. وهذا دليل على مقدار الأموال التي تحصل عليها المماليك من الأرمن، بالإضافة إلى ذلك أجبر المماليك الأرمن على المتاجرة معهم، وذلك كوسيلة للالتفاف على الحصار الاقتصادي المفروض عليهم من قبل البابوية[4].

---

[1] ضمت الجزية السنوية خمسمائة ألف درهم حجر فضي، وخمسون رأساً من الخيل والجياد والبغال الجيدة، بالإضافة إلى عشرة ألاف تطبيقة – لوح من الحديد أو النحاس به مسمار وهو لحدو الخيل– وهدايا وأقمشة. ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، ص٩٣.

[2] ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، ص٩٣، كذلك انظر

- NORTHRUP, L.S., *From Slave to sultan: the career of al-Mansur Qalawun and the Consolidation of Mamluk Rule in Egypt and Syria (678-689A.H./1279-1290A.D.)*, Franz Steiner Verlag, Stuttgart, 1998, p132,133.

[3] ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، ص٩٣.

[4] Luisetto, Frederic, Armenienset autre schretiens d'oeient sous la domination mongol, Geuthner, p. 128, 129.

أرسل السلطان قلاوون ممثليه لتحليف الملك ليون الثالث، والتصديق على الهدنة المعقودة بين الجانبين، وإحضار مقدار جزية سنوية مقدمة، بالإضافة إلى إحضار الأسرى المسلمين والتجار وغيرهم[١].

ولكن سرعان ما اضطربت الأوضاع الداخلية في مملكة أرمينيا الصغرى عقب وفاة ليون الثالث سنة ٦٨٨هـ/١٢٨٩م، حين تنازع أفراد الأسرة الهيثومية فيما بينهم على العرش، إلى أن استلم هيثوم الثاني عرش مملكة أرمينيا الصغرى(٦٨٨-٧٠٥هـ/١٢٨٩-١٣٠٥م). وقد وجد نفسه مقيداً بمعاهدة تلزمه بدفع جزيةٍ سنويةٍ كبيرةٍ إلى المماليك. فأرسل الرسل إلى السلطان المنصور، وهو على حصار طرابلس، يسألون الرحمة، ويؤكدون على الطاعة والولاء له، وجاء جواب السلطان باستمرار تقديم القطيعة السنوية بالإضافة إلى تسليم قلعتي بهسنا ومرعش نظراً لأهميتهما التجارية.[٢]

لقيت مطالب قلاوون تجاوباً من الأرمن، باستثناء التخلي عن بهسنا ومرعش، مبررين عجزهم عن تسليمهما بخوفهم من المغول، عارضين عوضهما مبالغ كبيرة من المال[٣]، لأن المغول كانوا ليعارضوا سيطرة المماليك على القلعتين، لأن في ذلك تحركاً ملحوظاً للحدود باتجاه الشمال، وعرقلة المواصلات بين المغول الإيلخانيين وسلاجقة الروم وكيليكيا باتجاه الفرات الأعلى، وبدورهم كان الأرمن يعارضون فقدان هذه الممرات الحيوية بالنسبة لحماتهم المغول[٤].

---

[١] ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، ص٩٣.

[٢] النويري، نهاية الأرب في فنون الأرب،ج٣١، ص١٦٢، ابن أيبك الدوادار، كنز الدرر وجامع الغرر، ج٨، ص٢٩٩، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٣، ص٧٤٨.

[٣] النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣١، ص١٦٢، ابن أيبك الدوادار، كنز الدرر وجامع الغرر، ج٨، ص٣٠٠. بينما يضيف ابن أبي الفضائل تل حمدون إلى مرعش وبهسنا. انظر ابن أبي الفضائل، النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، ج٢، ٥٣١.

[٤] - STEWART, The Armenia Kingdom, P. 73.

وهكذا يمكن القول إن دولة المماليك البحرية كان لها دورٌ كبيرٌ في إيقاف تقدم الغزو المغولي في البلاد الإسلامية، واستعادة بلاد الشام من المغول، في الوقت الذي تعرض فيه حلفاء المغول في المنطقة المتمثلين بالأرمن في كيليكيا والصليبيين في أنطاكية تبعية هزيمة المغول من خلال الحملات والضربات التي وجهتها لهم دولة المماليك، وخاصة مملكة أرمينيا الصغرى. فالحرب التي خاضها المماليك ضدها كانت أكثر صعوبة وأطول مدة من الحرب التي خاضوها ضد الإمارات الصليبية في بلاد الشام، ومرد ذلك أنه على الرغم من انهزام مملكة أرمينيا الصغرى عسكرياً أمام المماليك في أغلب الأوقات، فإنها لم تنهزم تجارياً، الأمر الذي أعطاها القدرة على الصمود فترة أطول.

الفصل الثالث:

تدهور أوضاع مملكة أرمينيا الصغرى وسقوطها سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٥م

١. سياسة الأشرف خليل والسلطان لاجين تجاه الأرمن

٢. دور الأرمن في غزوات غازان خان على بلاد الشام.

٣. الحملات المملوكية على كيليكيا في عهد الناصر محمد بن قلاوون.

٤. الناصر محمد وليو الخامس.

٥. ضعف مملكة أرمينيا الصغرى وسقوطها.

شهد العشر الأخير من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، اضطراباً في العلاقات بين القوى في الشرق الأدنى، فمن ناحية لم تكن أحوال إيلخانة فارس تسمح لهم بمواصلة سياسة الغزو، والإغارة على العالم الإسلامي، وذلك لأسباب عديدة منها الصراع الداخلي على العرش المغولي في فارس، والذي انتهى بتولي نائب خراسان " غازان" الحكم سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٥م، الأمر الذي انعكس سلباً على حلفائهم حكام مملكة أرمينيا الصغرى، وخاصةً الملك هيثوم الثاني الذي سارع بطلب الدعم، والمساعدة من البابوية، وملوك أوروبا مقابل تطبيق تعاليم الكنيسة اللاتينية، لكن الأرمن عدوا ذلك مساساً باستقلال كنيستهم وخروجاً عن تعاليمها، مما أدى إلى انقسام الشعب الأرمني، واندلاع حرب أهلية زادت من ضعف المملكة.

أما من الناحية الأخرى فكانت دولة المماليك البحرية في أوج قوتها في عهد أسرة بني قلاوون، بدءاً من الأشرف خليل الذي تمكن من السيطرة على عكا، وطرد آخر بقايا الإمارات الصليبية من بلاد الشام، وما رافقه من تداعيات ذلك على مملكة أرمينية الصغرى، وصولاً إلى سلطنة الناصر محمد بن قلاوون التي استمرت فيها العداوة التقليدية بين المماليك والأرمن، بسبب سياسة الأرمن، وتحالفهم مع مغول فارس عدو المماليك اللدود، واشتراكهم إلى جانب غازان خان في الهجوم على بلاد الشام، الأمر الذي أدى إلى استمرار توجيه الجيوش المملوكية إلى كيليكيا، التي تمكنت في عهد خلفاء الناصر محمد بن قلاوون من الاستيلاء على العاصمة سيس، وبالتالي القضاء على مملكتهم سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٥م، وضمها نهائياً إلى حوزة الدولة المملوكية.

١ – سياسة الأشرف خليل والسلطان لاجين تجاه الأرمن:

تولى الأشرف خليل[١] الحكم بعد وفاة والده المنصور قلاوون سنة ٦٨٩هـ/١٢٩٠م، وقد استهل حكمه بالتخلص من المعارضين من رجال الدولة البارزين الذين تمتعوا بالقوة، والنفوذ في عهد والده، كما سار على نهج أبيه في سياسته الخارجية، وجهاده ضد الصليبيين حتى تمكن سنة٦٩٠هـ/١٢٩١م من تحرير عكا[٢] وبالتالي تحرير بلاد الشام من الإمارات الصليبية[٣].

في تلك الأثناء كان الملك هيثوم الثاني ملك أرمينيا الصغرى قد عمد على قطع الجزية المقررة عليه بناءً على معاهدة ٦٨٤هـ/١٢٨٥م التي أبرمها سلفه الملك ليون الثالث مع السلطان المملوكي المنصور قلاوون، فكتب الأشرف خليل إلى الملك هيثوم الثاني يهدده ويشيد بعظمة الجيوش المملوكية، ويطلب منه دفع الجزية المقررة عليه، وتقديم واجب الولاء للسلطان، كما جدد طلب أبيه بتسليم قلعتي مرعش وبهسنا[٤].

---

[١] الأشرف خليل: هو السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي النجمي، تولى الحكم يوم وفاة أبيه سنة ٦٨٩هـ/١٢٩٠م، وهو الملك الثامن من ملوك الترك في الديار المصرية. انظر ابن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٣، ص٢٤٩، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٣٥٤.

[٢] استولى الصليبيون على عكا في عام ٤٩٨هـ/ ١١٠٤م، ثم حررها صلاح الدين الأيوبي في عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م، وبقيت في أيدي المسلمين حتى استولى عليها الملك الصليبي ريتشارد قلب الأسد في عام ٥٨٧هـ/١١٩١م، وظلت بأيدي الصليبين حوالي مئة عام، حتى تمكن الأشرف خليل من استعادتها سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م. انظر رنسيمان، تاريخ الحملات الصليبية، مملكة عكا، ج٣.

[٣] ابن حبيب، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، ج١، ص١٣٧، النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣١، ص١١٤، حسين، دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص١٨٨.

- T. S. R. Boase, *The Cilician Kingdom of Armenia*, St. Martin’s Press, New York, p146.(1ère édition 1978) .

[٤] ابن أيبك الدوادار، كنز الدرر وجامع الغرر، ج٨، ص٣٢٠، سرور، دولة بني قلاوون في مصر، الحالة السياسية والاقتصادية في عهدها بوجه خاص، ص٢٢٥.

ومع مماطلة هيثوم الثاني في تنفيذ مطالب السلطان، قرر الأشرف خليل سنة ٦٩١هـ/١٢٩٢م الاستيلاء على قلعة الروم[1] الواقعة على نهر الفرات " إذ لم يبق في أطراف مملكته شيء خارج عن يده سواها، وكانت مغيرة على المسلمين المجاورين لها وعابري السبيل المترددين من تحتها" استناداً لما رواه بيبرس المنصوري[2].

كان للمغول شحنة من العساكر في القلعة، فاتفقوا مع أهل القلعة على قطع الطرق على التجار المسلمين، وتمكنوا من أسر عدد كبير منهم مخالفين بذلك شروط الهدنة المبرمة بين الملك ليون الثالث والمنصور قلاوون، لاسيما البند الذي ينص "على أن قلعة الروم وخليفة الأرمن الكتاغيكو[3] المقيم بها ورهبانه، ومن يتعلق به بهذه الجهة، وبما لها وبها من الرعية والفلاحين يكونون داخلين في حكم هذه الهدنة....، إن تردد التجار من الجانبين بأموالهم وبضائعهم ومتاجرهم صادرين واردين. وليخفروا إلى حدود البلاد ولا يمنعوا من التردد ولا يؤذوا بسبب من الأسباب...."[4]

---

[1] قلعة حصينة في غربي الفرات مقابل البيرة، بينها وبين سميساط، بها مقام بطرك الأرمن خليفة المسيح عندهم. انظر الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٩٠. سيطر الفرنجة على القلعة أثناء الحملة الصليبية الأولى، وأصبحت من أملاك إمارة الرها عام ٤٩٢هـ/١٠٩٨م، ثم قامت زوجة الأمير جوسلين الثاني بالتنازل عنها للكاثوليكوس الأرمني عام٥٤٦هـ/١١٥١م، وهو الرئيس الأعلى للكنيسة الأرمنية، حيث جعل منها مركزاً لإقامته، وضمت إلى مملكة أرمينيا الصغرى عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م. انظر
DEDEYAN, Gerard, (dir), Histoire du people armenien, privat, Toulouse, 2007, p.347-348.

[2] بيبرس المنصوري، التحفة المملوكية في الدولة التركية، ص١٣٠، بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، ص٢٨٨.

[3] الكتاغيكو: هو بطريرك الأرمن، ويسمى الكاثوليكوس أو الجاثليق، يطلق عليه بالأرمنية الكاثاغيكوس. انظر ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، ص١٠١، حاشية رقم(٤).

[4] ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، ص١٠١.

اتخذ المغول والأرمن من قلعة الروم قاعدة لشن غاراتهم، وهجماتهم على حلب، ولجأ إليها عدد كبير من المغول الإيلخانيين بسبب الحروب الداخلية، بعد وفاة آراغون[1] سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م، وعلى الفور أعلم نائب حلب السلطان المملوكي بذلك، فكتب إلى نائب دمشق، ونائب حلب بالاستعداد لحصارها[2].

رحل السلطان من القاهرة سنة٦٩١هـ/١٢٩٢م على رأس جيش كبير قاصداً قلعة الروم مركز الكاثوليكوس الأرمني، وكان يتولى أمر الدفاع عنها البارون ريمون" خال هيثوم الثاني". وبعد أن فرض المسلمون الحصار على القلعة[3]، أدرك هيثوم الثاني ملك أرمينيا عجزه عن تقديم النجدة للمدافعين عنها، لذلك لجأ إلى الحيلة، حيث يروي "العيني" في "عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان" أن هيثوم جهز ثلاثة من أمرائه على رأس خمسة آلاف فارس، بعد أن ألبسهم لباس المغول، وجعل على رؤوسهم السراقوجات، وحملهم رايات، وطبول كالمغول، وأمرهم بالتوجه إلى الفرات، وعبوره بحذر شديد لكي يراهم المسلمون فيظنوا أنهم دعم مغولي، ليحذروا الجيش المملوكي منهم، ويرفعوا الحصار عن القلعة، لكن الأرمن لم يتنبهوا إلى أن خدعتهم أصبحت مكشوفة لدى المماليك[4].

وبالفعل نجحت الخطة في البداية، عندما نقل عرب بني مهنا أخبار الحملة إلى المماليك، كما وصل الخبر إلى المدافعين عن القلعة الذين فرحوا بذلك. مع ذلك عوضاً من أن يرفع الأشرف

---

[1] اراغون بن أبغا بن هولاكو بن تولوي بن جنكيز خان، ثار على عمه الخان أحمد تكودار، وتولى الحكم في ايلخانية فارس بعد مقتل عمه سنة (٦٨٣-٦٩٠هـ/١٢٨٤-١٢٩١م). انظر ابن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٨، ص٢٢٧، أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤، ص٦٨٢. لاين، عصر المغول، ص٣٣.

[2] ابن أبي الفضائل، النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، ج٢، ص٣٩٨. العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج٣، ص١١٠، ١١١. عاشور، العصر المماليكي في مصر وبلاد الشام، ص٤٩.

[3] المدور، الأرمن عبر التاريخ، ص٢٣٨. أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤، ص٣٦.

[4] العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان. ج٣، ص١١٤.

خليل الحصار، فقد أرسل قوةً من جيشه إلى الفرات لملاقاة الأرمن المتنكرين بزي المغول، لكنهم لم يجدوا أحداً، وعلموا أن الغزو المغولي عبارة عن إنذار كاذب[1].

بعد ثلاثة وثلاثين يوماً من الحصار فتحت القلعة بالسيف، وملكها المسلمين بعد أن وقع الكاثوليكوس الأرمني بالأسر، وبلغ عدد الأسرى ما يزيد على ألف ومائتي أسير، ونُهبت الكنائس ومقر الكاثوليكوس ودُمرت وسُرقت ذخائر القديسين الثمينة وكنوز الكنائس[2].

وبعد أن استقرت الأمور للمماليك أمر السلطان خليل أن يتغير اسم القلعة من قلعة الروم إلى قلعة المسلمين الأشرفية، ومنذ ذلك الوقت أصبحت القلعة مركزاً متقدماً لرصد تحركات المغول، وكشف أخبارهم[3].

بعد فتح قلعة الروم، عاد السلطان إلى دمشق، ومنها إلى القاهرة التي تزينت إحتفالاً بالنصر سنة٦٩٢هـ/١٢٩٢م، ومن هناك جهز الجيوش وتهيأ لغزو سيس التي أصبحت مقراً للكنيسة

---

[1] العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج٣، ص١١٥.

- S. Der Nersessin, « The Kingdom of Cilician Armenia », *A History of the Crusades*, vol. 2, *The Latre Crusades (118-1311)*, éd. K. M. Setton, University of Wisconsin Press, Madison, 1969, p. 630-656.

DEDEYAN, Gerard, (dir), Histoire du people armenien, privat, p.370.

[3] بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، ص٢٨٩. ابن حبيب، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، ج١، ص١٤٩. العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ص١١٦. أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤، ٣٧ . ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٨، ص١٠. أرسل الأشرف خليل كتاباً إلى قاضي دمشق يبشره فيه بفتح قلعة الروم، قال فيه: " نبشره بفتح ما سطرت الأقلام إلى الأقاليم أعظم من بشائره، ولا نشرت برد المسرات، بأحسن من إشارته وأشائره. ولا تفوهت ألسنة خطباء هذا العصر على المنابر، بأفصح من معانيه، في سالف الدهر وغالبه، وهو البشرى بفتح قلعة الروم، هذا الفتح المبين، والمنح الذي تباشر به سائر المؤمنين...، كانت هذه القلعة المذكورة للثغور الإسلامية بمنزلة الشجى في الحلق، والغلة في الصدر...، وقد سكن أهلها إلى مخادعة الجار وموادعة التتار، وممالأتهم على الإسلام بالنفس والمال، يمدونهم بالهدايا والألطاف، ويدلونهم على عورات الأطراف، ويدَعون أن قلعتهم لم تزل من الحوادث في ذمام.." انظر النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣١، ص١٤٣، ابن أيبك الدوادار، كنز الدرر وجامع الغرر، ج٨، ص٣٢٤، سرور، دولة بني قلاوون في مصر، ص١٧٣.

الأرمنية، وكان هدفه الاستيلاء على القلاع، وخاصة بهسنا. لكن الملك هيثوم الثاني تدارك الأمر بسرعة، وقام بإرسال رسله أو مبعوثيه إلى السلطان لطلب العفو منه والصفح. وافق السلطان خليل بعدما استشار أمراءه الذين شفعوا بصاحب سيس، وتم الاتفاق على أن يضاعف الأرمن القطيعة السنوية، ويتنازلوا للمماليك عن بهسنا ومرعش وتل حمدون[١]، مقابل عزول الأشرف عن مهاجمتهم، فصارت تلك القلاع في حوزة المسلمين دون قتال. وفي الواقع أن ملك أرمينيا أراد شراء السلم لبلاده بتنازله عن تلك القلاع، ولكنه سلم مؤقت، وأقصى ما حصل عليه هو تأجيل الحرب[٢].

ولكن سرعان ما اضطربت الأوضاع الداخلية في السلطنة المملوكية، عندما قتل الأشرف خليل سنة٦٩٣هـ/١٢٩٣م على يد كبار أمرائه[٣]، فوقع الاختيار على الناصر محمد بن قلاوون، وهو في التاسعة من عمره، وبعد سنة من حكمه عزل وعين بدلاً منه الأمير زين الدين كتبغا[٤](٦٩٤-

[١] تل حمدون: تقع في الزاوية الجنوبية الشرقية من كيليكيا وجنوبي جيحان في موقع استراتيجي مهم، تشرف على معظم الطرق غرباً باتجاه أذنة، وشرقاً باتجاه بوابات أمانوس وعينتاب، وجنوباً باتجاه إياس واسكندرونة، وشمالاً باتجاه سيس. انظر STEWART, A.D, The Armenia Kingdom, p98.

[٢] النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣١، ص ١٥٧، ابن أيبك الدوادار، كنز الدرر وجامع الغرر، ج٨، ص٣٤٠، ابن أبي الفضائل، النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، ج٢، ص٣٩٩، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٨، ص١٢، سرور، دولة بني قلاوون في مصر، ص ٢٢٥، كذلك انظر SETTON, A History of the Crusades, vol. 2, p.656.

[٣] يذكر مؤرخو العصر المملوكي أنَ الأشرف خليل تمادى في كبريائه، وتعاظمه على الأمراء بعد الاستيلاء على عكا، فتآمروا على اغتياله، وكان على رأسهم نائب السلطنة بيدرا، وتم لهم ما أرادوا، عندما كان الأشرف في نزهة فوثبوا عليه وقتلوه، وهو في الثلاثين من عمره، بعد أن حكم ثلاث سنوات. انظر ابن أبي الفضائل، النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، ج٢، ص٤٠٥، ٤٠٦، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٣، ص٧٩٠، ابن أيبك الدوادار، كنز الدرر وجامع الغرر، ج٨، ص٣٤٧.

[٤] السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري التركي المغولي، من أسرى التتار الذين أسرهم السلطان المنصور قلاوون في موقعة حمص سنة٦٨٠هـ/١٢٨١م، غير أنه خلع من السلطنة سنة٦٩٦هـ/١٢٩٦م، بعد أن حكم سنتين وقع خلالها في الديار المصرية الغلاء وانتشار الوباء وقصر النيل، ولما خلع من السلطنة تولى نيابة صرخد ثم حماه، توفي سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م. انظر ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر=

٦٩٦هـ/١٢٩٤-١٢٩٦م) الذي تعرض لمؤامرة دبرها الأمير حسام الدين لاجين[1]، وأعلن نفسه سلطانا للبلاد سنة٦٩٦هـ/١٢٩٦م[2].

في الوقت نفسه كانت فيه مملكة أرمينيا الصغرى أيضا تمر بقلاقل داخلية نتيجة النزاع على العرش، إذ تنازل هيثوم الثاني عن الحكم لأخيه طوروس الثالث سنة ٦٩٢هـ/١٢٩٢م، وترهب في أحد الأديرة باسم الراهب جان، ومع ذلك استمر طوروس وكبار البارونات بالذهاب إلى الدير لاستشارته في الأمور الهامة، وبفضل إلحاحهم عليه نجحوا في إجباره على العودة ثانية إلى عرش المملكة سنة ٦٩٥هـ/١٢٩٥م[3].

وفي عام ٦٩٦هـ/١٢٩٦م توجه هيثوم الثاني إلى القسطنطينية بصحبة طوروس، وكلف أخاه سمباد (٦٩٦-٦٩٨هـ/١٢٩٦-١٢٩٨م) بإدارة شؤون البلاد، فما كان من سمباد إلا أن اغتصب العرش لنفسه، عندما دعا رجال الدولة، والأمراء الأرمن، وأقنعهم بأن هيثوم الثاني لا يحق له بالحكم بعد أن ترهب، فتوج ملكاً على أرمينيا الصغرى، وضرب النقود باسمه، وبناءً على ذلك

=والقاهرة، ج٨، ٥٠، القرماني، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، ج٢، ص٢٧٧، ابن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٤، ص٢٤٠.

[1] حسام الدين لاجين المنصوري، جركسي الأصل، تولى السلطنة سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٦م، كان مملوك الملك المنصور نور الدين علي بن الملك المعز إيبك، ولما خلع المظفر قطز نور الدين علي من السلطنة، نهبت مماليكه وتفرقها الأمراء، ثم بيع للملك المنصور قلاوون ولم يزل في خدمته حتى تسلطن المنصور قلاوون، فولاه نيابة السلطنة في دمشق، واستمر بها حتى عزله الأشرف خليل، وعندما تولى كتبغا الحكم تمرد عليه، وتسلم السلطنة بعد أن أبعد كتبغا إلى نيابة صرخد، والناصر محمد إلى قلعة الكرك. انظر القرماني، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، ٢، ص٢٧٨، بيبرس المنصوري، مختار الأخبار، ص ١٠٤، ابن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٤، ٢٩٠.

[2] أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤، ص٤٠، ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٧، ص٧٣٨، ابن أبي الفضائل، النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، ج٢، ص٤٣٣، حسين، دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص١٩٠.

[3] المدور، الأرمن عبر التاريخ، ص ٢٣٨.

أسرع هيثوم الثاني، وطوروس إلى بلاط مغول فارس لطلب مساعدة الإيلخان غازان، لكن سمباد كان قد سبقهما إلى بلاط الخان، وتزوج بأميرة من الأسرة الحاكمة، فاضطر هيثوم وأخوه للعودة إلى بلادهم، وما إن اقتربا من كيليكيا حتى قبض عليهما سمباد، وسجنهما في قلعة بارتزبرت، ليقتل طوروس بعد عدة أيام ويسمل عين هيثوم الثاني[١].

استغل السلطان المملوكي هذه الاضطرابات التي كانت تعصف بمملكة أرمينيا الصغرى، والتي كانت تصل أخبارها تباعاً إلى القاهرة عن طريق بريد حلب للقيام بحملة ضدها. وكانت الظروف ملائمة في ذلك الوقت، وخاصةً بسبب الخلافات الداخلية التي كانت تعصف بإيلخانة فارس حليف الأرمن، فبعد موت الخان أراغون سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م خلفه في الحكم الخان كيخاتو[٢] بن أبغا(٦٩٠-٦٩٤هـ/١٢٩١-١٢٩٥م) الذي أنفق الكثير من الأموال على ملذاته، مما أدى إلى ضعف دولته، فخرج عليه بيدو[٣]، ودار قتالٌ عنيفٌ بينهما انتهى بمقتل كيخاتو سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٥م، وتولى بيدو العرش. لكن الأمور كذلك لم تهدأ للخان الجديد، إذ خرج عليه

---

[١] ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص٣٧٣، ٣٧٤، عريش، أرمينية أرض وشعب، ص٩٠، كذلك انظر
-C. Mutafian, Le Royaume Arménien Cilice XII^{e}-XIV^{e}, p.72.
- STEWART, A.D, The Armenia Kingdom, P.106.

[٢] كيخاتو بن أبغا: تولى عرش الأسرة الإيلخانية خلفاً لأخيه أراغون، وسار على نهجه، وكانت أيامه مليئة بالاضطرابات إلى أن قتل بعد مدة من حكمه سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٥م. انظر حسن(علي إبراهيم)، تاريخ المماليك البحرية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٣، ١٩٦٧م، ص١٤٤.

[٣] الأمير بيدو: ثار على الخان المغولي كيخاتو، وثار عليه بعد أن اشتكى إليه المغول من سوء تصرفاته، فاتفق معهم على قتله وجلس مكانه على العرش المغولي في فارس سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٥م. انظر أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤، ص٤٣، حسن، تاريخ المماليك البحرية، ص ١٤٤.

نائب خراسان غازان بن أراغون[1]عام ٦٩٤هـ/١٢٩٥م، ودارت بينهما معركة بالقرب من همذان. انتهت بمقتل بيدو، وبذلك آل عرش إيلخانة فارس إلى غازان خان[2].

أمر السلطان المملوكي لاجين بتجريد حملة للإغارة على بلاد سيس سنة ٦٩٧هـ/١٢٩٨م، بعد محاولة الأرمن استعادة نفوذهم على القلاع التي تنازلوا عنها للأشرف خليل، وقد رأى السلطان في تجهيز الجيش وإرساله إلى بلاد سيس فرصة من أجل التخلص من أمرائه المعارضين الذين كانوا يضغطون عليه داخلياً[3]. ترأس الحملة الأمير بدر الدين بكتاش الفخري[4] أمير سلاح[5]، وضمت عساكر من صفد وحمص وطرابلس، ورافق الحملة المظفر تقي الدين محمود[6] صاحب

---

[1] غازان بن آراغون بن آبغا بن هولاكو: ولد عام ٦٧٠هـ/١٢٧١م، اعتنق الدين الإسلامي عام ٦٩٤هـ/١٢٩٥م بفضل وزيره نوروز المسلم. وكان غازان قد نذر أن يعتنق الدين الإسلامي إذا انتصر على بيدو، ونفذ ماوعد به بعد تغلبه عليه، ورغم إسلامه فقد كان شديد العداء مع المماليك، ونفسر ذلك برغبة غازان بمنافسة سلاطين المماليك على زعامة العالم الإسلامي، باعتباره أنهم غير مؤهلين لحكم العالم الإسلامي بسبب أصلهم غير الحر. انظر ابن أيبك الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج٤، ص٥-١٨، ابن حجر العسقلاني(شهاب الدين أحمد)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجبل، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ج٣، ص٢١٢، حسين، دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص٢١٤، ٢١٥.

[2] طقوش، تاريخ المغول العظام، ص٢٥٥، عبد المنعم، سياسة المغول الإيلخانيين تجاه دولة المماليك في مصر وبلاد الشام، ص٣٢.

[3] - P. M. Holt, *Early Mamluk Diplomacy (1260-1290) : Treaties of Baybars and Qalawun with Christian Rulers*, E. J. Brill, Leiden, 1995, viii, p.521.

[4] الأمير بدر الدين بكتاش الفخري: أمير سلاح، وينسب إلى الأمير فخر الدين بن الشيخ، من أكابر الأمراء الصالحية، شارك بالكثير من الغزوات، وتوفي سنة ٧٠٦هـ/١٣٠٦م. ابن دقماق، الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، ص٣٢٨، ابن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٠، ص١١٩، ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج١، ص٤٨٠.

[5] أمير سلاح: وظيفة عسكرية كبيرة في العصر المملوكي، ومهمة أمير سلاح حمل سلاح السلطان، وهو مقدم السلاحدارية من المماليك السلطانية، ومن وظيفته أيضاً الإشراف على السلاح خاناه السلطانية، أو مخازن الأسلحة بما فيها من أدوات وأسلحة. انظر القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج٤، ص١٨.

[6] الملك المظفر الثالث تقي الدين محمود بن الملك المنصور الثاني محمد بن محمود صاحب حماه، تولى الملك سنة٦٨٣هـ/١٢٨٤م وتوفي سنة٦٩٨هـ/١٢٩٩م، وقد عاصر خلال حكمه خمسة من سلاطين المماليك بدءاً من المنصور قلاوون وحتى السلطان لاجين . انظر أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤، ص٢٨، أبوراس، علاقة مملكة حماه بدولة سلاطين المماليك، ص ٥٥.

حماه على رأس قواته، مصطحباً معه المؤرخ أبو الفدا، وعندما وصل الجمع إلى حلب انضم إليه الأمير علم الدين سنجر الدواداري بعسكر من القاهرة، فبلغ عدد القوات حوالي عشرة آلاف مقاتل[1].

وما إن وصلت أخبار الحملة إلى الملك الأرمني سمباد حتى سارع بإرسال الرسل إلى السلطان لاجين ليسترضيه، ويطلب العفو منه والرجوع عن حملته، لكن السلطان لم يجبه إلى طلبه، إذ كان من مصلحته إبعاد الأمراء المعارضين أطول مدةٍ ممكنةٍ، وإشغالهم بحروبٍ خارجيةٍ، لذلك أرسل أوامر صارمة إلى قائد الحملة بتوجب زحف الجيش إلى مملكة أرمينيا الصغرى[2].

وفي حلب انقسم الجيش إلى قسمين، فسلك القسم الأول بقيادة الأمير بكتاش الفخري الطريق من بغراس إلى تل حمدون، بينما توجه القسم الثاني إلى نهر جيحان. اجتمعت العساكر ودخلوا دربند سيس، وهنا وقع خلاف بين الأمراء حول طريقة الهجوم، فأشار الأمير بكتاش الفخري بالحصار، ومنازلة القلاع لامتلاكها، في حين رأى الأمير سنجر الدواداري الاكتفاء بالغارة فقط، وأراد أن يكون قائد الحملة، ويبدو أن الأمير بكتاش الفخري لم ينازعه بل وافقه على رأيه[3].

قامت القوات المملوكية بالإغارة على أذنة، فقتلت أعداداً من الأرمن، واستولت على المواشي، ثم عادت منها إلى المصيصة، حيث أقامت جسراً فوق نهر جيحان عبرته إلى بغراس ثم أنطاكية

---

[1] بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، ص٣١٦، المدور، الأرمن عبر التاريخ، ص٢٣٩.

[2] النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣١، ص٢١٣، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٣، ص٨٣٨، بيبرس المنصوري، مختار الأخبار، ص ١٠٦، طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص٢٢٣.

[3] النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣١، ص٢١٤، طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص٢٢٣.

تمهيداً للعودة إلى مصر[1]. عندئذ كتب الأمير بكتاش الفخري إلى نائب حلب ليخبر السلطان بما حصل له مع الدواداري، فجاء رد السلطان بالإنكار على الدواداري بتقدمه قيادة الجيش على بكتاش الفخري، واقتصاره على شن الغارات فقط، وأمر بعودتهم ثانية إلى سيس ومنازلة تل حمدون، على أن تكون القيادة لبكتاش الفخري، وهدد الأمراء بحرمانهم من اقطاعاتهم إذا عادوا قبل فتحها. وهنا يمكن القول أن السبب الرئيسي في إلحاح السلطان لاجين على فتح القلاع هو إدراكه بأن عودة الجيش بسرعة، تعني فشل مخططه بإبعاد معارضيه أطول مدة ممكنة عن العاصمة[2].

وبناءٍ على ذلك عادت الجيوش ثانية إلى كيليكيا، فهاجموا إياس، وتوجه بكتاش إلى تل حمدون التي وجدها خالية من الأرمن، فملكها وعين نائباً عليها، وعندما علم بتجمع أرمني ضخم في وادٍ تحت قلعة النجيمة[3] وحموص[4]، وبأنَ أهل قلعة نجيمة تحميهم، أرسل قوة عسكرية هاجمت القلعة، ودخلتها بعد حصار قصير[5].

---

[1] أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤، ص٤٦، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٣، ص٨٣٩.

[2] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٣، ص٨٣٩، أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤، ص٤٧، بيبرس المنصوري، التحفة المملوكية في أخبار الدولة التركية، ص١٥٣.

[3] النجيمة: تعرف أيضا باسم قلعة نجم أو نجمة، وكانت قديما تعرف بجسر منبج، وهي قلعة حصينة على شاطئ الفرات. انظر أبو الفدا، تقويم البلدان، ص٢٣٣، يذكر المؤرخ الجزري في حوادث سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٨م: أن رسولين من الريدفرانس(ملك فرنسا) ومتملك سيس وصلا إلى القاهرة، وكان الهدف من هذه السفارة التدخل لصالح ملك أرمينيا الصغرى. انظر الجزري(شمس الدين محمد)، حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، تح: عمر عبد السلام التدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ج١، ص٤٤٠.

[4] حموص: قلعة حصينة شرقي تل حمدون. انظر ابو الفدا، تقويم البلدان، ص٢٥١.

[5] ابن أيبك الدوادار، كنز الدرر وجامع الغرر، ج٨، ص٣٧٠، النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣١، ص٢١٥، يقول أبو الفدا عن هذه الغزوة " وهذه الغزوة من الغزوات التي حضرتها وشاهدتها من أولها إلى آخرها". انظر أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤، ص٤٧.

حمل الأرمن ملكهم سمباد تبعية تلك الهزائم التي حلت بمملكتهم، فعزلوه وعينوا أخاه قسطنطين (٦٩٨- ٦٩٩هـ/١٢٩٨-١٢٩٩م) ملكاً على مملكة أرمينيا الصغرى، الذي سرعان ما تدارك الأمر، ودخل في مفاوضات مع المماليك، وأعلن خضوعه للسلطان المملوكي وعدَ نفسه نائباً عنه في كيليكيا. كما تم الاتفاق بين الطرفين على أن يكون نهر جيحان الحد الفاصل بين المماليك والأرمن، بحيث يسلم ملك أرمينيا الصغرى كل ما يقع جنوب نهر جيحان من الحصون، والبلاد إلى السلطان المملوكي. وبذلك تسلم المماليك من الأرمن أحد عشر حصناً منها تل حمدون ومرعش وسرفندكار [1] والنجيمة وحموص وعدة حصون أخرى [2].

وهكذا نستطيع القول بأنَ كيليكيا التي كانت من ألد أعداء الدولة المملوكية، فقدت الكثير من قوتها نتيجة للخلافات الداخلية، والنزاعات على العرش. كما أنَ القضاء بشكل نهائي على الفرنجة في الشرق على يد الأشرف خليل، أفقدها حليفاً وشريكاً مهماً في حربها ضد المسلمين. ولكن الأهم من ذلك هو انشغال مغول فارس بمشاكلهم الداخلية، وعدم قدرتهم على حماية حلفائهم الأرمن، جعلهم هدفاً سهلاً لسلاطين المماليك يغيرون عليهم من حين لآخر، ويستولون

---

[1] سرفندكار: قلعة تقع بالقرب من نهر جيحان شرقي تل حمدون. انظر أبو الفدا، تقويم البلدان، ص٢٥٦.

[2] أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤، ص٤٨، ابن أيبك الدوادار، كنز الدرر وجامع الغرر، ج٨، ص٣٦٩، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٣، ص٢٨٧، وفي هذا الموضوع يروي المؤرخ ابن أبي الفضائل في مؤلفه "النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد" أن الجيش المملوكي الذي أرسله لاجين" فتح أماكن لا فائدة منها مثل تل حمدون وحموص وسرفندكار وحجر الشغلان وغيرها، وهي قليعات لطيفة لا تفي ببعض ما كان مقرراً على صاحب سيس، فإن الذي كان مقرراً عليه في كل سنة خمسة آلاف درهم فضة حجراً، وعدة من البغال وتطابيق النعال، وغير ذلك مما كان يحمل من جهته، وكان تحت الذمة وبذل الطاعة والخدمة، فلما فتحوا هذه الأماكن الحقيرة قطع ذلك المقرر، ثم أنهم رتبوا فيها أقواماً لم يكن لهم ما يقوم بهم، فتركوها فيما بعد وانسحبوا، وعاد الأرمن إليها وتغلبوا، وربما وجدوا ببعضها أقواماً من المسلمين فقتلوهم". انظر ابن أبي الفضائل، النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، ج٢، ص ٤٣٨، بيبرس المنصوري، مختار الأخبار.، ص١٠٦.

على قلاعهم، وحصونهم، وأراضيهم. كان من آثار الحملات المملوكية المتتالية على كيليكيا أن دمرت المدن الأرمنية.

ولم تكن خسارة الأرمن تندرج ضمن خسارة بعض القلاع فحسب بل تعدت ذلك إلى خسائر بشرية واقتصادية، فهاهو المؤرخ بيبرس المنصوري الذي شارك في بعض الحملات على بلاد سيس، يوجز أعمال المماليك في كيليكيا بقوله: " فشنوا الإغارة على أهلها وأوقعوا بخيلها ورجلها ودوخوا أرجاء حزنها..."[١]

[١] بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، ص٣١٦، العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج٣، ص٣٨٧. كذلك انظر

STEWART, A.D., *The Armenia Kingdom*, p.127.

١- دور الأرمن في غزوات غازان خان على بلاد الشام:

على الرغم من اعتناق غازان الإسلام، وقطعه علاقة التبعية بالخان المغولي في قراقورم، وانتهاجه عدة إصلاحات في بلاده على النمط الإسلامي[١]، إلا أنَ العلاقات العدائية مع المماليك لم تتوقف، واستمرت اتصالاته مع الفرنجة في قبرص، فضلاً عن أتباعه من الأرمن. حيث قضى فترة طويلةً من حكمه في محاربتهم، وكانت حالة الضعف التي سادت مصر في أثناء اغتصاب عرش الناصر محمد بن قلاوون على يد كل من كتبغا ولاجين عقب سلطنته الأولى، ووصاية الأميرين سلار[٢] وبيبرس الجاشنكير[٣] في أثناء سلطنته الثانية، من العوامل التي شجعت غازان للإغارة على بلاد الشام، وضمها إلى أملاكه[٤]. ومن العوامل الجوهرية أيضاً التي شجعت على إغارة المغول، هروب سيف الدين قبجق نائب دمشق[٥] مع جماعة من الأمراء في خمسمائة

---

[١] سرور، دولة بني قلاوون في مصر، ص١٧٥، ١٧٦.

[٢] الأمير سيف الدين سلار: كان من مماليك الصالح علي بن قلاوون، فلما مات الصالح صار من خاصة المنصور قلاوون، ثم اتصل بخدمة الأشرف خليل. لمَا عاد الناصر محمد بن قلاوون إلى الحكم في المرة الثالثة سجن الأمير سلار، وظل في سجنه حتى مات جوعاً سنة ٧١٠هـ/١٣١٠م. انظر ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج٢، ص١٠٦، ١٠٧.

[٣] الملك المظفر بيبرس الجاشنكير: من مماليك المنصور قلاوون، ترقى في الخدم وعمله جاشنكير، حتى تولى عرش الحكم سنة ٧٠٨هـ/١٣٠٩م، غير أنه قتل بأمر من السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة٧٠٩هـ/١٣١٠م. انظر ابن دقماق، الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، ص٣٣٦، ٣٤١.

[٤] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٣، ص٨٧٣. ابن دقماق، الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، ص ٣٢٨، حسن، تاريخ المماليك البحرية، ص١٤٦.

[٥] الأمير سيف الدين قبجق المنصوري، من مماليك المنصور قلاوون ومن أشد المخلصين له ولأبنائه من بعده، تسلم نيابة الشام في عهد المنصور حسام الدين لاجين، وعندما ساءت الأوضاع بين قبجق والسلطان أراد السلطان قتله، لكن قبجق علم بالأمر وتمكن من الهرب إلى بلاط غازان خان، الذي أكرمه ورتب له راتباً كبيراً. وبعد عودة غازان خان إلى بلاده بعد سيطرته على دمشق، عاد قبجق إلى طاعة المماليك وعينه الناصر محمد نائباً لحلب. توفي سنة ٧١٠هـ/١٣١٠م. انظر ابن أيبك الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج٤، ص٦١-٧٢، ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج٣، ص٣٢٥-٣٢٧، ابن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٤، ص١٣٣-١٣٨.

من الجند إلى غازان، وإخباره بما آلت إليه حالة بلاد الشام سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٨م في نهاية حكم السلطان لاجين، وكان من الطبيعي أن يستقبل غازان أمراء المماليك الفارين ليصل بواسطتهم إلى معلومات عسكرية، وسياسية جديدة تفيده في تحقيق انتصارات على المماليك. وقد وجد غازان الفرصة سانحة لتنفيذ مشروعه عندما أرسل الأمير سيف الدين بلبان الطباخي[١] نائب حلب جيشاً إلى ماردين، فقتلوا وسبوا النساء بعد أن عاثوا فساداً فيها، وكانت ماردين تعد من المناطق التابعة للدولة الإيلخانية، مما أثار استياء غازان الذي أخذ يعد العدة للانتقام من المماليك بمهاجمة بلاد الشام[٢].

أرس غازان جيشاً بقيادة أحد كبار قواده ويسمى سلامش، وأمره بالتوجه إلى بلاد سلاجقة الروم في آسيا الصغرى[٣]، على أن يسير هو على رأس جيش آخر نحو ديار بكر، وإذا ما تلاقى الجيشان في حلب أغارا على بلاد الشام. لكن الذي حدث أن سلامش تمرد على سيده غازان بما جمع تحت يديه من قوات، وقرر الاستقلال ببلاد الروم، وخلع طاعة غازان الذي أرسل باستدعائه للحضور إليه أكثر من مرة، لكن سلامش لم يستجب، فأمر غازان بإرسال جيش

[١] الأمير سيف الدين بلبان الطباخي، مملوك السلطان المنصور قلاوون، وصف بالشجاعة وحسن التدبير والإدارة، تولى نيابة حلب مدة، ونيابة حصن الأكراد ونيابة طرابلس، توفي سنة٧٠٠هـ/١٣٠٠م. وكان قد أبلى بلاءً حسناً أثناء حملة غازان، وروع التتار. ابن أيبك الصفدي ، الوافي بالوفيات، ج١٠، ص١٧٨، ابن أيبك الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج٢، ص٤٢، ٤٣.

[٢] ابن أبي الفضائل، النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، ج٢، ٦٢٢، ابن حبيب، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، ج١، ص٢١٨، سرور، دولة بني قلاوون في مصر، ص١٧٦.

[٣] حسين، دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص٢١٦.

لإخضاعه، الأمر الذي دفع سلامش للاستنجاد بسلطان المماليك حسام الدين لاجين، الذي أمده بقوة من عساكر حلب لنصرته ونجدته[١].

رغم ذلك تمكنت قوات غازان من القضاء على تمرد سلامش الذي هرب إلى دمشق، ومن ثم إلى القاهرة، فرحب بقدومه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون. بعد مدة قصيرة من مكوثه في مصر طلب سلامش العودة إلى بلاد سلاجقة الروم ليحضر أولاده، وبينما كان ماراً ببلاد سيس وقع في قبضة الملك الأرمني هيثوم الثاني(٦٩٩-٧٠٥هـ/١٢٩٩-١٣٠٥م) الذي بسط سيطرته من جديد على مملكة أرمينيا الصغرى بعد أن نفى كل من أخويه سمباد، وقسطنطين إلى القسطنطينية، واستعاد بصر إحدى عينيه عام ٦٩٩هـ/١٢٩٩م، ولكن هيثوم لم يتوج نفسه ملكاً، بل عمل كمدبر للدولة إلى أن كبر ابن أخيه طوروس الثالث ليون الرابع[٢] الذي كانت أمه أختاً للملك القبرصي هوغو الثالث لوزجنان[٣]، فقام بتتويجه ملكاً على أرمينيا الصغرى[٤].

أما بالنسبة إلى سلامش فقد سلمه هيثوم إلى غازان خان " فقتل في ميدان تبريز بصورة بشعة ثم أحرقت جثته، وذروا رمادها في الهواء"[٥]، وتعد هذه المبادرة من ملك أرمينيا الصغرى، عربونا قدمه لغازان، ودليلاً أثبت من خلاله أنه لازال في خدمة المغول ومخلصاً لهم. فقد جدد هيثوم

---

[١] أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤، ص٤٩، سرور، دولة بني قلاوون في مصر، ص١٧٦، النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣١، ص٢٣٦، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٣، ص٨٧٦، عبد المنعم، سياسة المغول الإيلخانيين تجاه دولة المماليك في مصر والشام، ص٣٤.

[٢] ليون الرابع هو ابن الأمير طوروس الثالث، أخو الملك هيثوم الثاني، تولى حكم مملكة أرمينيا الصغرى سنة ٧٠٥هـ/١٣٠٥م، وقتل سنة ٧٠٨هـ/١٣٠٨م. انظر المدور، الأرمن عبر التاريخ، ص٢٤٠

[٣] هوغو الثالث لوزجنان (٦٣٢-٦٨٣هـ/١٢٣٥-١٢٨٤م) كان ملكاً على قبرص من(٦٦٦-٦٨٣هـ/١٢٦٧-١٢٨٤م)، وملكاً على مملكة بيت المقدس من عام(٦٦٧-٦٨٣هـ/١٢٦٨- ١٢٨٤م)، عقد مع الظاهر بيبرس معاهدة سلام في عام ٦٦٧هـ/١٢٦٨م. انظر توراو، الظاهر بيبرس، ص١٧٩.

[٤] سمباد، التاريخ المعزو إلى القائد سمباد الأرمني، ص٢٩٤. المدور، الأرمن عبر التاريخ، ص٢٣٩.

[٥] الهمذاني(رشيد الدين فضل الله)، جامع التواريخ، تاريخ غازان خان، دراسة وترجمة فؤاد عبد المعطي الصياد، ص٢٣٢.

الثاني الولاء للإيلخان المغولي أثناء زيارته له في تبريز عام ٦٩٦هـ/١٢٩٦م[١]، وبناءَ على ذلك كان على الأرمن المشاركة مع المغول في حملاتهم ضد بلاد الشام[٢].

مهما كانت أسباب الحرب بين المماليك ومغول فارس فإن غازان خرج من تبريز على رأس جيش كبير، وانضم إليه ملك أرمينيا الصغرى هيثوم الثاني بحوالي خمسة ألاف مقاتل بالإضافة إلى جموع من الكرج والأمراء المماليك الذين هربوا إلى تبريز، وفي الطرف الآخر خرج الناصر محمد بن قلاوون للتصدي للمغول. التقى الطرفان في مجمع المروج" وادي الخازندار" قرب حمص، ودارت بين الطرفين معركة عنيفة سنة ٦٩٩هـ/١٢٩٩م، كادت الهزيمة تحل بجيش غازان في البداية، وأراد غازان أن يترك أرض المعركة لكن الأمير قبجق منعه وحثه على القتال، ومناه بالظفر، وقد برر قبجق موقفه فيما بعد بأن كان قصده القبض على غازان عند إنزال الهزيمة بجيشه[٣].

---

[١] حدث في عهد غازان خان نوع من الاضطهاد للمسيحيين واليهود، فقد دمرت بعض الكنائس المسيحية والمعابد اليهودية، والسبب في هذه الاضهادات هو حرص غازان على تأكيد عمق إسلامه وخاصةً أنه في بداية إسلامه شرع في التفكير بالارتداد عن الإسلام كما يروي بعض المؤرخين من جهة، ونصرة للمسلمين الذين عانوا من الاضهاد في عهد آراغون وبيدو، وصرفهم عن كافة المناصب التي كانوا يشغلونها في القضاء والمالية، ولكن أثناء مقابلة هيثوم الثاني للإيلخان غازان في عام ٦٩٦هـ/١٢٩٦م، طلب من غازان خان التدخل لوقف هدم الكنائس المسيحية، وبالفعل دفع غازان خان بعض التعويضات للمسيحيين، ومقدارها خمسة آلاف دينار، وأعيد جزء من الأموال التي نهبت من الكنائس. انظر سرور، دولة بني قلاوون في مصر، ص١٧٤، ١٧٥، كذلك انظر C. Mutafian, Le Royaume Arménien Cilice XIIe-XIVe, p.71.

[٢] النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣١، ص٢٣٧، أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤، ص٤٩، المدور، الأرمن عبر التاريخ، ص٢٣٩، استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص ٢٣٦.

[٣] النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣١، ص٣٨٥، الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج٤، ص٦٨، ٦٩، ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ج٥، ١١٦١، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٣، ص٨٨٧، ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج١، ق١، ص٤٠٣، العبادي، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص٢٢٦.

انتهت هذه المعركة بهزيمة الجيش المملوكي[1] وفرار الناصر محمد بن قلاوون إلى دمشق ومن ثم إلى القاهرة، وغنم التتار غنائم كثيرة لا تعد ولا تحصى. تابع غازان زحفه حتى وصل إلى مدينة دمشق التي عمَ فيها الذعر والرعب، وتوجه الكثير من أهلها إلى مصر، وتركوها شبه خاوية، فأرسل غازان أماناً لأهل دمشق، قرأه أحد قواد غازان في المسجد الأموي[2]، إلا أن المغول لم يحافظوا على العهود التي تضمنها الأمان، فعاث جنود غازان فساداً في الغوطة، وظاهر المدينة، لكنهم لم يتمكنوا من دخول قلعتها لأن نائبها رفض الاستسلام، وبذلك بقيت قلعة دمشق عصية على المغول[3].

أما هيثوم الثاني فقد اغتنم الفرصة للانتقام من المماليك، ومن حملاتهم المتكررة على مملكته، فأراد تخريب دمشق، لكن الأمير قبجق الذي أصبح نائباً على دمشق من قبل غازان، منعه من ذلك، فتوجه إلى الصالحية، فنهبها وأحرق مساجدها، ومدارسها بعد أن أخذ بسطها وقناديلها، ونبش الخبايا، وقتل وسبى كثير من سكانها[4]، وفي هذا يقول المقريزي" كان سبب نهب

---

[1] كان من أسباب هزيمة المماليك في معركة الخازندار فئة المغول العويراتية الذين انضووا تحت لواء الناصر، فما كادوا يصلون إلى غزة حتى دبروا مؤامرة خطيرة لاغتياله هو وقواده ، وكانوا يرمون من وراء ذلك إلى إعادة كتبغا المغولي إلى العرش، والأخذ بثأر أخوانهم الذين قتلوا في عهد لاجين، وكان من أثر تفاقم هذه المؤامرة أن تأخر زحف الجيش المملوكي، وعمت الفوضى والارتباك صفوف المماليك، وفقد الكثير من آلات الحرب، ثم ما لبث أن تمكن قواد جيش الناصر من القضاء عليهم. انظر بيبرس المنصوري، مختار الأخبار، تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة٧٠٢هـ، ص١١٠، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٣، ص٨٨٣.

[2] للمزيد حول هذا الفرمان انظر الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج٤، ص١٥، ١٧.

[3] بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، ص٣٣٢، ابن أبي الفضائل، النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، ج٢، ص٦٣٥، ابن أيبك الدوادار، كنز الدرر وجامع الغرر، ج٩، ص٢٠، ابن دقماق، الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، ص٣٣٠.

[4] ابن حبيب، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه،ج١، ص٢٢٠، ابن دقماق ، الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، ص٣٣٠، سرور، دولة بني قلاوون في مصر، ص١٨٤، كذلك انظر
STEWART, A.D., *The Armenia Kingdom*, p.140.

الصالحية، أن متملك سيس بذل فيها مالاً عظيماً، وكان قد قصد خراب دمشق عوضاً عن بلاده، فتعصب الأمير قبجق، ولم يمكنه من المدينة، ورسم له بالصالحية، فتسلمها متملك سيس، وأحرق المساجد والمدارس، وسبى وقتل وأخرب الصالحية، فبلغ عدد من قتل وأسر منها تسعة آلاف وتسعمئة نفس"[1].

إنَ النصر الذي أحرزه التحالف المغولي- الأرمني- الكرجي لم يؤد إلى نتيجةٍ مثمرةٍ عندما أعلن نائب المغول في دمشق الأمير قبجق بالتمرد على غازان، وأرسل إلى الناصر محمد بن قلاوون يعلن دخوله في طاعته فعفا عنه السلطان وخلع عليه[2]، وبذلك عادت بلاد الشام من جديد إلى الدولة المملوكية، وأصبح الطريق إلى كيليكيا مفتوحاً مرة أخرى، والجدير بالذكر بأن الأرمن حافظوا على صداقة المغول رغم فوارق الدين خاصة بعد اعتناق غازان للدين الإسلامي، وجعله الدين الرسمي لإيلخانة فارس، لكن هذه الصداقة جلبت لهم كثير من المتاعب فقد انقلبت عليهم من نعمة إلى نقمة إذ ذهبوا ضحيتها بسبب غزوات المماليك المتكررة.

---

[1] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٣، ص٨٩١.

[2] ابن أيبك الدوادار، كنز الدرر وجامع الغرر، ج٩، ص٣٦، طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام ، ص ٢٣٦.

٢-الحملات المملوكية على كيليكيا في عهد الناصر محمد بن قلاوون:

بعد هزيمة المماليك أمام مغول فارس في موقعة مجمع المروج "الخازندار"، ترك النائب المملوكي على القلاع التي استولى عليها المماليك من الأرمن، والتي كان مقره في قلعة تل حمدون، ما تحت يده من قلاع وهرب إلى حلب، مما جعل الملك الأرمني هيثوم الثاني يسترد جميع الحصون التي انتزعها منه المماليك، ولم يكتف بذلك بل قام بقطع الجزية المقررة عليه للمماليك وشارك مرة أخرى في الحملة التي أرسلها غازان خان نحو بلاد الشام عام ٧٠١هـ/١٣٠١م، التي فشلت لعوامل جغرافية، ومناخية[١].

هذا الأمر الذي دفع الناصر محمد بن قلاوون إلى تجهيز حملة كبرى لمهاجمة الأرمن في العام نفسه بقيادة الأمير بدر الدين بكتاش الفخري، يرافقه الأمير عز الدين أيبك الخازندار[٢] بالإضافة إلى الملك العادل زين الدين كتبغا نائب حماه، وقد اتجه الجميع إلى العاصمة الأرمنية سيس، فهاجموها وأحرقوا المزروعات، ونهبوا وأسروا عدداً من الأرمن الذين لجؤوا إلى قلعتها، ثم قفلوا عائدين إلى دمشق[٣].

---

[١] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٨، ص١٢٢، طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص٢٣٦، ذكر بيبرس المنصوري أن" التتار عادت من بلاد حلب لما لم ينالوا الأرب وتواترت عليهم الثلوج وعدمت عنهم الأقوات والمراعي وانقطعت بإقامتهم البواعث والدعاوى فرجعوا خائبين وكفى الله المؤمنين القتال". انظر بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، ص٣٥١،

[٢] الأمير عز الدين أيبك الخازندار: كان أميراً ديناً، تسلم أمرة الحج أكثر من مرة، توفي في دمشق سنة ٧٠٦هـ/١٣٠٦م. انظر ابن أيبك الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج١، ص٦٤٤، ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج١، ص٤٢٣، العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج٤، ص٤٤٧.

[٣] أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤، ص ٥٩. ابن حبيب، تذكرة النبيه في أخبار المنصور وبنيه، ج١، ص٢٣٩ ، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٣، ص٩٢٣.

ولكي تنتقم مملكة أرمينيا الصغرى من المماليك، امتنعت عن دفع الجزية وانضمت جيوشها إلى جيوش المغول في الحملة الثالثة التي وجهها غازان خان إلى بلاد الشام سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م بقيادة قطلوشاه[١]، بعد أن وصلته الأخبار من دخول قبجق ورفاقه في طاعة السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون، وبالتالي عودة بلاد الشام إلى السيطرة المملوكية. تقابل الجيشان المملوكي والمغولي عند مرج الصفر على مقربة من دمشق، وانتهت المعركة بهزيمة جيش المغول هزيمةٍ ساحقةٍ، وفر قطلوشاه إلى الفرات مع فلول جيشه، فغرق بعضهم وهلك معظمه وأسر المماليك أعداداً كثيرة منهم[٢].

لم يرَ الناصر بداً من معاقبة الأرمن، فوجه إليهم جيشاً كبيراً سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٣م بقيادة الأمير بدر الدين بكتاش الفخري ورافقه بعض الأمراء، ودخلت الجيوش المملوكية العاصمة الأرمنية سيس وحاصروا تل حمدون وهدموه، كما هدموا وخربوا كثيرا من الحصون الأخرى، ولم يغادروا بلاد الأرمن إلا بعد أن دفع الملك الأرمني هيثوم الثاني كل ما تأخر عليه من الجزية مضاعفة[٣]، ويذكر المقريزي أنه عندما استولى المماليك على قلعة حمدون " أخذوا منها ستة ملوك من ملوك الأرمن، فشق ذلك على تكفور ملك سيس، وقصد نكاية الملوك على تسليمهم قلعة تل حمدون بالأمان، وكتب إلى نائب حلب بأن ملوك القلاع هم الذين كانوا يمنعون من حمل الخراج، "فلا تفرجوا عن أحد منهم، فليس عندي من يزن المال سواهم"، فأمر النائب بقتلهم، فضربت رقاب

---

[١] ابن حبيب، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، ج١، ص٢٤٥.

[٢] أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤، ص٦١، النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣٢، ص٢٠، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٣، ص٩٣٢، بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، ص٣٧٢، ٣٧٨، . بيبرس المنصوري، مختار الأخبار، ص١٢٤، ابن دقماق، الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، ص٣٣٤. والجدير بالذكر بأن كل من أبي الفدا والنويري وبيبرس المنصوري حضروا هذا الموقعة.

[٣] حسن، تاريخ المماليك البحرية، ص١٧٠، طقوش، تارخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص٢٣٧.

الملوك الخمسة، وأسلم منهم صاحب قلعة نجيمة والتزم بأخذ سيس(أي تحالف مع المسلمين للاستيلاء على سيس)، فحمل إلى مصر، فسر الأمراء والسلطان بذلك، وأكرم صاحب قلعة نجيمة، وكتب بعود العساكر"[١].

وفي سنة ٧٠٥هـ/١٣٠٥م، تأخر الملك الأرمني هيثوم الثاني عن دفع الجزية، فأرسل إليه نائب حلب قرا سنقر المنصوري[٢] جيشاً بقيادة الأمير سيف الدين قشتمر[٣]، وقد حاول الملك الأرمني رشوة القائد المملوكي، فعرض عليه مبلغاً من المال مقابل عودته إلى بلاده، فأبى قشتمر، وشن الغارات على بلاد سيس، ونهب وأحرق كثيراً من الضياع، وسبى النساء والأطفال أثناء زحفه، ولكن الملك هيثوم تمكن من الاستنجاد بحامية مغولية كانت بأطراف بلاد الروم، وبعض الفرنج الذين كانوا في بلاده،" ووصلوا على غرة إلى قشتمر ومن معه من الأمراء وعسكر حلب والتقوا بالقرب من إياس، وتمكنت التتار والأرمن منهم، فقتلوا وأسروا غالبهم، ولم يصل إلى حلب منهم إلا القليل عرايا بغير خيل"[٤].

---

[١] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٣، ص٩٤٩، ابن أيبك الدوادار، كنز الدرر وجامع الغرر، ج٩، ص١١١، النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣٢، ص٥٣.

[٢] الأمير شمس الدين قرا سنقر بن عبد الله الجوكندار المنصوري، اشتراه المنصور قلاوون قبل سلطنته، ثم ترقى في خدمته إلى أن ولاه نيابة حلب عام ٦٨٢هـ/١٢٨٣م، وفي عهد الأشرف خليل عزل عن نيابة حلب وانضم إلى بيدرا ودبر معه مقتل الأشرف خليل، وفي عهد الناصر محمد بن قلاوون ولاه نيابة دمشق سنة ٧٠٩هـ/١٣٠٩م ثم فسدت العلاقة بينه وبين الناصر، فهرب إلى بلاد التتار وتوفي سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٨م. انظر ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج١، ص١٣٦.

[٣] كان الأمير قشتمر حسب رواية أبي الفدا " ضعيف العقل، قليل التدبير، مشتغلاً بالخمر، ففرط في حفظ العسكر، ولم يكشف أخبار العدو، واستهان بهم". انظر أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤، ص٦٥.

[٤] أبو الفدا ، المختصر في أخبار البشر، ج٤، ص٦٥، بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، ص٣٨٣، ابن أيبك الدوادار، كنز الدرر وجامع الغرر، ج٩، ص١٣١، ١٣٢، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٢، ق١، ص١٦، العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج٤، ص٣٨١، طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص٢٣٧.

أقلقت هذه الهزيمة بال السلطان الناصر محمد بن قلاوون، فجهز جيشاً كبيراً بقيادة الأمير بكتاش الفخري، وعند وصول الجيش المملوكي إلى غزة، أدرك هيثوم الثاني ضعفه، وأيقن أن عليه معالجة الأمور قبل استفحالها، فأرسل إلى قرا سنقر نائب حلب رسله يبذلون الطاعة ويسألوه المغفرة والعفو عما مضى، كما أرسل معهم الجزية المتأخرة عليه ورجا منه أن يشفع له عند السلطان ، فأجابه الناصر محمد إلى ما طلب، وأمر بعودة الجيوش المملوكية[١] .

لقد ساءت أحوال أرمينيا الصغرى بصورة واضحة منذ بداية القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، ولم يستطع هيثوم الثاني تحمل مزيدٍ من الضربات، فتنازل عن العرش سنة ٧٠٥هـ/١٣٠٥م لابن أخيه ليون الرابع. لكن ليون الرابع لم يتمكن من إعادة البلاد إلى حالتها الطبيعية، وازدهارها السابق، فقد قتل هو وهيثوم الثاني سنة ٧٠٨هـ/١٣٠٨م على يد أحد أمراء المغول. حيث يروي المقريزي سبب الحادثة بأن الملك الأرمني كان يقدم الأموال للمغول مثلما يقدمها للمماليك، وفي كل سنة كان يحضر إليه أمير مغولي لحمل القطيعة، وفي السنة المذكورة حضر إليه "برلغوا" من أمراء المغول، وكان هذا قد أسلم، فعزم على بناء جامع في سيس. لم يحتمل الملك الأرمني هذا الأمر، فأرسل إلى الخان المغولي " أوليخاتو "[٢] الذي تسلم الحكم سنة ٧٠٥هـ/١٣٠٥م خلفاً لغازان يخبره بأن "برلغوا" يخونه وأنه يريد أن ينضم إلى جانب سلطنة المماليك بمصر، الأمر الذي جعل الخان المغولي أوليجاتو يتهدد برلغوا، ويستدعيه على الفور،

---

[١] النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣٢، ص٦٩، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٢، ص١٧، بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، ص٣٨٣، ٣٨٤، سرور، دولة بني قلاوون في مصر، ص٢٢٧.

[٢] تولى أوليجاتو بن آراغون العرش في فارس بعد وفاة غازان خان سنة ٧٠٥هـ/١٣٠٥م، وقد نشأ على المسيحية دين أمه، لكن ما لبث أن اعتنق الإسلام بعد وفاتها. تميز عهده بالهدوء النسبي في علاقاته في الدولة المملوكية باستثناء الاشتباك الذي حدث سنة ٧١٥هـ/١٣١٥م في ماردين وانتهى لصالح المماليك. انظر سرور، دولة بني قلاوون، ص٢٠٣، ٢٠٥.

ولما علم برلغوا بالوشاية قام بقتل هيثوم الثاني مع ابن أخيه ليون الرابع[1].

يمكن القول إنه على الرغم من الحملات التي أرسلها الناصر محمد بن قلاوون إلى مملكة أرمينيا الصغرى، والأوضاع الداخلية السيئة فيها، فإن نفوذ المماليك لم يتوطد فيها، إذ اضطر المماليك إلى الجلاء عن كثير من القلاع والحصون التي ضموها إلى حوزتهم، وأصبح مظهر سيادتهم على هذه المملكة محصوراً بالقطيعة السنوية التي يدفعها ملوك أرمينيا إلى سلاطين المماليك، والتي غالباً ما إن قطعها ملوك الأرمن حتى ترسل السلطنة المملوكية الجيوش في أثرها.

---

[1] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٢، ق١، ص٣٨، أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤، ص٦٨، العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج٤، ٤٥٨، عاشور، سلطنة المماليك ومملكة أرمينيا الصغرى، ص٢٦٧.

٣- الناصر محمد وليو الخامس:

كان لدى هيثوم الثاني أربعة أخوة هم طوروس الثالث، سمباد، قسطنطين، أوشين، وعندما علم أوشين بمقتل أخيه هيثوم مع الملك الجديد ليون الرابع على يد القائد المغولي "برلغوا"، قام بشن هجومٍ عسكري على الحامية المغولية المرابطة في كيليكيا، وأخرجها من المملكة، وتوج نفسه في طرسوس ملكاً على أرمينيا الصغرى سنة ٧٠٨هـ/١٣٠٨م[١].

أدرك أوشين أن الأوضاع السياسية والعسكرية ليست في صالحه، فقد أحجم الغرب الأوروبي عند تقديم المساعدة للأرمن في كيليكيا، كما فقدت المملكة السند المغولي بعد التحول الكبير للمغول نحو الإسلام، ومن الناحية العسكرية فقد عانت مملكة أرمينيا الصغرى من الحملات المملوكية المتواصلة على بلادها وما أعقبها من تدمير البلاد والقلاع وإتلاف المزروعات. هذه الأوضاع دفعت الملك أوشين إلى استرضاء المماليك والوفاء بالالتزامات المفروضة عليه، فسارع بإرسال رسالة اعتذار إلى نائب حلب، حمَل فيها المغول مسؤولية الاعتداء على دولة المماليك، وشفع رسالته بهدايا عظيمة، مع التعهد بإرسال الأتاوة المفروضة عليه بانتظام[٢].

وفي هذا الصدد يشير النويري في حوادث سنة ٧٠٨هـ/١٣٠٨م" إلى وصول "رسل سيس بالحمل على العادة، ومن جملته طشت ذهب مرصع بالجوهر"[٣]. وفي حوادث سنة ٧١٠هـ/١٣١٠م يقول

---

[١] المدور، الأرمن عبر التاريخ، ص ٢٤٠، عربش، أرمينيا أرض وشعب، ص٩١، كذلك انظر
.C. Mutafian, Le Royaume Arménien Cilice XIIe-XIVe, p.90, 91.

[٢] بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، ص٤٠٢، عاشور، سلطنة المماليك ومملكة أرمينيا الصغرى، ص٢٦٨.

[٣] النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣٢، ص١٣٧.

المقريزي "وردت رسل سيس بهدية، منها طشت ذهب وإبريق بلور مرصع بالجوهر، وكتاب يتضمن الهناء بالعود إلى الملك، فأجيب بالشكر"[١].

بعد فترة من الهدوء والاستقرار في العلاقات المملوكية–الأرمنية، عاد التوتر من جديد في سنة ٧١٥هـ/١٣١٥م أرسل السلطان الناصر محمد بن قلاوون حملة من جند مصر وأمر الأمير سيف الدين تنكز[٢] نائب الشام بالانضمام إليه، فخرج بجيش صفد وحماه وحمص وطرابلس باتجاه باتجاه ملطية الأرمنية[٣]، والسبب في ذلك حسب رواية أبي الفدا الذي كان مشاركا بالحملة " إن المسلمين الذين كانوا بها اختلطوا بالنصارى حتى أنهم زوجوا الرجل النصراني بالمسلمة، وكانوا يعدون الإقامة بالتتار(أي يذهبون للإقامة في بلاد التتار)، ويعرفونهم بأخبار المسلمين، وكانت الأجناد والرجالة الذين بالحصون مثل قلعة الروم وبهسنا وغيرها لا ينقطعون عن الإغارة على بلاد العدو مثل بلاد الروم وغيرها، وكانت طريقهم في أغلب الأوقات تكون قريب ملطية، فاتفق أن أهل ملطية ظفروا ببعض الغيارة المذكورين فأسروهم، وقتلوا جماعةً من المسلمين"[٤].

[١] يقصد بالعبارة الأخيرة، الإشارة لعودة السلطان الناصر محمد إلى السلطنة للمرة الثالثة سنة ٧٠٩هـ/١٣٠٩م. انظر المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٢، ق١، ص ٨٦.

[٢] سيف الدين تنكز الحسامي: من مماليك الأمير حسام الدين لاجين، ثم أصبح من خاصكية الناصر محمد بن قلاوون وأقرب الأمراء له، وظهر نجمه في سلطنته الثالثة. أسند إليه نيابة الشام عام ٧١٢هـ/١٣١٢م، كان مهاب الجانب وكثير الثراء، مما أثار حقد الأمراء وتمكنوا من تأليب السلطان عليه، فأمر بجلبه إلى القاهرة، فسجنه، ثم أمر بخنقه في عام ٧٤٠هـ/١٣٣٩م. انظر ابن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٠، ص٢٦٠–٢٦٨، ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج١، ص٥٢٠–٥٢٨.

[٣] مدينة من بلاد الروم مشهورة، تتاخم الشام. انظر الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١٩٢، ابن شداد، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، ج١، ق٢، ص١٨٤، لسترانج، بلدان الخلافة الشرقية، ص١٥٢.

[٤] أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤، ص٨٩.

قاد سيف الدين تنكز نائب الشام الهجمات المملوكية ضد المدن الأرمنية، وبدأ بمحاصرة ملطية، ولم تلق جيوش الناصر مقاومة من نائب ملطية الذي كان على اتصال بالناصر من قبل، كما سلَم أعيان المدينة أنفسهم إلى تنكز دون مقاومة بعد حصولهم على الآمان، لكن سرعان ما دخل الجند مدينة ملطية ونهبوها وقتلوا كثيرا من أهلها، وقد حاول أبو الفدا نائب حماه أن يحول بين الجند، وبين ما أرادوه من ارتكاب هذه الأعمال، ولكنه اضطر إلى العدول عن ذلك خشية اتهامه بالتشيع لأهل المدينة، ورحل تنكز إلى دمشق بعد أن ترك نائب حلب يشرف بنفسه على هدم أسوارها المنيعة حتى لا تكون سداً في وجه المماليك مرة أخرى[١].

واظب الأرمن على انتهاج السياسة السلمية مع السلطة المملوكية حتى عام ٧٢٠هـ/١٣٢٠م، حيث امتنع أوشين من إرسال الجزية المقررة عليه لأنَ بلاده كانت تمر بأزمة اقتصادية حادة بفعل الهجمات المملوكية السابقة، إضافة للصراعات الداخلية التي قسمت الأرمن إلى فريقين، فريق يرى ضرورة الارتباط بالبابوية، والتحالف مع الغرب الأوروبي، وفريق يعارض الانتساب إلى كنيسة روما[٢].

استغل الناصر محمد الاضطرابات التي تمر بها مملكة أرمينيا الصغرى، فكتب بخروج عساكر الشام إلى غزو بلاد متملك سيس لمنعه الحمل، فسار الأمير شهاب الدين قرطاي نائب طرابلس بعساكر الساحل، وجردت عساكر من حماه ودمشق، واتجهوا إلى حلب حيث انضمت عساكرها إلى الحملة. دخلت الجيوش المملوكية بلاد سيس بعد أن قطعوا نهر جيحان، ونازلوا قلعة سيس

---

[١] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٢، ق١، ص١٤٢، أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤، ص٩٠، وكان مشاركاً في الحملة، ابن حبيب، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، ج٢، ص٦٥، حسن، تاريخ المماليك البحرية، ص ١٧١، طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص٢٨١.

[٢] عاشور، سلطنة المماليك ومملكة أرمينيا الصغرى، ص٢٦٩.

حتى بلغوا السور، وغنموا منها وأتلفوا البلاد والمزروعات، وعادوا إلى حلب بغنائم كثيرة[1]. كان الملك أوشين آنذاك مريضاً، ولما سمع بهجوم جيش المماليك على مملكته ازدادا ضعفاً حتى مات، وخلفه ابنه ليون الخامس ملكاً على مملكة أرمينيا الصغرى سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠[2].

وبالتزامن مع هذه الأحداث طرأت تغيرات سياسية في بلاد فارس لم تكن في مصلحة مملكة أرمينيا الصغرى، حيث توفي الخان أوليخاتو سنة٧١٧هـ/١٣١٧م، وخلفه ابنه أبوسعيد بهادر خان[3] في السنة نفسها، وسرعان ما جرت المفاوضات بينه، وبين الناصر محمد، انتهت بعقد صلح سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م، ويعد هذا الصلح نقطة تحول في العلاقات بين دولتي المماليك ومغول فارس، إذ ساد الهدوء بين الدولتين، ولم تندلع بينهما معارك طاحنة كتلك المعارك التي شهدها القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، وكان انعكاس هذا الصلح سيئاً على مملكة أرمينيا الصغرى إذ أدى هذا الصلح إلى إخراج مغول فارس من دائرة الصراع بين المماليك والأرمن، وأصبحت أرمينيا الصغرى وحيدة في مواجهة الجيوش المملوكية[4].

---

[1] أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤، ص١٠٣، ١٠٤، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ح٢، ق١، ص٢٠٣، ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج١، ق١، ص٤٥١.

[2] عربش، أرمينيا أرض وشعب، ص٩١.

[3] أبو سعيد بهادر خان: تولى الحكم وهو في الثالثة عشر من عمره سنة٧١٧هـ/١٣١٧م، وفي عهده انتهى الصراع الدموي مع المماليك، وبوفاته سنة ٧٣٥هـ/١٣٣٥م، انهارت دولة مغول فارس وتفتت إلى العديد من الدول. انظر سرور، دولة بني قلاوون، ص٢٠٥-٢١٧.

[4] عاشور، العصر المماليكي في مصر وبلاد الشام، ص٥١، حسن، تاريخ المماليك البحرية، ص١٦٣.

كان ليون الخامس يبلغ من العمر عشر سنوات عندما تولى العرش، فوضع تحت الوصاية[1]، وخلال هذه الفترة كانت بلاط سيس مسرحاً لجرائم دموية كثيرة، شبَ الملك في وسطها حتى انتهت الوصاية، واستلم العرش فعلياً سنة ٧٢٩هـ/١٣٢٩م[2].

كانت أخبار مملكة أرمينيا الصغرى السيئة تصل تباعاً إلى القاهرة مصحوبة بما كان يجري من اتصالات خفية بين ملوك مملكة أرمينيا من جهة، والغرب الأوروبي من جهة أخرى، حيث أرسل الملك ليون الخامس إلى البابا يوحنا الثاني والعشرين يطلب منه معونة عاجلة، ولكن جاء رد البابا بانشغال ملوك أوروبا فيما بينهم من منازعات، وحروب داخلية، الأمر الذي استثار سلطنة المماليك، فبادر الناصر محمد بإرسال حملة عسكرية بقيادة نائب حلب الأمير علاء الدين الطنبغا[3] إلى بلاد الأرمن سنة ٧٢٢هـ/١٣٢٢م[4]، حيث طالب الناصر من الملك الأرمني تسليم جميع القلاع، والبلاد التي استولى عليها المماليك في عهد السلطان لاجين، ولكن الملك الأرمني رفض الطلب المملوكي، فتمكن الجيش المملوكي من دخول مدينة سيس، كما فتح ثغر إياس وأسر الكثير من الأرمن، وأضرم النار في مدينة أذنة، ثم انسحب عائداً إلى بلاد الشام[5].

---

[1] أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤، ص١٠٥.

[2] المدور، الأرمن عبر التاريخ، ص٢٤١.

[3] علاء الدين الطنبغا: من مماليك الناصر محمد بن قلاوون، عينه نائباً على حلب ثم غزة، وبعد قتل الناصر لسيف الدين تنكز، عين مكانه الطنبغا والياً على دمشق سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م. كان فارساً شجاعاً، حسن السيرة والإدارة، توفي سنة ٧٤٢هـ/١٣٤١م. انظر ابن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٩، ص ٢٠٨، ٢٠٩، ابن أيبك الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج١، ص٦٠٠-٦٠٣، ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج١، ص٤٠٨.

[4] النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣٣، ص٢٨، وكان شاهد عيان على الحملة.

[5] النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣٣، ص٢٨، أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤، ص١٠٧. ابن حبيب، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، ج٢، ص١٢٤. طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص٢٨٣.

بعد هزيمة الأرمن أرسل الملك ليون الخامس سنة ٧٢٣هـ/١٣٢٣م سفارة إلى القاهرة برئاسة الكاثيليكوس قسطنطين، ومعه أم الملك وعدد من الأمراء، حاملين معهم الهدايا للسلطان الناصر، وقد اعتذر الرسول الأرمني عما كان من متملك سيس وطلب الرحمة والعفو من السلطان المملوكي، وعرض الرسول عليه أن يحمل الأرمن إلى الخزانة السلطانية "قطيعة في كل سنة ألف ألف درهم ومائتي ألف درهم، وما جرت به العادة من البغال المساقة إلى الإسطبلات، والنعال الحديد"، بالإضافة إلى ذلك سألوا السلطان المملوكي بالإذن لإعادة إعمار ثغر إياس، وأن يكون ما يتحصل منه مناصفة بينهم وبين السلطان، لكن السلطان رفض العرض الأخير حتى يدفعوا عن الميناء ثمانمئة ألف درهم. وبالتزامن مع هذه السفارة، وصلت رسل الخان أبي سعيد من أجل التوسط للسلطان، وقبول شفاعته للملك ليون الخامس، فاكتفى السلطان بقبول القطيعة، وإبرام هدنة مدتها خمس عشرة سنة، ولم تحصل الموافقة على إعادة إعمار ثغر إياس ورجع السفراء إلى بلادهم[١].

---

[١] النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣٣، ص٤٦، يورد المقريزي رواية أخرى عن هذه السفارة، فيذكر أنَ السلطان المملوكي قد أجاب السفير الأرمني بقبول عمارة ثغر إياس. والأقرب إلى الصحة هو رفض السلطان عمارته لأن ميناء إياس كان منافساً خطيراً لميناء الإسكندرية في التجارة بين الشرق والغرب وخاصة في تجارة التوابل بين أوروبا وبين الهند والشرق الأقصى، والتي كانت المورد الرئيسي لخزينة مملكة أرمينيا الصغرى. انظر المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٢، ص٢٤٦، عربش، أرمينيا أرض وشعب، ص٩١. حاول ليون الخامس التقرب من الناصر محمد، وإظهار ولائه نحوه بكافة الوسائل، فقام بقتل وصيه الذي استأثر بالنفوذ دونه، وبعث برأسه إلى القاهرة، فسر الناصر محمد، وأرسل إليه خلعة وسيفاً وفرساً. انظر أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤، ص١١٧.

لكن الأوضاع الهادئة بين الدولتين تغيرت في سنة٧٣٥هـ/١٣٣٥م، عندما شرع فيليب الخامس ملك فرنسا تحت إلحاح البابوية على تقديم المساعدة لمملكة أرمينيا الصغرى بحملة صليبية جديدة، لكن مشروع تلك الحملة سرعان ما تلاشى بعد وفاة البابا يوحنا الثاني والعشرين، في الوقت الذي امتنع فيه ليون من دفع الجزية للسلطنة المملوكية، وأرسل جيوشه لمهاجمة المناطق الحدودية مع بلاد الشام واستعادة بعض القلاع[١].

بناءً على هذه الأحداث جهز الناصر محمد سنة ٧٣٧هـ/١٣٣٧م حملة للإغارة على بلاد سيس[٢]، فسير العساكر المصرية من القاهرة إلى بلاد الشام لتنضم إلى العساكر الشامية تحت قيادة نائب حلب الأمير الطنبغا، وما إن وصلت أخبار الهجوم المملوكي حتى سارع ليون الخامس بإرسال السفراء إلى السلطان المملوكي. وصل سفراء الأرمن إلى دمياط عن طريق البحر، لكن الناصر محمد لم يأذن لهم بالدخول عليه بحجة أنهم خالفوا الأعراف الدبلوماسية، ولم يتصلوا "بجهة الاختصاص"، أي إخبار نائب الشام بقدومهم، فعاد الرسل إلى سيس. وسرعان ما أرسل ليون الخامس الرسل ثانية إلى نائب الشام، وسأله منع العسكر عن بلاده، وأنه مستعد لتسليم جميع القلاع التي تقع وراء نهر جيحان للسلطان، فتمت الاستجابة لطلب ليون الخامس وكفت الجيوش المملوكية عن مهاجمة الأرمن، واضطر ليون الخامس إلى تسليم القلاع للسلطان

---

[١] ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج١، ق١، ص٤٧٠. عاشور، سلطنة المماليك مملكة أرمينيا الصغرى، ص٢٧١.

[٢] ابن دقماق، الجوهر الثمين في سير السلاطين والملوك، ص٣٦٠.

كالمصيصة والهارونية وسرفندكار وإياس والنجيمة وغيرها، فعين السلطان نوابه عليها، وأقطع أراضي سيس لنائب حلب، ونائب دمشق وغيرهم من أمراء الشام[١].

وهكذا أصبحت العلاقة بين دولة المماليك ومملكة أرمينية الصغرى علاقة تبعية، قوامها الاعتراف بسيادة سلطان المماليك على بلاد الأرمن، ودفع الجزية له بانتظام، وحل الوئام والسلام بين البلدين حتى أن الناصر محمد أشفق لما حل بمملكة أرمينيا الصغرى على يد جيوشه من دمار وخراب، فأمر بإعفائها من الخراج المقرر لمدة ثلاث سنوات، كما عقد معها هدنة لمدة عشر سنوات، مقابل تعهد ليون الخامس بعدم الاتصال مع الغرب الأوروبي، وعدم قبول أي مساعدة تأتيه من الخارج[٢].

---

[١] اليوسفي(موسى بن محمد بن يحيى)، نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، تح: أحمد حطيط، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٦م، ص٣٩٦، ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج١، ق١، ص٤٧٣، ابن حبيب، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، ج٢، ص٢٧٩.

[٢] عاشور، سلطنة المماليك مملكة أرمينيا الصغرى، ص٢٧٣، طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص٢٨٦.

٤- ضعف مملكة أرمينيا الصغرى وسقوطها:

دخلت دولة المماليك البحرية بعد وفاة الناصر محمد بن قلاوون سنة٧٤١هـ/١٣٤١م مرحلة جديدة في تاريخها يمكن تسميتها عصر أبناء الناصر محمد وأحفاده، وأهم ما يميز هذه الفترة، والتي استمرت حتى سقوط دولة المماليك البحرية سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م، ازدياد نفوذ الأمراء، وتعاقب عدد من أبناء الناصر محمد ثم أحفاده على منصب السلطنة[١].

كذلك الأمر بالنسبة لمملكة أرمينيا الصغرى، فقد توفي ليون الخامس سنة ٧٤٢هـ/١٣٤١م دون ولد يخلفه، فآلت مملكته بناء على وصيته إلى ابن أخته الأمير القبرصي" جاي لوزجنان" الفرنسي الأصل، وتوج ملكاً على مملكة أرمينيا الصغرى سنة٧٤٢هـ/١٣٤١م وتلقب باسم قسطنطين الثالث، وبذلك انتقل عرش مملكة أرمينيا الصغرى من آل هيثوم إلى آل لوزجنان، وبما أن أسرة لوزجنان من أصول فرنسية فقد سعى قسطنطين الثالث إلى فرض، وتطبيق تعاليم، وطقوس الكنيسة الكاثوليكية بالقوة على الأرمن، الأمر الذي أدى إلى اغتياله على يد كبار الأرمن سنة ٧٤٣هـ/١٣٤٢م[٢].

بعد مقتل قسطنطين الثالث، نصب الأرمن قسطنطين الرابع ملكاً عليهم سنة ٧٤٣هـ/١٣٤٢م، وقسطنطين الرابع هذا من أحفاد الكندسطبل الأرمني سمباد أخو ملك أرمينيا هيثوم الأول، وكانت مملكة أرمينيا الصغرى عند استلامه السلطة تعاني من تدهور أوضاعها الاقتصادية بشكل كبير، فامتنع عن الجزية المقررة للمماليك، مما جعلها من جديد هدفاً للحملات المملوكية، التي تحدث

---

[١] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٩، ص٢٤٠. ابن دقماق، الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، ص٣٦٣. عاشور، العصر المماليكي في مصر وبلاد الشام، ص١٢٦.

[٢] عربش، أرمينيا أرض وشعب، ص٩١. ديشابرهوش، مختصر تاريخ الأرمن، ص٢٥٦. المدور، الأرمن عبر التاريخ، ص٢٤٢.

عنها مؤرخو العصر المملوكي بإسهاب، فقد روى المقريزي في حوادث ٧٤٤هـ أنه " خرجت عساكر حلب وحماه وطرابلس إلى جهة سيس لحرب أهلها من الأرمن لمنعهم الخراج، وأثروا في أهل سيس آثاراً قبيحة"[1].

ساءت أوضاع مملكة أرمينية الصغرى لدرجة أنها لم تعد قادرة على دفع الجزية المقررة عليها، لذلك أرسل الملك قسطنطين الرابع إلى السلطان المملوكي الصالح إسماعيل بن الناصر محمد(٧٤٣-٧٤٦هـ/١٣٤٢-١٣٤٥م) يستعطفه ويخبره بأن بلاده خربت، فسامحه السلطان بنصف الخراج ، بمعنى أنه وافق على إنقاص الخراج المفروض على بلاده إلى النصف، ويشير المؤرخون المسلمون إلى هذه الحقيقة بعبارة " وفيها قدم حمل سيس بحق النصف"[2].

وحدث في منتصف القرن الثامن الهجري /الرابع عشر الميلادي أن انتشر الطاعون الأسود في بلدان كثيرة يحصد الأرواح، فقد حصد هذا المرض ثلث سكان أوروبا آنذاك، وامتد إلى آسيا والشرق الأدنى، استمر من سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٧م حتى سنة ٧٥٢هـ/١٣٥٢م، ومن ضمن هذه البلدان مملكة أرمينيا الصغرى، حيث يروي المقريزي ضمن حوادث سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٩ "وعظم الموتان ببلاد سيس، ومات من أهل تكفور في يوم واحد بموضع واحد مائة وثمانون نفساً، وخلت سيس وبلادها"[3].

اتبع قسطنطين الرابع السياسة نفسها التي انتهجها سلفه قسطنطين الثالث، والتي تقضي بفرض تعاليم الكنيسة الكاثوليكية على الأرمن، الأمر الذي دفع الأرمن على قتله بعد سنتين من حكمه

---

[1] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٢، ق٢، ص٦٥٠، عاشور، سلطنة المماليك ومملكة أرمينية الصغرى، ص٢٧٣.

[2] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٢، ق٢، ص٦٩٤.

[3] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٢، ق٢، ص٧٧٤.

سنة ٧٤٥هـ/١٣٤٤م، ليخلفه قسطنطين الخامس. وبعد هدوء دام عدة سنين بين الأرمن والمماليك، عاد المماليك للإغارة على كيليكيا في عهد السلطان الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون(٧٥٥-٧٦٢هـ/١٣٥٤-١٣٦٠م) وذلك سنة ٧٦١هـ/١٣٦٠م دون معرفة الأسباب في عهد السلطان الناصر ناصر الدين حسن بن الناصر محمد بن قلاوون، حيث أرسل أوامره إلى نائب حلب بالتوجه إلى بلاد سيس. تمكن الجيش المملوكي من الاستيلاء على أذنة وطرسوس والمصيصة وعدة قلاع أخرى، وأقام السلطان بأذنة وطرسوس نائبين عنه بعد أن ضمهم بشكل نهائي إلى أملاك الدولة المملوكية[١].

وفي أواخر سنة٧٦٤هـ/١٣٦٣م مات قسطنطين الخامس، فعين كبار أمراء الأرمن قسطنطين السادس الذي وجد نفسه عاجزاً عن إدارة شؤون البلاد، لذلك تنازل عن العرش لبطرس الأول ملك قبرص[٢] سنة ٧٧٠هـ/١٣٦٨م، غير أنه قتل في السنة نفسها قبل استلامه المملكة، عندها وجد قسطنطين السادس نفسه مضطراً إلى الاستمرار في حكم أرمينيا الصغرى.[٣]

كانت الأوضاع الاقتصادية في أرمينيا تزداد سوءاً، وكان ملكها في عجز تام عن إيجاد الحلول المناسبة لهذه الأزمات، فامتنع عن دفع الجزية في سنة ٧٧٠هـ/١٣٦٨م، وقام نائب حلب بالإغارة على العاصمة سيس وأخذها من الأرمن، ورجع إلى حلب، ولكن الأرمن استرجعوها

---

[١] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج١٠، ص١٦٥، عربش، أرمينيا أرض وشعب، ص٩٢.

[٢] بطرس الأول لوزجنان: ملك قبرص من سنة ٧٦٠هـ/١٣٥٨م حتى سنة ٧٧١هـ/١٣٦٩م. قام بطرس بمساعدة قسطنطين السادس باستعادة بعض المدن الأرمنية، التي استولى عليها المماليك سابقاً، كما قاد بطرس الأول حملة صليبية ضد مدينة الاسكندرية في عام ٧٦٧هـ/١٣٦٥م، لكنه رحل عنها بسرعة بعد أن نهب وقتل وأسر الكثير من سكانها. انظر النويري(محمد بن قاسم الاسكندراني)، الإلمام بالأعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في واقعة الإسكندرية، تح: إيتان كامب، عزيز سوريال عطيه، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند، ١٩٦٨، ١٩٧٦.

[٣] المدور، الأرمن عبر التاريخ، ص٢٤٣.

بسرعة. وفي سنة ٧٧٤هـ/١٣٧٢م عرض الملك الأرمني على السلطان الأشرف أبي المعالي زين الدين شعبان(٧٦٤-٧٧٨هـ/١٣٦٣-١٣٧٧م) أن يتنازل له عن مملكة أرمينيا الصغرى مقابل الحفاظ على حياته وممتلكاته، ولما وصل الخبر إلى الأرمن قاموا بقتله في السنة نفسها.

بعد مقتل قسطنطين السادس تولى ليون السادس لوزجنان قريب الملك القبرصي العرش في مملكة أرمينيا الصغرى سنة ٧٧٤هـ/١٣٧٣م. وصل الملك الجديد بصعوبة إلى المملكة لأنها كانت قد تقلصت وصارت قاصرة على عاصمتها سيس وعين زربا المجاورة لها الواقعتين على نهر جيحان داخل إقليم كيليكيا[١].

أدى تراجع المملكة الأرمنية في المجالين الاقتصادي والسياسي إلى عجزها عن الوفاء بالتزاماتها تجاه الدولة المملوكية، واعتبر المماليك ذلك تمرداً من الأرمن، فقرر السلطان الأشرف شعبان غزو أرمينيا الصغرى وضمها نهائياً إلى أملاك الدولة المملوكية، وخاصة بعد أن ضمن حياد ملك قبرص بطرس الثاني لوزجنان، حليف الأرمن الأول، على أثر معاهدة الصلح التي عقدها معه في سنة ٧٧١هـ/١٣٧٠[٢].

أرسل السلطان أوامره إلى نائب حلب اشقتمر المارديني[٣] بالإغارة على مدينة سيس سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٥م، فقام اشقتمر بمحاصرة المدينة لمدة ثلاثة أشهر، فاضطرت أخيراً للاستسلام بينما لجأ ليون السادس إلى قلعة جابان التي تحصن بها لمدة تسعة أشهر، لكنه في النهاية

---

[١] استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص٢٤٨.

[٢] طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص٣٢١.

[٣] الأمير اشقتمر الماريديني: تولى نيابة حلب عدة مرات، في سنة ٧٦٥هـ /١٣٦٣م واستمر فيها سنة ونصف، ثم تولاها ثانيةً سنة ٧٧١هـ /١٣٦٩م بعد اشقتمر الناصري، ثم ولي نيابة طرابلس لفترة، كان شهماً شجاعاً عارفاً بالتدبير. وقد أكثر الشعراء من مدحه لفتحه سيس سنة٧٧٦هـ/١٣٧٥م. انظر ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج١، ص٣٨٩.

اضطر للاستسلام، وبذلك سقطت مملكة أرمينيا الصغرى بيد دولة المماليك البحرية وأصبح لها نائب مملوكي مستقل يعرف باسم نائب سيس[١].

أما فيما يتعلق بالملك ليون السادس فبعد أن وقع بالأسر سيق مع أسرته والكاثوليكوس وعشرون أميراً إلى سجن حلب ومنه إلى سجن القاهرة، وعجز عن دفع الفدية المطلوبة لإطلاق سراحه، فكتب رسائل إلى البابا وإلى ملوك ألمانيا وقبرص وفرنسا، وإلى أمراء آخرين يطلب منهم التوسل له عند السلطان لإطلاق سراحه، ثم طلب بعض الأمراء من السلطان الأشرف شعبان أن يخفف القيد عن الملك الأرمني ويضعه في قلعة حصينة، ويسمح له بالتجول بين أسوارها، فأجاب السلطان بأنه لا يمنحه الحرية فقط، بل هو مستعد لمنحه كل ما يشرفه، وأن يعيد له كل ممتلكاته إن هو اعتنق الإسلام[٢].

وبقي أسيراً لدى المماليك لمدة ثماني سنوات، وكانت صحته تتدهور باستمرار، عندئذ سمح السلطان المملوكي الصالح أمير حاج(٧٨٣-٧٨٤هـ/١٣٨١-١٣٨٢م) بإرسال أحد الأمراء الأرمن إلى البابا أوربان السادس والغرب لطلب المساعدة وافتداء الملك، ويبدو أن البابا رق لحال ملك أرمينيا الصغرى ورفاقه في الأسر، فأرسل إلى ملوك أوروبا يستحثهم لجمع المال اللازم لافتداء الملك، وبناءً على ذلك جمع ملك قشتالة جوان الأول(٧٨١-٧٩٣هـ/١٣٧٩-١٣٩٠م) الأموال اللازمة لفداء ليون السادس، وأرسلها إلى السلطان المملوكي التي كانت بينهم علاقات طيبة، وبعد الاتفاق والتعهد بعدم العودة إلى كيليكيا مرة أخرى، أطلق السلطان سراح ليون

---

[١] ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج١، ق٢، ص١٣٩، عاشور، سلطنة المماليك ومملكة أرمينية الصغرى، ص٢٧٦.

[٢] ,Dardel Jean : Chronique d'Arménie, Ds. : H. H. C. D. A., Imprimerie ,impériale, Paris. 1969, p. 721.

السادس سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م الذي غادر القاهرة إلى باريس، وأقام فيها حتى توفي سنة ٧٩٦هـ/١٣٩٣م[١].

وهكذا يمكن القول أنَ ضعف مملكة أرمينيا الصغرى وسقوطها بيد المماليك كان لعدة أسباب أولها النزاعات الداخلية التي انتشرت في البلاط الأرمني على عرش مملكة أرمينيا الصغرى، وتولي ملوك غير قادرين على النهوض بالدور الذي تقوم به مملكة أرمينيا الصغرى في سياستها مع الدول المجاورة، بالإضافة إلى الصراع الديني الذي مزق شمل الأرمن بانقسامهم إلى فريقين فريق يؤيد التحالف مع البابوية وبالتالي تطبيق تعاليم وطقوس الكنيسة الكاثوليكية في روما، وفريق يعارض الأمر.

هذا من الناحية الداخلية، أما من الناحية الخارجية فإن سر بقاء مملكة أرمينيا الصغرى طوال هذه المدة وعجز المماليك على القضاء عليها بسهولة، يعود إلى تحالفها مع مغول فارس، ومع اعتناق الخان المغولي للإسلام ضعف هذا التحالف، وبالتالي فقدت مملكة أرمينيا الصغرى الدعامة الكبرى التي كانت تستند إليها، وأصبحت هدفاً رئيسياً للحملات العسكرية المملوكية المتتالية، التي كان لها الأثر الأكبر في إضعاف أرمينيا من النواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

كما كان لاضمحلال نشاط أرمينيا التجاري وانصراف التجار عن ميناء إياس دورٌ هامٌ في إضعافها، وذلك نتيجة الخراب والدمار الذي كان يحل به عقب كل حملة مملوكية على بلاد سيس، وبالتالي فقدان الأمن اللازم للنشاط التجاري. بالإضافة إلى فقدان التجار الذين كانوا

---

[١] ابن دقماق، الجوهر الثمين في سيرة الخلفاء والسلاطين، ص٤٣٠، ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج٢، ص١٣٩، عاشور، سلطنة المماليك ومملكة أرمينية الصغرى، ص٢٧٧، عربش، أرمينيا أرض وشعب، ص٩٣.

يترددون على ميناء إياس حريتهم في مواصلة نشاطهم التجاري بعد أن فرض ملوك أرمينيا الصغرى من آل لوزجنان على التجارة والتجار ضرائب باهظة ومرهقة أدت إلى حرمان المملكة من مورد اقتصادي هام كان له دور كبير في صمودها.

الفصل الرابع: العلاقات السلمية و المراسلات الدبلوماسية:

٣- التمثيل الدبلوماسي :

ث-السفارات و السفراء

ج-مراسم استقبال السفراء

ح-تبادل الهدايا

٤-المراسلات الدبلوماسية:

ت- وظيفة ديوان الانشاء.

ث- الجوانب المادية للمراسلة مع ملك أرمينيا الصغرى.

لم تعتمد دولة المماليك البحرية في رسم علاقاتها الخارجية على القوة العسكرية فحسب، بل اتبعت نشاطاً دبلوماسياً كان له دور كبير في علاقاتها مع الدول المحيطة بها، وتمثل هذا النشاط الدبلوماسي في تبادل السفارات، وتوقيع المعاهدات والاتفاقيات، فما هو الهدف من السفارات؟ وكيف يتم اختيار السفراء؟ و ماهو الدور الذي قام به ديوان الإنشاء المملوكي لإنجاح هذه العلاقات الدبلوماسية؟

أ- السفارات ومهامها :

" السفارة – بفتح السين وكسرها– مصدر سفر، وتطلق لغةً: على إيقاع الصلح بين القوم، يقال: سفر بين القوم يسفر أي أصلح بينهم."[1]

اعتمد المسلمون على السفارة كنوع من ضروب الاتصال والتعامل في العلاقات التي تكون بين المسلمين وغيرهم، وقد شهد البلاط المملوكي استقبال العديد من السفارات من مختلف الدول المجاورة الإسلامية وغير الإسلامية على حد السواء، ومن ضمنها سفارات مملكة أرمينيا الصغرى، والتي تنوعت مهامها تبعاً للظروف السياسية الخارجية والاقتصادية[2]، فمنها لأجل إطلاق سراح الأسرى، كالسفارة الأرمنية التي وصلت إلى القاهرة سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٦م، ومهمتها التفاوض مع سلطان المماليك الظاهر بيبرس من أجل إطلاق سراح الأمير ليون بن هيثوم الأول

---

[1] ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل)، لسان العرب، تح: عبد الله الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، د.ت، مج ٣، ص٢٠٢٦.

[2] طنطاوي (حسام عويس)، الكتابة بالأشياء في مصر خلال العصر المملوكي، مؤتمر الفن واللغة، الأبحاث العلمية، جامعة عين شمس، مج٤، ص١، سفر(حسن بن محمد)، السفارات في النظام الإسلامي، جامعة الملك عبد العزيز، ط١، ١٤١٧هـ، ص١٠.

ملك أرمينيا[1]. أو للتفاوض لإنهاء القتال وعقد الهدن والاتفاقيات والتصديق عليها، كسفارة البارون بتهرام موفد الملك الأرمني ليون الثالث إلى السلطان المملوكي المنصور قلاوون للتصديق على معاهدة سنة ٦٨٤هـ/١٢٨٥م[2].

بالإضافة إلى السفارات التي كانت مهمتها تقديم فروض الطاعة والولاء والحصول على امتيازات تجارية واقتصادية، كالسفارة التي وصلت إلى القاهرة سنة ٧٢٣هـ/١٣٢٣م بعد الهزيمة التي تلقاها الأرمن في كيليكيا على يد الجيوش المملوكية سنة ٧٢٢هـ/١٣٢٢م، والتي كانت مهمتها تندرج ضمن طلب الرحمة والعفو من السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون، وتقديم القطيعة السنوية التي فرضها المماليك على الأرمن، بالإضافة إلى ما يتعلق بالجانب التجاري من حيث طلب الأذن من السلطان المملوكي لإعادة إعمار ميناء إياس وتنشيط التجارة عبره، بعد أن دمره الجيش المملوكي[3].

وكانت السفارات إلى جانب مهامها المتعددة، تقوم بأنواع أخرى من النشاطات في مجال تقوية العلاقات بين الدول، كأن تكون لأغراض سلمية منها ما عرف بسفارات التهنئة والتعزية، كسفارة الظاهر بيبرس إلى الملك الأرمني ليون الثالث سنة ٦٦٩هـ/١٢٧٠م، والتي كانت لأجل التعزية بوفاة والده الملك السابق، والتهنئة بجلوسه على العرش، وكانت هذه السفارة رداً على رسالة ليون الثاني لبيبرس يخبره فيها بوفاة والده واستلامه للعرش[4].

---

[1] ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ص٢٧٢، شافع بن علي، حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، ص٢٣٩، النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣٠، ص٩٩، بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، ص١١٥، كذلك انظر

STEWART, *The Armenia Kingdom*, p.35.

[2] ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، ص١٠٣.

[3] النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣٣، ص٤٦، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٢، ق١، ص٢٤٦، عربش، أرمينيا أرض وشعب، ص٩١.

[4] النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣٠، ص١٧٣.

كما أرسلت السفارات لأغراض تجسسية وجمع المعلومات لمحاولة معرفة قوة الدولة المرسل إليها ومدى بأسها، فكانت مهمة السفراء أن يعلموا حالة الطرق والأمكنة التي توجد فيها المروج والأعشاب والحشائش للعلف، ومدى قوة أعدائهم وعتادهم. وخير مثال على ذلك، رسل ملك سيس الذين أرسلهم الملك ليون الخامس إلى معسكر المسلمين بقيادة نائب حلب الأمير علاء الدين الطنبغا سنة ٧٣٧هـ/١٣٣٧م الذي كان يعد العدة لمهاجمة بلادهم، من أجل معرفة تعداد الجيش المملوكي، لكن نائب حلب رفض استقبالهم واضطروا للعودة إلى بلادهم[١]. وبالنسبة إلى عدد أعضاء السفارة والفئات التي يتم اختيارهم فيها، فالمعلومات غير كافية.

كما قام المماليك سنة ٦٧٠هـ/١٢٧١م بإرسال سفارة مملوكية لنفس الغرض إلى طرابلس من أجل التفاوض والصلح مع بوهيموند السادس، حيث كانت هذه السفارة تضم الظاهر بيبرس شخصياً متنكراً بصورة سلحدار، ليكشف حال البلدة ويخبر بجهاتها[٢].

غالباً ما كانت السفارات المملوكية أو الأرمنية تضم العديد من الموفدين المختارين من كبار رجال الكنيسة والدولة، أو علماء و شخصيات تنحدر من الأسرة الحاكمة. ولكن من الصعب تحديد عدد الأعضاء المشاركين في هذه السفارات، فالمصادر المملوكية كثيراً ما غفلت عن ذكر هذه المعلومات، واكتفت أحياناً بذكر رئيس السفارة، أو ذكر قدوم رسل متملك سيس دون الإسهاب في تقديم عرض سيرة ذاتية عن الموفدين والرسل الذين وصلوا إلى بلاط القاهرة[٣]. وهذا سؤال يطرح نفسه، هل مرد ذلك كونهم سفراء مسيحيين ورغبة من السلطنة المملوكية في التقليل من مكانتهم وأهميتهم؟ أم يعود ذلك لاعتبارات سياسية تتعلق بأمن الدولة المملوكية؟

---

[١] اليوسفي، نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، ص٣٩٧.

[٢] شافع بن علي، حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، ص٢٦٢، ٢٦٣.

[٣] - G. Hassan, Les relations diplomatiques entre les mamelouks bahrides et les Etatschrétien en Orient, p178.

تعاملت الدولة المملوكية مع موضوع السفارات والرسل بسرية بالغة من خلال ندرة المعلومات التي أوردتها عنهم، استناداً إلى سياسة الدولة المملوكية القائمة على ضرورة كتمان أمر الرسل والسفارات حرصاً على أمن الدولة ونجاح العملية السياسية من خلال ضمان عدم اتصالهم مع أحد، فعندما وصل خبر وصول سفارة هيثوم وأبغا لطلب الصلح سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٨م، أمر بيبرس أحد كبار الأمراء باصطحاب السفراء إلى دمشق، وأن يحرص في أثناء ذلك حرصاً شديداً على ألا تتمكن البعثة من أن تحادث أحداً[١].

كما تذكر المصادر المملوكية في حوادث سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٦م "وصول رسل التكفور هيثوم صاحب سيس يشفع في ولده للسلطان، ففك قيده في ثاني عشريه وكتب له موادعه[٢]على بلاده إلى سنة"[٣]. هذه السفارة الأرمنية كانت برئاسة " فاساك"[٤] استناداً إلى عبد الظاهر، ويروي سمباد أن فاساك هذا ابن قسطنطين والد الملك وحاكم المملكة قبل وصول هيثوم الأول إلى السلطة، أي أنه من أفراد الأسرة الحاكمة، ويضيف أنَ السفارة كانت تضم بالإضافة إلى فاساك، أوشين ابن أخت الملك هيثوم، وريموند زميل أوشين[٥].

أما البارون بتهرام موفد الملك الأرمني ليون الثالث إلى السلطان قلاوون سنة ٦٨٤هـ/١٢٨٥م، فكان حسب رواية ابن عبد الظاهر أحد الشخصيات الرئيسية في المملكة[٦]. وبالنسبة لسفارة الملك

---

[١] ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر، ص٣٤، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٧، ص١٣٠، توراو، الظاهر بيبرس، ص١٨٢.

[٢] أي المسالمة والمصالحة والمهادنة.

[٣] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٢، ص٥٥٥.

[٤] ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ص٢٧٢، بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، ص١١٥، النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣٠، ص١٥٣.

[٥] سمباد، التاريخ المعزو إلى القائد سمباد الأرمني، ج٣٥، ص٣٤٣،

- M. CANAR, « Le royaume d'Arménie- Cilicie et les Mamlouks jusqu'au traité de 1285 », p.232,233.

[٦] ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، ص١٠٣،

الأرمني ليون الخامس إلى القاهرة سنة ٧٢٣هـ/١٣٢٣م، كانت برئاسة الكاثيليكوس قسطنطين، وهو أعلى سلطة دينية لدى الأرمن، وترافقه أم الملك الأرمني ليون الخامس، وعدد من الأمراء، حاملين الهدايا للسلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون[١].

اهتم المسلمون بالتمثيل الدبلوماسي عن طريق الموفدين والمبعوثين، وكل ما يتصل بهم وبنشاطهم، وقد استخدمت المصادر المملوكية العديد من المصطلحات لتسمية الموفدين، وأهمها مصطلحي رسول وسفير، وكلمة الرسول مشتقة من الفعل أرسل وتعني مبعوث أو موفد، وتتضمن إيفاد شخص معتمد للقيام بمهمة معينة، والرسول هو من يرسل بين حاكمين لدولتين أو إمارتين في أمور خاصة[٢].

كذلك استعمل المسلمون مصطلح السفير الذي اشتق من لفظ السفارة، ومن مشتقات هذا المصطلح التي عرفوها السفيري، وسفير الأمة، وسفير الممالك، وسفير الملوك والسلاطين[٣]. لكن استخدام هذا المصطلح اقتصر على النصوص المتعلقة بالإنشاء، وعموماً المصطلح الأكثر استخداماً في المصادر المملوكية للإشارة إلى المبعوث كان" الرسول".

- G. Hassan, Les relations diplomatiques entre les mamelouks bahrides et les Etatschrétien en Orient, p178.

[١] النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣٣، ص٤٦، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٢، ق١، ص٢٤٦، عربش، أرمينيا أرض وشعب، ص٩١

[٢] توفيق(عمر كمال)، الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين، دراسة تحليلية وثائقية في التاريخ الدبلوماسي(٤٩١-٦٩٠هـ/١٠٩٧-١٢٩١م)، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط١، ١٩٨٦م، ص١١٨.

[٣] القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج١، ص١٥، ٣٥، لم يرد في المصادر العربية ما يفيد بوجود تفرقة أو تمييز لدى المسلمين في استعمال مصطلح السفير والرسول، كأن يكون إرسال الرسول من قبل أمير أو وزير، وإرسال السفير من قبل سلطة أعلى، فهذه التفرقة غير واردة في تلك المرحلة من التاريخ. انظر توفيق، الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين، ص١١٩.

أما بالنسبة للسفراء المسلمين فقد اتبع هؤلاء منهجاً محدداً في إيفاد السفراء، حيث يروي العباسي: " أن ملوك الأول تبعث رسولين أحدهما صاحب سيف والآخر من أهل الشريعة، وقد يعزز بثالث من الكتاب، فصاحب الشريعة يقرر ما يسوغ فيها ويدفع مالا يسوغ، وصاحب السيف يرتب ما لا خطر فيه على الملك ولا جنده، والكاتب يحفظ قوانين السياسة ورسوم المكاتبات وأدب المخاطبات"[1].

وفي العصر المملوكي اقتصر الأمر على رسولين صاحب سيف وصاحب قلم – أي من الكتاب– وأحياناً على رسول واحد، والدليل على ذلك ما أوردته بعض المصادر المملوكية عن السفارة التي أرسلها السلطان المملوكي الظاهر بيبرس إلى سيس سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٧م من أجل استحلاف الملك هيثوم الأول بشأن الإتفاق على مبادلة الأمير ليون بالأمير شمس الدين الأشقر وتسليم القلاع للسلطان المملوكي، إذ "رسم السلطان للأمير سيف الدين بلبان الرومي الدوادار، والصدر فتح الدين بن القيسراني كاتب الدرج الشريف بالتوجه لاستحلاف الملك"[2].

مايمكن ملاحظته من هذه السفارة أنها تضم مبعوثين أحدهما الأمير سيف الدين بلبان الرومي الدوادار، وهو من أعيان الأمراء ونجبائهم، وكان الملك الظاهر يعتمد عليه ويحمله أسراره إلى القصاد[3]، أي أنه يتولى أمر الجواسيس الذين استخدمهم السلطان من أجل الاستطلاع في أراضي العدو، لذلك تعد إحدى أخطر وأهم الوظائف في الدولة والمرتبطة مباشرة مع السلطان، أما الصدر فتح الدين بن القيسراني الحلبي(ت ٧٠٣هـ/١٣٠٣م) فقد كان يعمل في ديوان الإنشاء، وتولى منصب الوزارة في سلطنة السعيد بركة بن الظاهر بيبرس، وهو على مستوى رفيع من

---

[1] العباسي(الحسن بن عبد الله)، آثار الأول في ترتيب الدول، تح: عبد الرحمن عميرة، دار الجبل، بيروت، ط١، ١٩٨٩م، ص١٩٢.

[2] ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ص٣٢٩، النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣٠، ص١٥٤، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٢، ص٥٦٩، ٥٧٠.

[3] ابن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٠، ص١٧٧.

الكفاءة والثقافة والدراية السياسية من كونه كاتب الدرج الشريف الوظيفة الثانية في ديوان الإنشاء بعد كاتب الدست[1].

إن السفارة مهمة على جانب كبير من الخطورة، فلا يحق لأي شخص ممارستها، كما لا يصلح كل إنسان للقيام بها، وعلى ذلك فإنه لايختار للسفارة إلا من تتحقق فيه الكفاءة والقدرة عليها[2].

فما هي الصفات الضرورية والمطلوبة من السفراء بشكل عام؟

في الواقع لم يكن من السهل عملية اختيار السفراء نظراً لأهمية الوظيفة وحساسيتها، الأمر الذي قاد المؤرخين للإهتمام والتركيز على هذا الجانب من خلال وضع العديد من المؤلفات حول هذا الموضوع كابن الفراء في مؤلفه "رسل الملوك" حين وضع شروط من الواجب توافرها في السفراء، وهي شروط تنم عن خبرة ودراية في إدارة العلاقات مع الآخرين، وسبل تحقيق أمن تلك العلاقات والحفاظ عليها، ابتداء من شخصية الرسول أو السفير مروراً بالخصائص التي يجب أن يمتلكها وأهمها أن " يكون السفير مذكوراً، وسيماً قسيماً، لاتقتحمه العين ولايزدرى بالخبرة، عفيفاً جيد اللسان، وحسن البيان، حاد البصر، ذكي القلب، يفهم الإيماء ويناظر الملوك على السواء، فإنه إنما ينطق بلسان مرسله، فإذا ذكروه عرف، وإذا نظر إليه لم يحتقر، ويجب أن تزاح علله فيما يحتاج إليه، حتى لا تشره نفسه إلى مايبذل له ويدفع إليه، فإن الطمع يقطع الحجة، والرسول أمين لا أمين عليه، فيجب أن يرتهن بالإحسان إليه والإفضال عليه..."[3].

---

[1] ابن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٧، ص٣١٧، ابن العماد (شهاب الدين أبي الفلاح الحنبلي)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١، ١٩٩١م، ج٨، ص١٨.

[2] سفر، السفارات في النظام الإسلامي، ص٢٢.

[3] ابن الفراء(أبي علي الحسين بن محمد)، رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تح: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م، ص٣٥.

ويضيف القلقشندي شروطاً أخرى في اختيار السفير بقوله: " يستدل على عقل الرجل بكتابه وبرسوله، وقد قيل: من الحق على رسول الملك أن يكون صحيح الفكرة والمزاج، ذا بيان وعارضة ولين واستحكام منعه، وأن يكون بصيراً بمخارج الكلام وأجوبته، مؤدياً للألفاظ عن الملك بمعانيها، صدوقاً بريئاً من الطمع..."[١].

ويحذر على الرسول أن يكون شارب خمر، لأن الخمر يفضح صاحبه وتُطلع على ما في نفسه من الأسرار[٢]، وكذلك يجب على الملك اختبار رسوله قبل توجيهه في مهمته، عن طريق إرساله في مهمةٍ إلى بعض خواصه، ويجعل عليه رسولاً آخر أو بمعنى عيناً عليه دون أن يشعر، فإذا أدى الرسول رسالته ورجع بجوابها، سأل الملك عينه، فإن تطابق كلامهما، أصبح من الموثوقين والمفضلين لدى الملك، ومن ثم يوجهه حينئذ في مهمات أموره[٣]. ومن خلال هذه التوجيهات والمعالم الواضحة، والشروط الواجب توافرها في السفراء، فإننا نستطيع أن نحصر صفات السفير ككل في صفات شخصية وجسمانية كصحة الجسم، امتداد الطول، جهوري الصوت، وسيماً، وحسن اللباس، وصفات أخلاقية كالصدق، الأمانة، التأني، الوقار، والإقدام والجرأة، بالإضافة إلى صفات ثقافية وعلمية أن يكون على درجة واسعة من الاطلاع والمعرفة والعلم، وأن يكون ذا إلمام ببعض لغات العصر، أو أن يأخذ معه ترجمان.

---

[١] القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج١، ص١١٦.

[٢] في هذا الموضوع يروي العباسي أنه: "عندما يرد رسول على ملوك الفرس من الهند أو الترك أو الروم، أقاموا له الضيافات والرواتب، وبعثوا له بالخمر والأغاني- المغنيات- والملاهي، فإن أجاب إلى ذلك طمعوا فيه واطلعوا على جميع أسراره وهان عليهم، وإن امتنع نبل قدرهُ عندهم وعُلم سدادهُ". انظر العباسي، آثار الأول في ترتيب الدول، ص١٩٢.

[٣] القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج١، ص١١٦، توفيق، الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين، ص١٢١.

حرص الحكام المماليك على تزويد سفرائهم بوثائق عرفت باسم التذاكر (مفرده تذكرة) وكانت تتضمن اسم المرسل، وصفته، ولقبه، والجهة التي يقصدها، ويطلب من الحاكم المرسل إليه اعتمادها، فقد كانت هذه الكتب تصدر عن ديوان السلطان أو ديوان الإنشاء ليتقدم بها السفير إلى الحكام الموفد إليهم[١].

إن هذه التذكرة كانت تعرض على مخافر الطرق، فلا يعترضوا سبل الرسل، كما أنها تساعد على تبديل الخيل في مراكز البريد، وتمنح صاحبها التمتع بالاحترام والحفاوة في الأماكن التي يمر بها. وكانت تكتب بدايةً على الرقوق والجلود، وفي العصر العباسي أصبحت تكتب على الورق ثم توضع داخل خرائط في الجلد لحفظها، وكانت تكتب باللغة العربية وأحياناً يحمل السفير ترجمة لها بلغة البلد الذاهب إليه، على الورق البغدادي وهو أفضل أنواع الورق، يتميز بالليونة والرقة، يستعمل عادة لكتابة المصاحف. كما كانت الدولة الإسلامية تكلف كبار الخطاطين بكتابة هذه التذاكر بخط جميل وتزيينها حتى تليق بمقام المراسلة والمهام التي يتولاها السفراء[٢]. والجدير بالذكر أن هذه الشروط تذكر إلى حد بعيد بالشروط المطلوبة في الدبلوماسيين في العصر الحديث.

ومن أجل القيام بمهامهم بشكل كامل في الدولة الموفدين إليها، كان السفراء أو المبعوثين بحاجة إلى بعض التسهيلات. فطبيعة وضعهم كمبعوثين تتطلب الحصول على ضمانات تعرف باسم الحصانة الدبلوماسية أو الامتيازات، وكانت الدول منذ العصور القديمة تضمن حصانة وأمان حرمة السفراء. وقد عالجت الشريعة الإسلامية مسألة وضع السفراء القادمين من دار الحرب إلى

---

[١] القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج١٣، ص٨١، ٩١، ٩٩،

- G. Hassan, Les relations diplomatiques entre les mamelouks bahrides et les Etatschrétien en Orient, p193.

[٢] القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج٢، ص٤٧٦، سفر، السفارات في النظام الإسلامي، ص٢٧، توفيق، الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين، ص١٢٥.

دار الإسلام، وأكدت على أنَ الاحترام وحسن الضيافة واجبٌ للسفراء، فلا يجوز بأي حالٍ القبض عليهم أو معاملتهم بسوء أو السماح بقتلهم. (ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه عندما جاءه رسلٌ من قبل مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة وأرسل إلى النبي محمد يطلب منه تقاسم النبوة قال الرسول للسفراء "لولا أن الرسل لا تقتل، لقتلتكما"[1].

اشتملت الحصانة جميع أفراد حاشية السفير حتى الخدم والعبيد، وكانت قد اشترطت الشريعة الإسلامية لإقامة السفراء الأجانب في الأراضي التابعة للدولة الإسلامية الحصول على الأمان، وكان الأمان يمنح عادة من قبل أي مسلمٍ لمدةٍ زمنيةٍ محددةٍ، وبحصول السفير على هذا الأمان يصبح مستأمناً لايستطيع أي شخص المساس به طول فترة إقامته التي ينص عليها الأمان. حددت السلطات المملوكية مدة الأمان الممنوح للمبعوث بألا تتجاوز أربعة أشهر[2]. ولكن في حال حصول أحداث غير متوقعة تتطلب من المبعوث البقاء مدةً أطول من المدة الممنوحة له في الأمان، فإن السلطان يقوم بتمديد المدة، وعند انتهائها، هو ملزم بإرسال المبعوث إلى مكان آمن[3].

تشمل الامتيازات الممنوحة من قبل السلطات المملوكية للسفراء معاملتهم بكل الاحترام الواجب لمكانتهم ورتبتهم، وهذا الاحترام يشمل عائلته وجميع أفراد الحاشية التي معه، حتى في أوقات الحرب لايمكن رفع الحصانة الشخصية للسفير، فلا يمكن أن يكون عرضة لأي اعتقال أو احتجاز، كما كان يحق للسفراء ممارسة شعائرهم الدينية بكل حرية، فقد سمح الناصر أبو

---

[1] توفيق، الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين، ص١٢٦، سفر، السفارات في النظام الإسلامي، ص٢٢.

[2] القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج١٣، ص٣٢١، ٣٢٢.

[3] - G. Hassan, Les relations diplomatiques entre les mamelouks bahrides et les Etatschrétien en Orient, p178.

المحاسن حسن لسفير بيزنطة ومرافقيه بالذهاب إلى الحج في بيت المقدس سنة ٧٥٠هـ/١٣٤٩م[١].

ولكن على الرغم من هذه الامتيازات والاحترام الظاهر في هذه الحوادث، فإن سلاطين المماليك لم يحترموا دائماً حرمة وحصانة السفراء خاصة في زمن الحروب والأزمات. فقد تعرض الكثير من السفراء الوافدين إلى السلطنة المملوكية لسوء المعاملة وخاصة سفراء المغول، عندما قام السلطان المملوكي سيف الدين قطز بقتل رسلهم الذين أرسلهم هولاكو إلى القاهرة سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م بعد مشورة بيبرس[٢]. وكان من أبغا أن اتهم بيبرس في سفارته إليه وحمله مسؤولية مقتل الرسل، فرد عليه بيبرس بأن الرسل قُتلوا بأمر من الحاكم السابق قطز وليس عليه أي مسؤولية[٣].

وفي أثناء حملة الظاهر بيبرس ضد الفرنجة في بلاد الشام، قام السلطان بإيقاف مبعوثي صاحب يافا، كما أمر بسجن سفراء عكا الفرنجة لرفضهم الخضوع لمطالبه في عام ٦٦٧هـ/١٢٧٨م[٤].

أما بالنسبة إلى سفراء مملكة أرمينيا الصغرى حليفة المغول والفرنجة، فالروايات تظهر بأن سلاطين المماليك اعتادوا على ازدراء السفراء الأرمن في البلاط المملوكي. فبعد استقبال متواضع

- CANARD, M. « Une lettre du sultan Malik Nâsir Hasan à Jean VI Cantacuzène (750/1349) », *E.A.I.E.O.A.*, vol. 3, Larose, Paris, 1937, p.48,49.

[٢] يروي الهمذاني في هذا الموضوع أنه بعدما اتفق الأمراء على قتال المغول " اختلى قطز بالبندقدار – أي بيبرس البندقدار – الذي كان أميراً للأمراء وشاوره في الأمر، فقال البندقدار: " أنني أرى أن نقتل الرسل، ونقصد كيتوبوقا متضامنين. فإن انتصرنا أو هزمنا فسوف نكون في كلتا الحالتين معذورين". فاستصوب قطز هذا الكلام وأمر بصلب رسل المغول في الليل". انظر الهمذاني، جامع التواريخ، ج١، م٢، ص٣١٣، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٢، ص٤٢٩، بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، ص٥٠، سليم(محمود رزق)، عصر سلاطين المماليك ونتاجهم العلمي والأدبي، المطبعة النموذجية، مصر، ط٢، ١٩٦٢، ج١، ق١، ص٢٥.

[٣] ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ص٣٣٩، توراو، الظاهر بيبرس، ص١٨٢–١٨٣.

[٤] ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ص٣٤٦.

لسفارة قادمة من ملك أرمينيا الصغرى عام ٦٦٤هـ/١٢٦٥م، لم يسمح السلطان بيبرس للسفراء بعرض سبب مجيئهم بل اكتفى بتهديدهم مطالباً إياهم بدفع الجزية السنوية، والقبول بعلاقات تجارية حرة واسعة النطاق[١]. فاضطر سفراء أرمينيا القبول بشروط السلطان مفضلين سلام مهين على حرب دون هوادة ضد بلادهم[٢].

ففي عام ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م تعرض سفراء الملك ليون الثالث الذين جاؤوا للتفاوض مع السلطان قلاوون على الصلح والسلام للإيقاف والسجن عند وصولهم إلى بلاد الشام من قبل نائب الشام[٣].

ويذكر ابن عبد الظاهر أنه أثناء إقامة سفارة أرمنية في القاهرة قتل أحد السفراء الأرمن في أثناء مواجهة مع أمير مملوكي، فأمر السلطان بيبرس واستناداً إلى مبدأ الآمان الممنوح للسفير بقتل الأمير لتحقيق العدالة للمبعوث المقتول، لكن كبار الأمراء تدخلوا لصالح الأمير فعفى عنه السلطان[٤].

ويتضح مما سبق أن السفارات بين دولة المماليك البحرية ومملكة أرمينيا الصغرى قد تنوعت لأغراض عديدة سياسية كانت أم اقتصادية، وكان نجاح بعضها وفشل بعضها الآخر معتمداً على الأهداف التي جاءت من أجلها السفارات، كما أن طريقة التعامل التي تعامل بها سلاطين المماليك مع رسل أرمينيا الصغرى إنما تعكس طبيعة العلاقة العدائية التي بينهما وتعكس نظرة سلاطين المماليك كدولة قوية تجاه مملكة أرمينيا الصغرى كدولة ضعيفة وصغيرة.

---

[١] الدويهي (استفان)، تاريخ الأزمنة، تح: بطرس فهد،، دار لحد خاطر، بيروت، د.ت، ص٤٩٨، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٧، ص١٣٩.

[٢] ابن العبري، تاريخ الزمان، ص٤٨٩، توراو، الظاهر بيبرس، ص١٥٦.

[٣] ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، ص٩٢، ٩٣.

- M. CANAR, « Le royaume d'Arménie- Cilicie et les Mamlouks jusqu'au traité de 1285 », p.247.

[٤] - G. Hassan, Les relations diplomatiques entre les mamelouks bahrides et les Etatschrétien en Orient, p214.

ب – مراسم استقبال السفراء "البروتوكولات":

أعدَ المسلمون " بروتوكولات" أو رسوم خاصة لاستقبال السفراء واستضافتهم وفق قواعد خاصة وتقاليد دقيقة حرصوا على اتباعها.

فمنذ العصر الأموي خصص للسفراء دارٌ للضيافة ينزلون بها، وكان أول من بناها الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك. كما ازدادت مراسم الإكرام والإجلال في الاستقبال منذ العصر العباسي، حيث كانت الرسل تستقبل في موكب حافل يضم ممثلين عن الخليفة أو السلطان، فإذا نفذوا إلى شوارع العاصمة اصطف الجند على جنباتها، وأكبر شاهد على هذه الحفاوة العباسية بالرسل هو الاحتفال الذي أقامه الخليفة العباسي المقتدر بالله لسفير الدولة الرومانية[١].

بقيت مراسم استقبال السفراء على فخامتها وضروب الاهتمام بها تدل على اهتمام الدولة الإسلامية بهذا الجانب المهم من جوانب العلاقات الدبلوماسية، فهي تهدف من تكريم السفير تكريم لملكه نفسه، وكلما بالغت الدولة في ذلك كان هذا دليل العظمة والقوة فالدولة تعلم أن السفير سوف ينقل إلى بلاده ما رأى وسمع، لهذا حرصت الدولة الإسلامية على توديع السفير عند مغادرته البلاد بنفس الدرجة من التكريم حتى تظل الصورة التي لامسها مستقرة في نفسه[٢].

وفي العصر المملوكي كانت مراسم الاستقبال تبدأ بشكل عام منذ دخول السفير إلى أراضي الدولة المملوكية، فإن وصول السفراء يعلنه ولاة المناطق الحدودية حين يرسلون بطلب أو" تذكرة" إلى القاهرة من أجل الحصول على تعليمات السلطان بالنسبة إلى الطريقة التي يجب التصرف

---

[١] - G. Hassan, Les relations diplomatiques entre les mamelouks bahrides et les Etatschrétien en Orient, p196.

[٢] سفر، السفارات في النظام الإسلامي، ص٣٠.

فيها مع السفير. أحياناً يتأخر رد السلطان، فقد يكون خارج عاصمته، فيقوم النائب المملوكي بإيقاف السفير في نفس المنطقة. وفي الواقع لا نجد في المصادر المملوكية إي إشارة عن قيام المماليك في هذه الحالة بنقل السفير إلى منطقة أخرى غير العاصمة[١].

وقد عرف المسلمون تكليف موظف خاص لاستقبال الرسل والعناية بأمرهم، وفي العصر المملوكي عرف هذا الموظف باسم المهمندار[٢]، ويتم اختيار من يصلح لها من الأمراء المماليك حصراً حيث الشخصية والخبرة واللباقة والمعرفة باللغات قدر الإمكان. وعندما يصل رد السلطان باستقبال السفراء "فإن كان الرسول ذا مكانة عظيمة من الملوك خرج بعض أكابر الأمراء كالنائب وحاجب الحجاب ونحوهما للقائه"[٣]، وإن كان دون ذلك يستقبله المهمندار وينزل بدار الضيافة لمدة ثلاثة أيام. ثم يصطحبون السفراء بحراسة مشددة عبر الطرق البعيدة والصعبة حتى الوصول إلى البلاط في القاهرة، متجاوزين العديد من المدن، ولا يبدو أنه للسفراء الأجانب حق اختيار مسار رحلتهم، وإنما يجب أن يتبعوا تعاليم أو قرارات دليلهم حسب الطرق المختارة على الدواب أو الأحصنة أو بحالات أخرى عن طريق القوارب بحراً، "وإن نفق لهم دابة عوضوا عنها، ويكون

---

[١] - G. Hassan, Les relations diplomatiques entre les mamelouks bahrides et les Etatschrétien en Orient, p193.

[٢] المهمندار: صاحب هذه الوظيفة يقوم بلقاء الرسل والعربان والواردين على السلطان، وهو مركب من لفظين فارسيين أحدهما "مهمن" ومعناه الضيف، والثاني "دار" ومعناه ممسك، والمعنى إجمالاً القائم على أمره. انظر القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج٥، ص٤٥٩، البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص٢٣٤.

[٣] القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج٤، ص٥٨-٥٩.

ذلك معداً لهم في جميع البلاد التي على أطراف الطريق، ومايلزم الطرقات لمثل هذا، وإن كانت الطرق والمسالك تحتاج إلى مخفرين، فكان أجود أن يسير معهم الخفراء والأدلاء"[١].

بالإضافة إلى ذلك فإنه يمنع على السفراء من الإتصال بأي أحد لأسباب سياسية وأمنية خوفاً من وجود جواسيس بين السفراء " وحتى لا تفسد قلوب الجماعة من أركان الدولة ورعاياها" استناداً لرأي العباسي[٢]. ويساعد المهمندار في مهمته اليسقي أو اليسقجي، وكان مسؤولاً عن حراسة وحماية السفراء والقناصل طول فترة إقامتهم[٣].

كان يتم استقبال السفراء يتم في قلعة الجبل بالقاهرة حيث يوجد قصر السلطان، وسكن كبار الأمراء والوزراء، وكانوا ينزلون في دار الضيافة المخصص لهم[٤]. وبعد ثلاثة أيام من وصول السفراء تجهز دار الملك في اليوم المنشود، تجتمع العساكر والجند، ويجلس السلطان على سرير الملك[٥] في أحسن أبهة وزي، وتصطف السلاحدارية حوله بالسيوف وغيرهم من أصحاب السلاح،

---

[١] العباسي، آثار الأول في ترتيب الدول، ص١٩٣، سليم، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، ص٣٢٩.

- G. Hassan, Les relations diplomatiques entre les mamelouks bahrides et les Etatschrétien en Orient, p194.

[٢] العباسي، آثار الأول في ترتيب الدول، ص١٩٤.

[٣] دهمان(محمد أحمد)، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر ودار الفكر، بيروت، دمشق، ط١، ١٩٩٠م، ص٢١٠.

- G. Hassan, Les relations diplomatiques entre les mamelouks bahrides et les Etatschrétien en Orient, p199.

[٤] العباسي، آثار الأول في ترتيب الدول، ص١٩٤، القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج٣، ص٣٧٢-٣٧٧، المقريزي(تقي الدين أحمد بن علي)، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، تح: أيمن فؤاد السيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠٠٠م، ج٢، ص٢٠١، ٢٠٣.

[٥] كان السلاطين الأيوبيين والمماليك يجلسون على سرير الملك يوم قدوم السفراء عليهم، وكان على شكل منبر من الرخام يكون بصدر الإيوان وعلى هيئة المنابر في الجوامع. انظر القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج٤، ص٦، ٧.

يقوم الحاجب[1] بإدخال الرسول الذي تلقى سابقاً الطريقة التي يجب أن يتصرف بها أمام السلطان، وصحبته الكتاب الوارد معه، والذي يتولى كاتب السر قراءته على السلطان[2]. بعد انتهاء الجلسة يأمر السلطان الحاجب باصطحاب السفير إلى مسكنه حيث يتولى المسؤول عنه مراقبته حتى يوم مغادرته البلاد[3].

لقد وضع المماليك بروتوكولاً دقيقاً لاستقبال سفرائهم، وحرصوا على إتباعه والالتزام به، فأي خرق أو تجاهل للقواعد يمكن أن يؤدي لفشل السفارة، فعندما أرسل الملك الأرمني ليون الخامس سفارة سنة ٧٣٧هـ/١٣٣٧م إلى نائب حلب الذي كان يعد العدة لمهاجمة بلاد سيس، وكان غرض السفارة آنذاك التجسس ومحاولة ردع نائب حلب عن مهاجمة بلاد الارمن، لكن نائب حلب رفض استقبال السفراء، فما كان منهم سوى عبور البحر إلى دمياط من أجل لقاء الناصر محمد الذي بدوره رفض مقابلتهم لأنهم خالفوا القواعد الدبلوماسية التي ذكرناها سابقاً، ولم يأتوا عن طريق نائب الشام الذي بدوره يعلم السلطان بقدومهم ويستأذنه بالمثول بين يديه[4]. كما رفض بيبرس عدة مرات استقبال سفراء من جهة ملك سيس والفرنجة بحجة خرق مراسم الاستقبال[5].

---

[1] الحاجب: مهمته ترأس مجالس السلطان، وتنظيم دخول الناس إلى السلطان. انظر القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج٥، ص٤٥١.

[2] القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج٤، ص٥٨، ٥٩، العباسي، آثار الأول في ترتيب الدول، ص١٩٤، توفيق، الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين، ص١٢٩.

[3] العباسي، آثار الأول في ترتيب الدول، ص١٩٤-١٩٥، ابن أبي الفضائل، النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، ج٢، ص٢٢٩، ٢٥٢، القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج٤، ص٥٨، ٥٩.

[4] اليوسفي، نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، ص٣٩٧،

[5] ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر، ص١٦١.

ت – تبادل الهدايا:

كان تبادل الهدايا شائع جداً في العلاقات الدبلوماسية في العصور الوسطى سواء في الشرق أو في الغرب، كدليل على حسن النوايا وكسب العلاقات الطيبة أو المبالغة في إظهار الود والاحترام المتبادل، وكان لاغنى عنها لبناء أو لتعزيز العلاقات الدبلوماسية، لاسيما بين المماليك والدول الأجنبية ومنها مملكة أرمينيا الصغرى، وتعد الهدايا لغة لها أصولها ومعانيها ومغزاها بين السلاطين والملوك، فهي لسان مهديها في التعبير عما في نفسه تجاه المرسل إليه[١].

وإرسال الهدايا أو وصول هدية إلى السلطان المملوكي كان معروفاً في الحوليات المملوكية باسم تقدمة (جمع تقادم) أو هدية، ومع مرور الوقت أصبح مصطلح تقدمة هو المصطلح الشائع عند الحديث عن هذه الممارسة[٢].

يخضع تقديم الهدايا من حكام الدول الأخرى إلى السلطان لطقوس ذات قواعد محددة ودقيقة لا يجب إغفالها. فبعد تقديم السفير الولاء للسلطان، يتوجه من خلال الحاجب ليطلب من السلطان قبول الهدايا التي جلبها معه. فيأمر السلطان بجلب الهدايا إلى قاعة الاستقبال ليتم عرضها بالتناوب مثل الحيوانات، الطيور الجارحة، الأقمشة، المجوهرات، باستثناء الجواري اللواتي لايعرضن في القاعة بل يتم اصطحابهن إلى دار الحريم بعد موافقة السلطان أولاً[٣].

---

[١] طنطاوي، الكتابة بالأشياء في مصر خلال العصر المملوكي، ص١٤٥.

[٢] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق١، ص١٥٣، ١٥٤.

[٣] العباسي، آثار الأول في ترتيب الدول، ص١٩٥.

- G. Hassan, Les relations diplomatiques entre les mamelouks bahrides et les Etatschrétien en Orient, p204.

كان موظفو البلاط المملوكي المسؤولون عن السفراء يقومون بتسجيل كل الهدايا التي يحملها السفراء في سجل خاص مخصص لهذه الغاية، يذكرون فيه اسم الدولة وتاريخ الهدية والقيمة المقدرة للهدية. ويبدو أنَ الهدف من هذا الإجراء مقارنة هذه الهدية مع الهدايا التي استلمت في وقت سابق، لمعرفة التطور الذي طرأ على العلاقات مع الدول التي أرسلت الهدايا[١].

وهنا يمكن للمرء أن يتساءل عن طبيعة الهدايا المتبادلة والأكثر شيوعاً بين ملوك الغرب والشرق؟ لم يذكر مؤرخو العصر المملوكي الكثير من المعلومات عن الهدايا التي أرسلها سلاطين المماليك، ولكنها بالمقابل ذكرت بالتفصيل جميع الهدايا المرسلة من الحكام الأجانب. وإذا كان هناك سجل لتسجيل الهدايا الواردة إلى السلاطين، فلابد من وجود سجل للهدايا المرسلة من السلاطين[٢].

فقد شهد العصر المملوكي عدداً من السفارات حملت هدايا عينية، كانت بديلة عن الكتب المعتادة في السفارات بين الدول، إذ حملت دلالات فكرية ومعاني أخرى رمزية غير المعتادة أو المعروفة، وهذا الأسلوب يعد شكلاً من أشكال الكتابة بطريقة الرموز، ومن هذه الهدايا، هدية أرسلها ملك قشتالة من بلاد الأندلس إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون عبارة عن " سيف وثوباً بندقياً وطارقةً طويلة رقيقة تشبه النعش"، بمعنى أنه يقول سوف أقتلك بهذا السيف، وأكفنك

---

[١] في سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م جاءت سفارة من ملك الحبشة إلى السلطان محملة بهدايا تقدر بحوالي خمسة آلاف دينار، وهي هدية قليلة فأبدوا عدم رضاهم عنها وشتم الرجل الذي حملها. وقاموا بمراجعة السجلات السابقة ومراجعة الهدايا التي بعث بها ملك الحبشة إلى سلاطين المماليك في وقت سابق، حيث أشار ابن اياس في حوادث سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م، أنه أرسل ملك الحبشة هدية إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون فقومت بمائة ألف دينار أو أكثر، حتى عدت من النوادر. انظر ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج٥، ص١٢. سليم، عصر سلاطين المماليك، ج١، ق٢، ص٢٣٦.

[٢] - G. Hassan, Les relations diplomatiques entre les mamelouks bahrides et les Etatschrétien en Orient, p205.

في هذا الثوب، وأحملك على هذا النعش. لكن الناصر محمد فهم معنى الهدية وماتحمله من نوايا سيئة، فأرسل له هو الآخر رداً عليه بهدية عبارة عن " حبل أسود وحجر"، وهو يعني بذلك بأنه كلب يربط بهذا الحبل، أو يرمى بهذا الحجر[١].

عموماً كانت الهدايا الواصلة لسلاطين المماليك تضم أغراضاً ثمينة ذات قيمة عالية جداً كالأحجار الكريمة وقطع ذهبية أو فضية، أموال. فالقطيعة وهدايا ملوك سيس إلى سلاطين المماليك كانت تتضمن دائماً قطع من المجوهرات المرصعة بالأحجار الكريمة، ففي سنة ٧٠٨هـ/١٣٠٨م وصلت" رسل سيس بالحمل على العادة، ومن جملته طشت ذهب مرصع بالجوهر"[٢]، وفي حوادث سنة ٧١٠هـ/١٣١٠م " وردت رسل سيس بهدية، منها طشت ذهب وإبريق بلور مرصع بالجوهر"[٣].

كما عدَ السجاد والإبل والعبيد (رجال ونساء) والخيول أيضاً من الهدايا ذات القيمة العالية. فعلى سبيل المثال كانت للخيول أهمية كبرى في العلاقات الدبلوماسية، فهي سمة للسلطة السياسية والعسكرية وكانت معروفة في الشرق والغرب معاً. وفي عصر المماليك كانت الخيول عنصراً لا غنى عنه ومظهراً من مظاهر الأبهة وعلامات التمييز للرجال في حياتهم الاجتماعية والعسكرية،

---

[١] العمري(شهاب الدين أحمد بن فضل الله)، التعريف بالمصطلح الشريف، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨م، ص٩٢، القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج٨، ص٣٥، طنطاوي، الكتابة بالأشياء في مصر خلال العصر المملوكي، ص١٤٦.

[٢] النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣٢، ص١٠٢.

[٣] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٢، ق١، ص٨٦.

وفي مجال الفروسيه والترفيه. وكان يحق للطبقة العسكرية المملوكية فقط الركوب على الخيول بينما اكتفت طبقات المجتمع المملوكية الأخرى بركوب البغال والحمير[١].

كان للناصر محمد ولع كبير بالخيول وهذا الولع أدى إلى زيادة عدد الخيول في اسطبلاته بشكل ملحوظ، فوصل عددها إلى أربعة آلاف وثمانمئة حصان عشية وفاته عام ٧٧٤هـ/١٣٤٢م. يظهر اهتمام المماليك بالخيول بشكل واضح في المعاهدة التي أبرمها المنصور قلاوون مع ملوك سيس، عندما طالب ملك أرمينيا الصغرى ليون الثالث بجزية سنوية مقدارها مليون درهم جزء منها نقداً، والجزء الآخر يتضمن الخيول والبغال ذات الجودة العالية فضلاً عن الأقمشة.[٢]

وفي الواقع فإنً اهتمام السلطنة المملوكية بالخيول يعود لحاجة جيشها الماسة إليها، فقد كانت الدولة المملوكية في حالة حرب دائمة مع محيطها الخارجي وأحياناً لمواجهة التمردات الداخلية[٣].

---

[١] ابن دقماق(إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي)، الانتصار لواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر وجغرافيتها، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، ج٤، ص٢٧.

[٢] - M. CANAR, « Le royaume d'Arménie-Cilicie et les Mamlouks jusqu'au traité de 1285 », p.247.

[٣] المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٣، ص٧٢٨، ٧٣٠.

١- المراسلات الدبلوماسية:

كان للمراسلات أو المكاتبات أهميتها بين النظم الدبلوماسية الإسلامية. وكثيراً ما أسهمت بدورها إلى جانب مايقوم به السفراء من مهام، ويمكننا القول إن نظامي السفارات والمراسلات الدبلوماسية كانا مكملان لبعضهما. ولم تكن هذه المراسلات بالأمر المستحدث، بل عرفها المسلمون منذ عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم، واستعملها من بعده الخلفاء والحكام والأمراء المسلمون. وقد عهد المسلمون إلى جهاز إداري مهمته إعداد تلك الرسائل وكتابتها والرد على ما يردهم من الخارج، عرف باسم ديوان الإنشاء.

أ- وظيفة ديوان الإنشاء:

يعد ديوان[١] الإنشاء من أهم الدواوين التي عرفها المسلمون، وهو الجهاز الإداري المختص الذي تولى مهمة المراسلات الرسمية للدولة بما في ذلك مراسلاتها الدبلوماسية، فقد كان جهازاً محكم التنظيم يعمل فيه موظفون أكفاء مدربون كان عليهم تحري الدقة في كل مرحلة من مراحل عملهم.

مرَ ديوان الإنشاء في مصر الإسلامية بعدة مراحل، أولها من الفتح الإسلامي لمصر حتى قيام الدولة الطولونية، وخلال هذه الفترة لم يول ولاة مصر ما يستحقه هذا الديوان من عناية واهتمام، ويعود ذلك كون مصر كانت في تلك الفترة ولاية غير مستقلة. المرحلة الثانية في عهد الدولتين الطولونية والإخشيدية، إذ طرأ في ذلك العصر تطور ملحوظ في نظام هذا الديوان لترتيب المكاتبات التي تصدر عنه أو ترد إليه. المرحلة الثالثة عهد الخلافة الفاطمية، حيث وجه

---

[١] الديوان: كلمة فارسية تعني السجل أو الدفتر، وقد أطلق اسم الديوان من باب المجاز على المكان الذي يحفظ فيه الديوان. انظر الماوردي(أبي الحسن علي بن محمد)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تح: أحمد مبارك البغدادي، دار ابن قتيبة، الكويت، ط١، ١٩٨٩م، ص١٩١.

الفاطميون كل اهتمامهم إلى تنظيم "ديوان الإنشاء والمكاتبات" الذي أصبح يعرف صاحبه باسم "كاتب الدست الشريف"، وأصبح يتولى شؤونه جماعة من أكابر الكتاب وأرباب الأقلام[١]. أما المرحلة الرابعة في عهد الدولة الأيوبية، إذ أسند صلاح الدين ديوان الإنشاء إلى القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني[٢]، وآخر من تولى ديوان الإنشاء في عهد الأيوبيين كان الصاحب فخر الدين بن لقمان الاسعردي[٣].

وفي عهد دولة المماليك البحرية تم تنظيم هذا الديوان وجعل مقره في قلعة الجبل بالقاهرة، وما يدل على شدة الاهتمام بنظم العمل في هذا الديوان وما يصدر عنه من مكاتبات رسمية[٤]، كانت تلك المؤلفات العديدة التي وضعها بعض كبار المسؤولين بديوان الإنشاء، والتي كانت بمثابة دساتير دقيقة أهمها " التعريف بالمصطلح الشريف" لابن فضل الله العمري، و"تثقيف التعريف

---

[١] ابن الصيرفي(أمين الدين أبو القاسم)، القانون في ديوان الرسائل والإشارة إلى من نال الوزارة، تح: أيمن فؤاد السيد، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م، ص٨.

[٢] القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن المفرج بن أحمد البيساني الأصل، العسقلاني المولد، المصري الدار، صاحب ديوان الإنشاء ووزير السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، ولد سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م، وتوفي سنة ٥٩٦هـ/١١٩٩م. انظر ابن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٨، ص٢٠١، ٢٠٢.

[٣] الصاحب فخر الدين بن لقمان بن أحمد الوزير الكاتب الأسعردي، ولد في أسعرد في أرزن الروم سنة ٦١٢هـ/١٢١٥م، وعمل ككاتب، ثم توجه إلى القاهرة، وبفضل مواهبه في الكتابة وثقافته الكبيرة، عيَن في ديوان الإنشاء في عهد الكامل واستمر حتى عهد الصالح نجم الدين أيوب. في عام ٦٥٩هـ/١٢٦٠م أصبح رئيس الموقعين في القاهرة، وفي عام ٦٧٧هـ/١٢٧٦م عيَن وزير للسعيد بركة خان بن بيبرس ثم للمنصور قلاوون في السنة التالية، توفي في القاهرة ٦٩٣هـ/١٢٩٣م. انظر النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣١، ص٢٧٩، ابن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٦، ص٩٧، ابن حبيب، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، ج١، ص١٧٢، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك. ج١، ق٢، ص٤٥٣، حسن، تاريخ المماليك البحرية، ص٣٠٨.

[٤] القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج١، ص٩٥.

بالمصطلح الشريف" لابن ناظر الجيش، بالإضافة إلى "صبح الأعشى في كتابة الإنشا" للقلقشندي . حيث عرضت هذه المؤلفات أدق التفاصيل المتعلقة بديوان الإنشاء[1].

كان يشترط فيمن يعمل في ديوان الإنشاء أن يكون على مستوى عالٍ من الثقافة والدراية السياسية، وقد أسهبت المؤلفات في بيان الصفات الشخصية والعلوم المتعددة التي كان على هؤلاء الكتاب أن يلموا بها. فإن هذه المتطلبات في الكتاب المنشئين تعطينا فكرة واضحة عن المستوى الفكري والإداري الرفيع الذي كان عليهم أن يصلوا إليه حتى يتمكنوا من أداء عملهم أداءً سهلاً[2].

كان صاحب ديوان الإنشاء في عصر المماليك يلقب تارة باسم " كاتب الدرج" وتارةً أخرى باسم "كاتب الدست". بقي الأمر على ذلك إلى أن تقلد هذا الديوان القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر[3] في أيام السلطان قلاوون فتلقب بلقب" كاتب السر" لأنه كان يكتم سر السلطان، كما لقب أيضاً بلقب صاحب ديوان الإنشاء أو ناظر الإنشاء الشريف[4].

---

[1] توفيق، الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين، ص١٤٦.

[2] تناول القلقشندي المؤهلات المطلوبة في كتاب الإنشاء وفي رئيسهم بشكل مفصل في صفحات عديدة من موسوعته، وأفاض في ذلك في المقالة الأولى، وفي جزء من المقالة الثانية. انظر القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج١، ص٦١، ١٠١، ١٠٤، وغيرها من الصفحات.

[3] فتح الدين بن محمد بن عبدالله محي الدين بن عبد الظاهر، ولد سنة ٦٣٨هـ/١٢٤٠م، تسلم رئاسة ديوان الإنشاء في القاهرة خلفاً لفخر الدين بن لقمان في عهد المنصور قلاوون عام ٦٧٨هـ/١٢٧٩م، واستمر كاتباً للسر حتى وفاته في دمشق سنة ٦٩١هـ/١٢٩٢م. وقد تمكن بفضل ذكائه وهمته من إقامة علاقات وطيدة مع السلطان قلاوون الذي قربه منه، وكان يستمع لنصائحه. انظر ابن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٣، ص٢٩٠، ٢٩٢.

[4] ابن شاهين(غرس الدين خليل)، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تح: بولس راويس، د.م، باريس، ١٩٨٤م، ص٩٨، السيوطي(جلال الدين عبد الرحمن)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الإسكندرية، ط١، ١٩٦٧، ج٢، ص٢٣١، حسن، تاريخ المماليك البحرية، ص٣٠٩.

كانت وظيفة كاتب السر في عصر المماليك من أعظم الوظائف الديوانية، وأجلها قدراً، حيث كان كاتب السر يرد على الكتب الواردة إلى ديوان الإنشاء بعد أن يستشير فيها السلطان بما يتفق مع مصلحة السلطان ومصلحة الدولة، ويأمر بإرسال الرد في يوم وصولها. ويجب أن يكون ملماً بقواعد البلاط وأصوله ورسوم التشريفات، فيتولى بنفسه تحديد الألقاب التي يرد بها على أصحاب الكتب المرسلة إلى السلطان، ويشير بنوع الورق الذي يستعمل في ذلك[١]. كما كان يشترط في الكاتب أن يتقن العربية وعلومها، فضلاً عن معرفته بأحوال الأمم وتقاليدها، وكذلك علم الأخلاق والسياسة والأحكام السلطانية وغير ذلك[٢].

كما كان كاتب السر في نيابات الشام يماثل كاتب السر في مصر بعلو منزلته ورفعة مكانته وسعة اختصاصاته، ويولى بمرسوم سلطاني يصدر من القاهرة، ويختلف اللقب الذي بطلق على كاتب السر بديوان الإنشاء في نيابات الشام، فقد كان لقب" صاحب ديوان الإنشاء" يطلق على كاتب السر في دمشق وحلب، أما في حماه فقد كان يلقب " صاحب ديوان المكاتبات"، وفي طرابلس وصفد يطلق عليه اسم " كاتب السر"[٣].

يلي كاتب السر في المرتبة " كتَاب الدست"[٤]، وهم الذين يجلسون مع رئيس الديوان بمجلس السلطان أو هم الملمون بقواعد المراسلة والكتابة وصياغة الرسائل التي ترسل للملوك والأمراء،

---

[١] العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، ص١٥١، القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج١، ص١١٣.

[٢] حبشي (حسن)، ديوان الإنشاء، نشأته وتطوره، أبو العباس القلقشندي وكتابه صبح الأعشى، تقديم: أحمد عبد الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٧٣م، ص٨١-٩٥.

[٣] ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص١٣١، القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج٤، ص١٨٩، ح١٢، ٨٩.

[٤] الدست كلمة فارسية تعني الوسادة، وسموا كذاك إضافة إلى دست السلطان، وهو مرتبة جلوسهم للكتابة بين يديه. وكانوا يتولون الإشراف على ديوان الإنشاء قبل أن يستحدث السلطان قلاوون وظيفة كاتب السر، ويختارون من أعلام البيان وأفذاذ الكتاب انظر القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج١، ص١٣٧.

وكذلك صيغ المعاهدات والهدن، ويطلق عليهم أيضاً اسم " الموقعين" لتوقيعهم على جوانب القصص بخلاف غيرهم[١].

وزعت أعمال ديوان الإنشاء على كتاب الدست، فمنهم كاتب يقوم بتحرير البيعات والعقود وما إليها، وكاتب آخر يتولى كتابة الكتب التي ترسل إلى الملوك، وآخر يقوم بكتابة المراسيم، بالإضافة إلى كاتب يختص بتحرير المنشورات[٢] الخاصة بالإقطاعات التابعة لديوان الجيش، أما المكاتبات التي تحرر إلى ملوك الدول المسيحية فلها كاتب خاص يتولى شؤونها، ويتعين أن يكون ملماً باللغات الأجنبية، ومن بين كتاب الدست أيضاً موظف عهد إليه بتعريب الكتب الواردة من البلاد الأجنبية وتلخيصها قبل عرضها على السلطان[٣].

يلي كتاب الدست طبقة كتاب الدرج[٤]، ومهمتهم الاطلاع على الملاحظات التي يبديها كاتب السر أو أحد كتاب الدست أو نائب السلطنة أو الوزير على المكاتبات والمراسيم والمنشورات والرد عليها وفق ماجاء بهذه الملاحظات التي تعد أساساً لهذه الإجابة، ولا يجوز لهم أن يتخذوا لأنفسهم صفة " الموقعين" أسوةً بكتاب الدست[٥].

---

[١] القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج١، ص١٣٧، حسن، تاريخ المماليك البحرية، ص٣١٤.

[٢] المنشورات: جمع منشور، وهو كل ما يصدر عن سلطان أو ملك من المكاتبات مما لا يحتاج إلى ختم. انظر القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج١٣، ص١٥٧.

[٣] توفيق، الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين، ص١٤٨، حسن، تاريخ المماليك البحرية، ص٣١٤.

[٤] كتَاب الدرج: هم الذين يكتبون ما يوقع به كاتب السر أو كتَاب الدست من المكاتبات والتقاليد والمراسيم وغيرها. وسمَوا بذلك لتحرير كتبهم على دروج والمراد بالدرج الورق المستطيل المركب من عدة أوصال. انظر القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج١، ص١٣٨، حسن، تاريخ المماليك البحرية، ص٣١٥.

[٥] القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج١، ص١٣٨.

كما كان هناك من كتاب الديوان من يقومون بالمراجعة وتصفح ما يكتب تجنباً لما قد يحدث من سهو أو زلل أو خطأ، ومن خصائص التنظيم الإداري في الديوان كان وجود دفتر خاص لتسجيل الأحداث الكبرى الداخلية منها والخارجية، حتى يمكن الرجوع إلى هذا السجل عند الضرورة[١].

يتضح مما سبق أن ديوان الإنشاء كان الذراع السياسية القوية للسلطان التي لا تقل أهمية عن القوة العسكرية بما يتركه من أثر في نفس الطرف المقابل. وهذا ما كان ليتم لولا الموهبة الاستثنائية لكتاب ديوان الإنشاء وذكائهم وسعة اضطلاعهم وفهمهم للشعوب الأخرى لتقدير ما يجب أن تكون عليه كيفية الكتابة بما يضمن تحقيق رؤية السلطان وأهدافه، فهم اليد التي تعبر عما يريده السلطان، والكتابة تمتلك قوة رمزية معينة، وخاصةً عندما يتعلق الأمر بالمراسلات الدبلوماسية مع الدول الأجنبية. فهي واحدة من الطرق التي تستخدمها القوى لإظهار قوتها أمام أعدائها أو حلفائها من جهة، ومع رعاياها من جهة أخرى.

---

[١] القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج١، ص١٣٥، توفيق، الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين، ص١٤٨.

ب- الجوانب المادية للمراسلة مع ملك أرمينيا الصغرى:

تشهد جميع الوثائق المحفوظة في كتب الإنشاء وفي كتب الحوليات المملوكية على وجود بروتوكول داخل ديوان الإنشاء المملوكي خاص بالمراسلات الرسمية.

إن المراسلات في المقام الأول هي وسيلة للسلطة المملوكية لإعطاء صورة عنها إلى أعدائها أو إلى حلفائها، وبالتالي هي تمثيل لقوتها وسلطتها، فقد كتبت هذه المراسلات وفقاً لقواعد صارمة ودقيقة من ناحية الكتابة والشكل، وهذه القواعد كانت تختلف بحسب مكانة وأهمية الشخص الذي توجه إليه الرسالة، والهدف هنا الحديث عن الخصائص الشكلية والأسلوب المعمول به في المراسلات الصادرة عن سلاطين المماليك إلى حكام أرمينيا الصغرى، أي الحديث عن قطع الورق، وعن الخط والقلم، وعن رسم المكاتبة لصاحب سيس، التي عكست بشكل دقيق طبيعة العلاقات الأرمنية، المملوكية.

تقدم كتب الإنشاء المملوكي الكثير من المعلومات المتعلقة بقطع الورق المستخدمة في الكتابة لحكام أرمينيا الصغرى. وإنَ ذكر هذه التفاصيل باستمرار من قبل كتَاب الإنشاء له أهمية كبيرة، لأسباب تتعلق بالمكانة، فكلما علا شأن الملك أو الأمير كان قطع الورق فاخراً و كبيراً. كانت للأوراق في ديوان الإنشاء أسماء خاصة بها وذلك حسب حجمها ونوعها[١]، وكانت تختلف حسب نوع الرسالة، وسبب إرسالها، وبحسب مكانة الشخص المرسل إليه. وقد شرح القلقشندي هذه

---

[١] استعمل في ديوان الإنشاء ثلاثة أنواع من الورق: أهمها الورق البغدادي الذي كان أجود الأنواع وأكثرها اتساعاً، وقد خصص لكتابة المصاحف ومكاتبة الملوك، وهو ورق ثخين مع ليونة ورقَة، ويليه الورق الشامي وهو دون الورق البغدادي وعلى نوعين الورق الحموي والشامي، وآخرهم الورق المصري ومنه القطع المنصوري وقطع العادة. انظر القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الانشا، ج٢، ص٤٧٦، حسن، تاريخ المماليك البحرية، ص٣٢٢.

القواعد بالتفصيل في مقالته الثالثة تحت عنوان "في مقادير قطع الورق المستعمل في زماننا"[١]، كما خصص عرضاً لمقادير قطع الورق المستعمل في المراسلات الرسمية المكتوبة باسم السلطان[٢]. فذكر

- أنَ قطع البغدادي الكامل يستخدم في الكتابة إلى خانات المغول
- وأنَ قطع النصف تستخدم لأكابر الملوك دون القانات
- و قطع الثلث يكتب فيه للرتبة الثانية من الملوك
- أما قطع العادة فيكتب به إلى أصاغر الملوك والولاة وغيرهم.

وبالنسبة إلى قطع الورق المستخدم للكتابة إلى ملوك سيس، يذكر ابن ناظر الجيش والقلقشندي استخدام قطع العادة، وهو الورق الأقل مكانة وقيمة في ديوان الإنشاء على عكس الورق المستخدم مع بيزنطة، وهو قطع النصف الذي لا يعد الورق الأكثر مكانةً في ديوان الإنشاء ولكن الورق الأكبر[٣]. يمكن تفسير ذلك بمحاولة السلطة المملوكية ممثلة بديوان الإنشاء إذلال ملوك سيس وتذكيرهم بوضاعتهم بسبب علاقاتهم العدائية.

أما فيما يخص أنواع الدوى والأقلام التي تستعمل في كتابة الرسائل لملوك أرمينيا الصغرى فالمعلومات قليلة جداً [٤]، وقد عدد القلقشندي ثماني أنواع للقلم استخدمه كتاب الإنشاء المملوكي، وهم مختصر الطومار، الثلث، خفيف الثلث، التوقيع، الرقاع، الطومار الكامل، الغبر، والمحقق[٥].

---

[١] القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج٦، ص١٨٩-١٩٥.

[٢] القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج٨، ص٢٠.

[٣] ابن ناظر الجيش(تقي الدين عبد الرحمن)، تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف، تح: رودلف قسلي، المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، د.ط، ص٣٢، القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج٨، ص٣٢.

[٤] أما الحبر المستخدم للكتابة إلى حكام المغول الإيلخانيين والقبيلة الذهبية، كان محدد بلون أسود مذهب. انظر ابن ناظر الجيش، تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف، ص١٢.

[٥] القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج٣، ص٥١، ٥٣.

كما ذكر أنواع القلم المناسب لكل نوع من قطع الورق، إذ نقل هذه القواعد عن ابن فضل الله العمري، وهي:

- "قطع البغدادي الكامل.......يستخدم قلم الطومار الكامل.
- قطع النصف..............يستخدم قلم خفيف الثلث
- قطع الثلث................يستخدم قلم الثلث.
- قطع العادة...............يستخدم قلم الرقاع"[١].

واستناداً لهذه المعلومات يمكن الاستنتاج أن قلم الرقاع كان يستخدم في المراسلات والكتابة لملوك سيس.

بالإضافة إلى قطع الورق والقلم كان هناك علامات لإثبات صحة الرسالة. فقبل إرسال الرسالة إلى الحكام الأجانب كان من الضروري التحقق من صحة العلامات المستخدمة من قبل السلاطين المماليك. كان هناك ثلاث علامات:

١- العلامة الأولى: التوقيع أو العلامة الشريفة التي تضم اسم السلطان مكتوباً بخط يده، وتأتي مباشرة بعد البسملة وبعد ألقاب السلطان[٢]. كانت تستخدم هذه العلامة للكتابة إلى ملوك المسلمين كملوك اليمن وأفريقيا[٣]، أما علامة الناصر محمد بن قلاوون إلى ملوك الإيلخانيين فكانت المشتاق محمد، وعلامة الأشرف شعبان المشتاق شعبان[٤].

---

[١] العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، ص١٢٦، القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج٦، ص١٩٤.

[٢] ابن ناظر الجيش، تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف، ص١٣، القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج٨، ص٢٣، ٢٤.

[٣] كانت العلامة كلمة " أخوك". انظر القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج٧، ص٣٦٣، ٣٨٩.

[٤] القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج٧، ص٣٦٣، ٣٨٩.

٢- العلامة الثانية: الطمغة أي ختم السلطان، وتكون مطبوعة على الرسالة بعدة أماكن في أول الرسالة وفي آخرها[١].

٣- العلامة الثالثة: الطغرى[٢] التي تضم اسم والألقاب السلطانية، وتكتب في رأس الوثائق المهمة جداً، وأيضاً في المراسلات مع الحكام المسلمين والأجانب، ويحدد ابن ناظر الجيش والقلقشندي موقعها بأن تكون قبل البسملة على عكس التقليد الإسلامي في أن البسملة تكون في رأس الوثائق، وتكون الافتتاحية لأي وثيقة رسمية. ويذكر العمري أنه في المراسلات مع الدول الأجنبية لا توضع أبداً العلامة الشريفة، بل يكتفي الكاتب بكتابة الألقاب الشريفة قبل البسملة[٣]. وكانت الطغرى التي استخدمت من قبل الناصر محمد في مراسلاته مع حكام الدول الأجنبية ومنها مملكة أرمينيا الصغرى، على النحو التالي:

" من السلطان الأعظم الملك الناصر، العالم، العادل، المجاهد، المرابط، المثاغر، المؤيد، المظفر، المنصور، الشاهنشاه، فلان الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، محيي العدل في العالمين، وارث الملك، ملك العرب والعجم والترك، ظل الله في أرضه، القائم بسنته وفرضه، اسكندر الزمان، مملك أصحاب المنابر والتخوت والتيجان، واهب الأقاليم والأمصار، مبيد الطغاة والبغاء والكفار، حامي الحرمين والقبلتين جامع كلمة الإيمان، ناشر لواء العدل والإحسان، سيد

---

[١] - G. Hassan, Les relations diplomatiques entre les mamelouks bahrides et les Etatschrétien en Orient, p408

[٢] الطغراة أو الطغرى: كلمة أعجمية استعملها العرب، وهي عبارة عن وصل كان يوضع في عصر المماليك البحرية في مناشير الإقطاعات، بين وصل الطرَة والبسملة، وترد فيه ألقاب السلطان. انظر العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، ص٤٩، البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص٢٣٣.

[٣] ابن ناظر الجيش، تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف، ص٢٧، القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج٨، ص٢٥، ٢٦، العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، ص٤٩.

ملوك الزمان، إمام المتقين، قسيم أمير المؤمنين، أبي فلان، ابن السلطان الشهيد الملك الفلاني فلان، خلد الله سلطانه، ونصر جنوده وجيوشه وأعوانه"[١].

بعد كتابة الطغرى ثم البسملة، يكتب اسم المرسل إليه مصحوبة بألقاب تشريفية لكل حاكم حسب مكانته والظروف التي أرسلت فيها الرسالة. كان المسؤولون عن إنشاء الرسائل الدبلوماسية على دراية كاملة بالمناصب الرئيسية لدى الدول المحيطة والألقاب التي يحملها شاغلوها، سواء كانوا من رجال الدين أو العلمانيين. وقد وضع أصحاب ديوان الإنشاء الرسوم الخاصة لمخاطبة كل منهم، وخصصوا من أجل ذلك سجلاً خاصاً في ديوان الإنشاء واحتوى جميع ما يتعلق بألقاب حكام الدول الأجنبية بما فيهم الأرمن[٢].

وقد ذكر القلقشندي أن الألقاب الممنوحة لملوك الدول المسيحية تحمل صفات الشجاعة والجرأة والإقدام" كالأسد، الهمام، الغضنفر، الضرغام[٣]". وكان لكل لقب دعاء خاص به وكان الدعاء دائماً لملوك الدول المسيحية بطول البقاء[٤]، وأكد على ضرورة الاختصار بالألقاب إلى ملوك الدول المسيحية كونهم ملوك الكفر بالنسبة إليهم، على عكس الملوك المسلمين والإكثار من ألقابهم، كما أكد على أهمية الدقة في رسم المكاتبات الدبلوماسية، وحذر من خطورة عدم الالتزام

---

[١] القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج٨، ص٢٥.

[٢] القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج١، ص١٣٤، توفيق، الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين، ص١٥١.

[٣] الضرغام، الغضنفر: من أسماء الأسد، لقَب بهم الملوك لما فيهم من معنى الشجاعة. انظر القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج٦، ص٨١، ٨٢.

[٤] القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج٦، ص٢٨٦.

بها فيقول: " ولا يتغافل عن ذلك(الكاتب)، فإنه متى أهمل شيئاً من ذلك، زل بزله الكتاب وصاحب الديوان والسلطان نفسه"[١].

كان رسم المكاتبة لملوك سيس استناداً لما نقله العمري كالتالي:

" صدرت هذه المكاتبة إلى حضرة الملك الجليل، البطل، الباسل، الهمام، الصميدع[٢]، الضرغام، الغضنفر، ليفور[٣] بن أوشين، فلان بن فلان، فخر الأمة المسيحية، ذخر الأمة النصرانية، عماد بني المعمودية، صديق الملوك والسلاطين"[٤]، ولم يذكر العمري لقب ملك سيس كما جرت العادة في ذكر ألقاب ملوك النصرانية[٥].

أما رسم المكاتبة عند ابن ناظر الجيش، والذي استخدم في الكتابة للملك قسطنطين السادس[٦]، فكان كالتالي:

" صدرت هذه المكاتبة إلى حضرة الملك الجليل، المكرَم، المبجَل، المعظَم، المعزَز، الهمام، الباسل، فلان بن فلان، عز دين النصرانية، كبير الطائفة الصليبية، عماد بني المعمودية،

---

[١] القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج١، ص١٣٤، توفيق، الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين، ص١٥١، حسن، تاريخ المماليك البحرية، ص

[٢] الصميدع، أو السميدع: من ألقاب الملوك ومعناه السيد، أي سيد القوم وزعيمهم. انظر القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج٦، ص٨١.

[٣] المقصود هنا ليفون (ليون) الخامس بن أوشين، تولى حكم مملكة أرمينيا الصغرى خلفاً لوالده، وهو في العاشرة من عمره سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م حتى توفي سنة ٧٤١هـ/١٣٤١م. انظر عربش، أرمينيا أرض وشعب، ص٩١، المدور، الأرمن عبر التاريخ، ص٢٤١.

[٤] العمري، التعريف بالمصطلح الشريف ص٨٣، القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج٨، ص٣٠-٣١.

[٥]العمري، التعريف بالمصطلح الشريف ص٨٣.

[٦] قسطنطين السادس: تسلم حكم مملكة أرمينيا الصغرى بعد وفاة قسطنطين الخامس سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٣م، واستمر في الحكم حتى قتل على يد الأرمن سنة ٧٧٤هـ/١٣٧٣م. انظر المدور، الأرمن عبر التاريخ، ص٢٤٢.

صديق الملوك والسلاطين، أدام الله نعمته، وحرس مهجته، تعلمه كذا وكذا" ولقبه بمتملك سيس[1].

يمكن ملاحظة عدة نقاط تتعلق بهذه القواعد:

أولاً: لجوء كتاب الإنشاء إلى الإيجاز في ألقاب ملك أرمينيا الصغرى مقارنةً مع ألقاب ملوك بيزنطة والغرب الأوروبي[2]، حتى أن ابن فضل الله العمري تجاهل لقب الملك، واستخف ابن ناظر الجيش به ولقبه "متملك" أي أنه ليس بملك أو أنَه مدَعي مُلك.

ويبرر القلقشندي منح هذا اللقب لملوك سيس بقوله" إنَ أملاك هذا الملك كانت أولاً بيد المسلمين، ثم وثب عليها فملكها من أيدي المسلمين"[3].

ثانياً: على الرغم من تأكيد ديوان الإنشاء لضرورة الإلتزام بالصيغ الدبلوماسية، يمكن رصد الخروج عن هذه القواعد وتجاهلها، ومثال على ذلك مخاطبة السلطان الأشرف خليل لملك أرمينيا الصغرى ليون الثالث بعد فتح عكا سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م برسالةٍ من إنشاء ابن عبد الظاهر كاتب الدست. فقد افتتح الأشرف خليل رسالته بعد البسملة بقوله" نعلم الملك ارجون سرمان وفقه الله في سره و جهره و جعله ممن يلتقي المصيبة في أهل ملتّه إذا عجز أن يلتقيها بصدره . أما بعد...."[4]. يمكن ملاحظة تجاهل ألقاب الملك المخصصة له في ديوان الإنشاء، ويفسر ذلك برغبة السلطان في إذلال الملك، والتأثير عليه ودفعه للاستسلام لمطالبه، وربما تعكس غضب السلطان لتأخر الملك في دفع الجزية السنوية التي كانت مقررة عليه كما ورد سابقاً.

---

[1] ابن ناظر الجيش، تثقيف التعريف بالمصلح الشريف، ص٣٢، القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج٨، ص٣٢.

[2] العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، ص٧٦، ٧٧، ابن ناظر الجيش، تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف، ص٢٨، القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج٨، ص٤٤.

[3] القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ج٨، ص٣٣.

[4] ابن أيبك الدوادار، كنز الدرر وجامع الغرر، ج٨، ص٣٢٠، ٣٢١.

ويتضح مما سبق من أنَ المراسلات كانت وسيلة للسلطة المملوكية لتجريد ملك أرمينيا من كل شرعية لحكمه في نظر المسلمين، ومن أجل التقليل من شأنه. فالأرمن أسوأ عدو للإسلام، كما تورد كتب التاريخ المملوكي الحافلة بالأحداث مع أرمينيا الصغرى، وذلك بسبب محالفتهم لمغول فارس والفرنجة في بلاد الشام. فالمراسلات تنبع من رؤية دينية قوية، وكانت عاملاً مهماً في تأكيد الشرعية، والمماليك كانوا حريصين على إظهار أنفسهم كحماة للمجتمع الإسلامي في عصر سادت فيه أجواء الجهاد ووصلت ذروته بعد الحملات الصليبية.

خاتمة:

في نهاية هذا البحث نستطيع التعرف بشكل نهائي على طبيعة العلاقة التي كانت قائمة بين سلطنة المماليك البحرية ومملكة أرمينيا الصغرى، التي كانت في أغلبها علاقات عدائية، وهي في حقيقة أمرها حلقة في سلسلة العداوات بين القوى الإسلامية والمسيحية في عصر الحروب الصليبية، وفي عصر ظهور قوة جديدة على مسرح الأحداث، متمثلة بالمغول وخاصة مغول فارس.

هذه العلاقات العدائية التي ظهرت من خلال الحملات المملوكية الموجهة باستمرار إلى مملكة أرمينيا الصغرى، والتي كانت لأسباب ودوافع عديدة منها:

١– أسباب سياسية: تمثلت بالسياسة الودية التي انتهجتها مملكة أرمينيا الصغرى مع الغزاة الجدد من المغول، حيث استطاعت إنشاء تحالف مغولي أرمني صليبي بهدف حماية أراضيها من توسع جيرانها السلاجقة من جهة والمماليك من جهة أخرى.

ويمكن القول إنَ الصراعات المملوكية الداخلية فرضت إرسال الجيوش المملوكية إلى كيليكيا، لرغبة السلاطين في إبعاد الأمراء المعارضين أصحاب النفوذ عن البلاد وإشغالهم بالحروب الخارجية وخاصة الحروب مع مملكة أرمينيا الصغرى مثلما حدث في عهد السلطان لاجين.

٢– أسباب اقتصادية: تمثلت بإحراز الغنائم والمكاسب التي شكلت ركيزة أساسية في سد نفقات ومرتبات الجيش من الجند والأمراء، وذلك لإرضائهم وضمان وقوفهم إلى جانب السلطان أثناء الغزو المغولي للمنطقة. مثال على ذلك ما قام به تنكز نائب دمشق الذي أقدم منذ توليه النيابة على إعادة الاستقرار السياسي والاجتماعي والأمني، وإقامة المدارس والجوامع، عندما هاجم مدينة ملطية الأرمنية سنة ٧١٥هـ/١٣١٢م، فعلى الرغم من تسليم أهلها مفاتيح المدينة مقابل

الأمان، إلا أن جنوده أبوا إلا دخول المدينة وتخريبها، وقتل الأرمن وسبيهم وإحراز الغنائم والمكاسب، فهدف تنكز من وراء الحملة إحراز الغنائم لإنفاقها على مشاريع دمشق.

٣- أسباب تجارية: بسبب المكانة التجارية التي حظيت بها مملكة أرمينيا الصغرى، لأنها شكلت عقدة مواصلات هامة بعد استيلاء المغول على بغداد وتنشيط طريقها التجاري إلى ميناء إياس، فأصبحت طرق التجارة تعبر مملكة أرمينيا الصغرى إلى جميع الاتجاهات بين الشرق الأقصى وآسيا الوسطى والأراضي القوقازية، وأضحى ميناء إياس بعد سيطرة المماليك على موانئ بلاد الشام ملتقى التجار القادمين من البندقية وجنوه وبيزنطة، وبالتالي أصبحت مملكة أرمينيا الصغرى ممراً لعبور تجارة الرقيق الأبيض إلى مصر وبلاد الشام، الأمر الذي ألحق أضراراً بالغة بالموانئ والتجارة المملوكية، وكانت كل حملة مملوكية موجهة إلى مملكة أرمينيا الصغرى تحرص ألا تعود دون أن يكون ميناء إياس التجاري مدمراً، ويتوقف عن التجارة فترة من الزمن ريثما يتم إعادة بناءه.

عندما لم يجد المماليك حلاً لمشاكلهم بالوسائل العسكرية، لجؤوا إلى الدبلوماسية أو إلى المفاوضات والاتفاقيات السلمية، وباعتناق خانات مغول فارس الدين الإسلامي، أصبحت مملكة أرمينيا الصغرى عاجزة عن سياسة المواجهة ضد سلطنة المماليك، وإنَ الجدار الذي كانت تتحصن خلفه لم يعد يوفر لها الحماية اللازمة مثلما كان الأمر أيام هولاكو و أبغا، كما أنَ البابوية التي كانت تبعث الروح الصليبية في أوروبا، لم تعد قادرة على إرسال الحملات إلى بيت المقدس أو لإنقاذ أرمينيا الصغرى آخر مملكة مسيحية قائمة في المنطقة. ومن ناحية أخرى فإننا نلاحظ تمسك الشعب الأرمني بمذهبه الديني رغم سياسة التقارب التي انتهجتها المملكة مع البابوية، والعلاقات الودية التي كانت تربطها بالإمارات الصليبية في بلاد الشام. ولم تفلح كل الضغوط التي مارستها الدولة البيزنطية والكنيسة الرومانية للتخلي عن أفكارهم وطقوسهم الدينية،

والدليل على ذلك اغتيال الملوك والأمراء الذين حاولوا فرض طقوس الكنيسة الكاثوليكية على الشعب الأرمني. ونتيجة لذلك وقفت الدول الأوروبية (الغربية) موقف المتفرج مما يحدث لمملكة أرمينيا الصغرى التي واجهت مصيراً قاسياً انتهى بسقوطها وزوالها نهائياً من المنطقة.

حرصت دولة المماليك البحرية على إقامة علاقات سياسية ودبلوماسية مع الدول المعاصرة لها، ومن ضمنها مملكة أرمينيا الصغرى وذلك لخلق توازن القوى بينها وبين هذه الدول، وكان الكثير من أصول النظم الدبلوماسية الإسلامية وقواعدها، ترجع إلى الشريعة الإسلامية، فالقرآن الكريم مصدر أساسي لا غنى عنه في توجيه مسارات العلاقات الخارجية للمسلمين، بما فيها العلاقات الدبلوماسية.

فيما يخص العلاقات الدبلوماسية بين دولة المماليك البحرية ومملكة أرمينيا الصغرى، فقد بدأت هذه العلاقات منذ عهد الظاهر بيبرس من خلال تبادل العديد من السفارات والرسل، والتي تنوعت تبعاً للظروف السياسية الخارجية والاقتصادية، مابين سياسية لأجل إقامة علاقات ودية أو عسكرية بهدف معرفة الأخبار والاستعلام عن حالة الطرف الأخر، ومراقبة توازن القوى للدول المجاورة، ومن أجل الفداء وتبادل الأسرى، أو رغبة تجسسية لمعرفة أخبار قوة العدو وقوة جيشهم في الدفاع والهجوم، أو لأجل عقد الاتفاقيات وإقرار الضرائب أو من أجل المزيد من الامتيازات، بينما هدفت السفارات السلمية لتقديم التهاني والعزاء و طلب المصاهرة، أو الإعراب عن الولاء والطاعة وغير ذلك.

كانت شروط اختيار السفراء قد فرضت انتقائهم من نخبة المجتمع سواءً من الأمراء أو كبار موظفي الدولة أو رجال دين، فالعمل في هذا المجال يتطلب مؤهلات خاصة لا تتوفر عند عامة المجتمع، لما تتطلبه هذه المهنة من حذر وبراعة لغوية وذكاء سياسي وثقافة عامة وولاء للحاكم.

حرص المماليك على إظهار العظمة والقوة في مراسم استقبال السفراء وذلك لإرهاب أعدائهم والتأثير فيمن يتصل بهم، ورغم ذلك لم يغب عنهم ضرورة منح الحصانة والآمان للسفراء التزاماً بالقواعد الدبلوماسية وما يفرضه أحكام الدين في هذا المجال. ولكن لم تكن الحماية نفسها تقدم على الدوام بشكل كامل لجميع أعضاء البعثات الدبلوماسية، فكثيراً ما يتعرض سفراء أرمينيا للإيقاف والسجن.

حمل السفراء معهم تقادم وهدايا للسلطان من حكامهم، فتبادل الهدايا بين حكام المماليك وأرمينيا كانت وسيلة هامة من أجل إقامة علاقات سلمية أو من أجل تقوية العلاقات الدبلوماسية القائمة سابقاً بين الطرفين.

لتنظيم العلاقات الدبلوماسية عرف المماليك وجود جهاز إداري مختص، تولى تنظيم المراسلات الرسمية للدولة المملوكية مع مملكة أرمينيا الصغرى، وكان لهذا الديوان قواعد ورسوم يجب إتباعها في المراسلات وفقاً لمكان وظروف من توجه إليهم، ويشترط على الكتاب المسؤولين عن الإنشاء أو الكتابة الرسمية بما فيهم رئيس الديوان مستوى عالٍ من الكفاءة والثقافة والدراية السياسية.

كانت الخصائص الشكلية و الفنية لمراسلات سلاطين المماليك إلى حكام أرمينيا، تشكل وسيلة للسلطة المملوكية كي تبرز قوتها وجبروتها وسطوتها. كتبت هذه المراسلات حسب قواعد وقوانين دقيقة من حيث الشكل، والسبب في ذلك يعود إلى رؤية الدولة السياسية بضرورة إقامة علاقات معها بالرغم من سيطرة مشاعر العداء بين المماليك والأرمن، والدعوة المستمرة لعودة الحروب الصليبية.

الملاحق:

ملحق (١)

قائمة بأسماء سلاطين دولة المماليك البحرية(٦٤٨-٧٨٤هـ/١٢٥٠-١٣٨٢م)

أسماء السلاطين	سنة هجرية	سنة ميلادية
المعز لدين الله أيبك	٦٤٨	١٢٥٠
المنصور نور الدين علي بن المعز	٦٥٥	١٢٥٧
المظفر سيف الدين قطز	٦٥٧	١٢٥٩
الظاهر ركن الدين بيبرس	٦٥٨	١٢٦٠
السعيد ناصر الدين محمد بركة خان بن بيبرس	٦٧٦	١٢٧٧
العادل بدر الدين سلامش بن بيبرس	٦٧٨	١٢٧٩
المنصور سيف الدين قلاوون	٦٧٩	١٢٧٩
الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون	٦٨٩	١٢٩٠
الناصر ناصر الدين محمد بن قلاوون	٦٩٣	١٢٩٢
العادل زين الدين كتبغا	٦٩٤	١٢٩٤
المنصور حسام الدين لاجين	٦٩٦	١٢٩٦
الناصر ناصر الدين محمد بن قلاوون (سلطنته الثانية)	٦٩٨	١٢٩٨
المظفر ركن الدين بيبرس (الثاني) الجاشنكير	٧٠٨	١٣٠٨
الناصر ناصر الدين محمد بن قلاوون (سلطنته الثالثة)	٧٠٩	١٣٠٩
المنصور سيف الدين أبو بكر بن الناصر محمد	٧٤١	١٣٤١

الأشرف علاء الدين كجك بن الناصر محمد	٧٤٢	١٣٤١
الناصر شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد	٧٤٢	١٣٤٢
الصالح عماد الدين إسماعيل بن الناصر محمد	٧٤٣	١٣٤٢
الكامل سيف الدين شعبان بن الناصر محمد	٧٤٦	١٣٤٥
المظفر زين الدين حاجي بن الناصر محمد	٧٤٧	١٣٤٦
الناصر ناصر الدين بدر الدين الحسن بن الناصر محمد	٧٤٨	١٣٤٧
الصالح صلاح الدين بن الناصر محمد (سلطنته الثانية)	٧٥٤	١٣٥١
الناصر ناصر الدين بدر الدين الحسن بن الناصر (سلطنته الثانية)	٧٥٥	١٣٥٤
المنصور صلاح الدين بن سيف الدين حاجي بن الناصر محمد	٧٦١	١٣٦١
الأشرف ناصر الدين زين الدين شعبان بن حسن بن الناصر محمد	٧٦٤	١٣٦٤
المنصور علاء الدين علي بن شعبان بن حسين بن الناصر بن محمد	٧٧٨	١٣٧٦
الصالح صلاح الدين حاجي بن شعبان بن حسين بن الناصر محمد	٧٨٤	١٣٨٢

ملحق (٢)

قائمة بأسماء ملوك أرمينيا الصغرى

ليون الثاني ١١٨٧-١٢١٩م

هيثوم الأول ١٢٢٢-١٢٦٩م

ليون الثالث ٦٦٩-٦٨٨هـ/ ١٢٧٠-١٢٨٩م

هيثوم الثاني ٦٨٨-٦٩٢هـ/ ١٢٨٩-١٢٩٣م

طوروس الثالث ٦٩٢-٦٩٥هـ/١٢٩٣-١٢٩٥م

هيثوم الثاني(المرة الثانية) ٦٩٥-٦٩٦هـ/ ١٢٩٥-١٢٩٦م

سمباد ٦٩٦-٦٩٨هـ/ ١٢٩٦-١٢٩٨م

قسطنطين الأول ٦٩٨-٦٩٩هـ/ ١٢٩٨-١٢٩٩م

هيثوم الثاني(المرة الثالثة) ٦٩٩-٧٠٥هـ/ ١٢٩٩-١٣٠٥م

ليون الرابع ٧٠٥-٧٠٨هـ/ ١٣٠٥-١٣٠٨م

أوشين ٧٠٨-٧٢٠هـ/ ١٣٠٨-١٣٢٠م

ليون الخامس ٧٢٠-٧٤٢هـ/ ١٣٢٠-١٣٤١م

جاي لوزجنان ٧٤٢-٧٤٣هـ/١٣٤١-١٣٤٢م

قسطنطين الرابع ٧٤٣-٧٤٥هـ/١٣٤٢-١٣٤٤م

قسطنطين الخامس ٧٤٥ -٧٦٤هـ/١٣٤٤-١٣٦٣م

قسطنطين السادس ٧٦٤-٧٧٤هـ/١٣٦٣-١٣٧٣م

ليون السادس ٧٧٤-٧٧٦هـ/١٣٧٣-١٣٧٥م

ملحق(٣)

قائمة بأسماء خانات مغول فارس

هولاكو بن تولوي	٦٥٦-٦٦٣هـ/١٢٥٨-١٢٦٥م
أبغا بن هولاكو	٦٦٣-٦٨١هـ/١٢٦٥-١٢٨٢م
أحمد تكوادور بن هولاكو	٦٨١-٦٨٣هـ/١٢٨٢-١٢٨٤م
أراغون بن أبغا	٦٨٣-٦٩٠هـ/١٢٨٤-١٢٩١م
كيخاتو بن أبغا	٦٩٠-٦٩٤هـ/١٢٩١-١٢٩٥م
بيدو	٦٩٤هـ/١٢٩٥م
غازان بن آراغون	٦٩٤-٧٠٥هـ/١٢٩٥-١٣٠٥م
أوليجاتو بن آراغون	٧٠٥-٧١٧هـ/١٣٠٥-١٣١٧م
أبو سعيد بهادر خان بن أوليخاتو	٧١٨-٧٣٥هـ/١٣١٧-١٣٣٥م

ملحق (٤)

رسالة السلطان الظاهر بيبرس إلى بوهيموند السادس أمير أنطاكية وطرابلس، بعد فتح أنطاكية سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٨م، من إنشاء محي الدين بن عبد الظاهر:

" قد علم القومص الجليل المبجل، المعزز، الهمام، الأسد الضرغام، فخر الأمة المسيحية، رئيس الطائفة الصليبية، كبير الأمة العيسوية بيمند المنتقلة مخاطبته، بأخذ أنطاكية منه من البرنسية إلى القومصية ألهمه الله رشده، وقرن بالخير قصده، وجعل النصيحة محفوظة عنده، ما كان من قصدنا طرابلس، وغزونا له في عقر الدار، وما شاهده بعد رحيلنا من إخراب العمائر، وهدم الأعمار، وكيف كنست تلك الكنائس من على بساط الأرض، ودارت الدوائر على كل دار، وكيف جعلت تلك الجزائر من الأجساد على ساحل البحر كالجزائر، وكيف قتلت الرجال، واستخدمت الأولاد، وتملكت الحرائر، وكيف قطعت الأشجار، ولم يترك إلاّ ما يصلح لأعواد المجانيق، إن شاء الله، والستائر، وكيف نهبت لك ولرعيتك الأموال والحريم والأولاد والمواشي، وكيف استغنى الفقير، وتأهل العازب، واستخدم الخديم، وركب الماشي، هذا وأنت تنظر نظر المغشي عليه من الموت، و إذا سمعت صوتا قلت فزعا:"علي هذا الصوت"، وكيف رحلنا عنك، لكن، رحيل من يعود و أخرناك وما كان تأخيرك إلاّ إلى أجل محدود، وكيف فارقنا بلادك وما بقيت فيها ماشية إلاّ وهي لدينا ماشية، ولا جارية إلاّ وهي في ملكنا جارية، ولا سارية إلاّ وهي بأيدي المعاول سارية، ولا زرع إلاّ وهو محصود، ولا موجود لك إلاّ وهو منك مفقود، وما منعت تلك المغائر التي في رؤوس الجبال الشاهقة، ولا تلك الأودية التي هي في التخوم مخترقة، وللعقول خارقة، وكيف سقنا عنك ولم يسبقنا إلى مدينتك أنطاكية خبر، وكيف وصلنا إليها وأنت

لا تصدق إننا نبعد عنك، وإن بعدنا فسنعود على الأثر. وها نحن نعلمك بما تم ونفهمك بالبلاء الذي عم.

كان رحيلنا عنك من طرابلس يوم الأربعاء رابع وعشرين شعبان، ونزولنا أنطاكية في مستهل شهر رمضان وفي حالة النزول خرجت عساكرك للمبارزة، فكسروا، وتناصروا فما نصروا، وأسر من بينهم كندا اسطبل، فسأل في مراجعة أصحابك، فدخل إلى المدينة، فخرج هو وجماعة من رهبانك، وأعيان أعيانك، فتحدثوا معنا، فرأيناهم على رأيك من إتلاف النفوس بالغرض الفاسد، وإنهم رأيهم في الخير مختلف، وقولهم في الشر واحد، فلما رأيناهم قد فات فيهم الفوت، وأنهم قد قدر الله عليهم الموت، رددناهم وقلنا " نحن الساعة لكم نحاصر، وهذا هو الأول في الإنذار والآخر". فرجعوا متشبهين بفعلك، ومعتقدين أنك تدركهم بخيلك ورجلك، ففي بعض ساعة مرّ شان المرشان، وداخل الرهب الرهبان، ولان للبلاء القسطلان، وجاءهم الموت من كل مكان. وفتحناها بالسيف في الساعة الرابعة من يوم السبت رابع شهر رمضان، وقتلنا كل من اخترته لحفظها، والمحاماة عنها، وما كان أحد منهم إلاّ وعنده شيء من الدنيا، فما بقي أحد منا إلاّ وعنده شيئ منهم ومنها، فلو رأيت خيالتك وهم صرعى تحت أرجل الخيل، وديارك والنهابة فيها تصول، والكسابة فيها تجول، وأموالك وهي توزن بالقنطار، و داماتك فكل أربع منهن تباع، فتشترى من مالك بدينار، ولو رأيت كنائسك وصلبانها قد كسرت ونشرت وصحفها من الأناجيل المزورة قد نشرت، وقبور البطارقة وقد بعثرت، ولو رأيت عدوك المسلم، وقد داس مكان القداس والمذبح، وقد ذبح فيه الراهب والقسيس والشماس، والبطارقة وقد دهموا بطارقة، وأبناء الملكة وقد دخلوا في المملكة، ولو شاهدت النيران وهي في قصورك تخترق، والقتلى بنار الدنيا قبل نار الآخرة تحترق، وقصورك وأحوالها قد حالت، وكنيسة بولص وكنيسة القيسان وقد زلّت كل منهما وزالت، لكنت تقول (يا ليتني كنت ترابا)، "ويا ليتني لم أوت بهذا الخبر كتابا" ولكانت نفسك

تذهب من حسرتك، ولكنت تطفي تلك النيران بماء عبرتك، ولو رأيت مغانيك وقد أقفرت من مغانيك، ومراكبك وقد أخذت في السويدية بمراكبك، فصارت شوانيك من شوانيك، ليقنت إن الاله الذي أعطاك أنطاكية منك استرجعها، والرب الذي أعطاك قلعتها منك قلعها ومن الأرض اقتلعها، ولتعلم إن قد أخذنا بحمد الله منك ما كنت أخذته، من حصون الإسلام، وهو دير كوش، وشقيف تلميس، وشقيف كفر دبين، وجميع ما كان لك في بلاد أنطاكية، واستنزلنا أصحابك من الصياصي، وأخذناهم بالنواصي، وفرقناهم في الداني والقاصي ولم يبق شيء يطلق عليه اسم العصيان إلاّ النهر فلو استطاع لما تسمى بالعاصي، وقد أجرى دموعه ندماً، وكان يذرفها عبرة صافية فها هو أجراها بما سفكناه فيه دما.

وكتابنا هذا يتضمن البشرى لك بما وهبك الله من السلامة، وطول العمر بكونك لم يكن لك في أنطاكية في هذه المدة إقامة، وكونك ما كنت بها فتكون إما قتيلا وإما أسيرا وإما جريحا وإما كسيرا، وسلامة النفس هي التي يفرح بها الحي إذا شاهد الأموات، ولعل الله ما أخرك إلا لأن تستدرك ما هي الطاعة والخدمة ما فات ولما لم يسلم أحد يخبرك بما جرى خبرناك، ولما لم يقدر أحد يباشرك بالبشرى بسلامة نفسك، وهلاك ما سواها باشرناك بهذه المفاوضة وبشرناك، لتحقق الأمر على ما جرى، وبعد هذه المكاتبة ينبغي لك أن لا تكذب لنا خبرا، كما أن بعد هذه المخاطبة يجب أن لا تسأل غيرها مخبرا "[١].

[١] ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ص٣٠٩.

ملحق(٥)

نص هدنة ٦٨٤هـ/١٢٨٥م بين المنصور قلاوون والملك الأرمني ليون الثالث

نسخة الهدنة واليمين[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

وأقول- وأنا ليفون بن هيتوم بن كستنطين: _والله والله والله، وتالله، وتالله و تالله وتالله، وبالله وبالله وبالله، وحق المسيح وحق المسيح وحق المسيح، وحق الصليب وحق الصليب وحق الصليب، وحق الإنجيل وحق الإنجيل وحق الإنجيل، وحق الأب والابن وروح القدس، وحق الصليب الأعظم المستقل بالنّاسوت الأكرم، وحق الأقاليم الثلاثة من جوهر واحد، وحق الأناجيل الأربعة، التي نقلها متى ولوقا ومرقس ويوحنا، وحق صلواتهم وتقديساتهم، وحق التلاميذ الاثني عشر و الثلثمائة وثمانية عشر المجتمعين على البيعة، وحق الصوت الذي نزل على الأردن فزجره، وحق الله منزل الإنجيل على عيسى بن مريم روح القدس وكلمته، وحق المباركة أم النور ماري مريم ويوحنا المعمودي ومار توما، ومار متى، وحق الصوم الكبير، وحق ديني ومعتقدي من النصرانية وما تلقيته من الأقساء والآباء من المعمودية، وحق كل أب مقرب.

إنني من وقتي هذا وساعتي هذه قد أخلصت نيتي، وأصفيت طويَتي في الطاعة وفي الوفاء لمولانا السلطان المنصور// سيف الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين سيد الملوك والسلاطين سلطان الديار المصرية والبلاد الشامية والحلبية و الفراتية وقلاع الروم وبلادها وبلاد الشرق، ملك البسيطة أبي الفتح قلاوون الصالحي قسيم أمير المؤمنين، ولولده المتولى السلطان الملك الصالح علاء الدنيا/ والدين أبي الحسن علي، خليل أمير المؤمنين، ولولده الملك الأشرف صلاح

[1] ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، ص٩٣.

الدنيا والدين خليل ناصر أمير المؤمنين، بجميع هذه الهدنة المشروحة تلو هذه اليمين التي مدتها عشر سنين كوامل متواليات متتابعات، وعشرة ساعات، أولها يوم الخميس المبارك مستهل شهر ربيع الآخر سنة أربع وثمانين وستمائة للهجرة النبوية صلوات الله على صاحبها وسلامه، الموافق لذلك اليوم السابع من حزيران سنة ألف وخمسمائة وستة وتسعين سنة للإسكندر بن فيلوس اليوناني. وأحفظها إلى آخر مدتها، واعمل بشروطها شرطاً شرطاً، وألتزم/ الوفاء بها وبما تضمنته، ولا أخالفها بقول ولا فصل ولا رمز ولا إشارة، ولا أتأول في يميني هذه ولا في الهدنة المذكورة، ولا أتحيل في نقضها ولا نقض شيء منها، ولا أستفتي فيها ولا في شيء منها ولا في شرط من شروط هذه الهدنة المذكورة . فإن نقضتها أو نقضت شيئا منها أو استفتيت// فيها أو في شيء منها فكل ما أملكه من صامت وناطق صدقةٌ على الفقراء والمساكين من النصارى، وعلي المشي إلى البيت المقدس حافياً حاسراً راجلا ثلاثين مره، وعلي صوم الدهر كله إن خالفت شروط هذه الهدنة أو شيئاً منها أو اعتمدت ماينافي الوفاء بها أو بشيء منها من أولها إلى آخر هذه المدة المعينة في هذه اليمين وهي :

هذه الهدنة المباركة التي استقرت بين مولانا السلطان الملك المنصور السيد الأجل العالم العادل المظفر سيف الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين أبي الفتح قلاوون الصالحي قسيم أمير المؤمنين وولده وولي عهده المولى السلطان الملك الصالح علاء الدين أبي الحسن علي خليل أمير المؤمنين وولده المولى الملك الأشرف صلاح الدنيا والدين خليل ناصر أمير المؤمنين خلد الله سلطانهم – وبين الملك الجليل ليفون بن الملك هيوم بن كسطنتين ملك الأرمن لمدة / عشر سنين كوامل متواليات متتابعات وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر ساعات أولها يوم الخميس مستهل شهر ربيع الآخر سنة أربع وثمانين وستمائة الموافق ذلك اليوم السابع من حزيران سنة ألف وخمسمائة سنة وستة وتسعين سنة للإسكندر بن فيلبس اليوناني على بلاد// مولانا السلطان

الملك المنصور وقلاعه وحصونه وممالكه ومدنه وأقاليمه ورعايا بلاده من عساكر وجنود وجيوش وحشود وتركمان وأكراد وعرب ومسلمين ونصارى وسائر طوائف الناس أجمعين على اختلاف أديانهم وأنفارهم وعلى ما تحويه من أموال ومواش وصامت وناطق/ وسار وسارح ومتحرك وساكن وبر وبحر وموان وسواحل وسهل وجبل وعامر ودائر. وهي مملكة الديار المصرية وثغورها وبلادها وموانيها وسواحلها وبرورها والمملكة الساحلية وسواحلها وموانيها وبرورها والمملكة الكركية والمملكة الشوبكية ومملكة الصلت والبلقاء ومملكة عجلون// ومملكة صرخد ومملكة الصبيبة والمملكة الصفدية والشقيفة والمملكة الدمشقية والمملكة البعلبكية وسائر الممالك الشامية والقلاع الإسلامية والمملكة الحمصية والمملكة الرحبية والفتوحات الحصنية : حصن عكار، وفتوحاته، وحصن الأكراد وفتوحاته، وحصن المرقب، وفتوحاته، وموانيه: بلنياس وما دخل في هذه الفتوح وبلده، وجبلة، واللاذقية، وبلد الست، ومملكه بلا طنس، وبلادها، ومملكه صهيون، وبلادها، ومملكة شيزر، ومملكة حماه، ومملكة حلب، ومملكة بغراس، ومملكة الدربساك، ومملكة عينتاب، وبرج الرصاص، والراوندان، //وتل باشر، ومنبج، وقلعة جعبر، ومملكة البيرة، ومملكة كركر، ومملكة الكختا، وقطينا، وبابلو، وما انتهت إليه حدود البلاد السلطانية بممالك الشرق والروم وكل ما استقر في يد نواب مولانا السلطان المنصور إلى تاريخ هذه الهدنة من البلاد والفتوحات والحدود والأراضي/ والقلاع وما سيفتحه الله تعالى على يد مولانا السلطان وعلى يد عساكره، وجيوشه، وبعوثه، من البلاد والأقاليم، والثغور، والقرى، والضياع، والمصايف، والمشاتي شرقاً وغرباً وبعداً وقرباً، وعلى ما ذكر من البلاد السلطانية وعلى ما لم يذكر منها، ومن بها، وما بها، وعلى بلاد الملك ليفون ابن الملك هيوم المستقرة// بيده إلى حين استقرار هذه الهدنة، وهي بلاده المعروفة به،/ تستقر بلاد مولانا السلطان الملك المنصور وما عين منها وما لم يعين، وبلاد الملك ليفون المستقرة بيده آمنة مطمئنة على قواعد

الصلح والمهادنة هي ومن بها من رعيته، وأمرائه، وأجناده، ومن يتعلق به وينسب إليه، وما حوته بلاده من/ أموال ومواش وقرى وزروع وضياع محروسة من الجانبين في الليل والنهار، وفي الغدو والرواح، والمساء والصباح، محفوظة المسالك مصونة الأطراف والجهات براً وبحراً، من المتعرضين بالأذية، والمتعبثين بأيدي العدوان، والمتلصصين من الحرامية والمغيرين، والمفسدين لا تتعرض جهة إلى أخرى //بحاله من الحالات التي تخالف شروط هذه الهدنة. ولا ينقض بها حكم الصلح الذي استقر أمره، وثبت في الأذهان علمه. وأن تتردد التجار من الجانبين بأموالهم وبضائعهم ومتاجرهم صادرين وواردين. وليخفروا إلى حدود البلاد ولا يمنعوا من التردد ولا يؤذوا بسبب من الأسباب/ وعلى أنَ الملك ليفون ابن الملك هيوم يقوم لمولانا السلطان الملك المنصور ولولده وولي عهده السلطان الملك الصالح علاء الدنيا والدين وولده السلطان الملك الأشرف في كل سنة من استقبال تاريخ هذه الهدنة وإلى انقضاء مدتها على حكم القطيعة المستقرة عن نفسه وعن رعيته //وعن بلاده بما يأتي ذكره ونقد سنه معجلة. وهو من الفضة الحجر الطلغم التكفورية خمسمائة ألف درهم وزناً نصفها: مائتا ألف درهم، وخمسون ألف درهم، ومن الخيل الجياد، والبغال الجياد خمسون رأساً، تفصيله: أكاديش جياد خمسة وعشرون رأساً، بغال جياد/ خمسة وعشرون رأساً. ومن التطابيق الحديد الجياد عشرة آلاف تطبيقة بمساميرها محمولة إلى أي جهة رسم له بحملها إليها من البلاد السلطانية، وليستقر حمل ذلك في كل سنة من مملكته. وتكون السنة الأولى معجلة، ويستمر حمل هذه الجملة المعينة في كل سنة إلى انقضاء //هذه الهدنة المباركة، وعلى أن الملك ليفون يلتزم بإطلاق جميع من في اعتقاله من التجار المسلمين على اختلاف طوائفهم وأجناسهم بأموالهم وبضائعهم ومماليكهم وجوارهم وخيلهم وبغالهم، وإطلاق جميع المسلمين المأسورين المعتقلين في قلاعه وفي بلاده من سائر أجناس الناس على اختلاف أجناسهم وأنفارهم وتجهيز الجميع إلى الأبواب العالية ولا يعوق منهم أحداً

ويجهزهم جميعهم إلى الأبواب العالية، ومن كان قد مات في اعتقال الملك ليفون من التجار المسلمين فيلتزم الملك ليفون بالقيام بمال التجار الذين ماتوا في اعتقاله لمولانا السلطان الملك المنصور، وبمماليكهم // وجوارهم وبضائعهم ولا يخفى شيئاً من ذلك. ويقوم عن التاجر الذي مات بأسير مثله .

ومهما كان قد فرط فيه من بضائعهم وأموالهم ورقيقه يقوم بقيمه ما فرط فيه لمولانا السلطان الملك المنصور – خلد الله ملكه – ويجهز ذلك إلى مولانا السلطان الملك المنصور ولا يعتذر/ عنه بعذر. وعلى أنَ مولانا السلطان الملك المنصور يطلق للملك ليفون من هو معوق من رسله وغلمانهم وأتباعهم المعتقلين بمصر والشام، وإن كان في الاعتقال أحد من تجار الأرمن يطلق أيضاً بماله الموجود، /وعلى أن التجار المترددين من الجهتين لا يحدث عليهم حادث ولا تجدد عليهم //مظلمة ولا يزداد عليهم حق خفير في جهة من الجهات ويسلك بهم منهج العدل والإنصاف، وعلى أنه من دخل إلى بلد الأرمن من بلد الروم وبلد المشرق والمغرب والعراق وبغداد والعجم وسائر البلاد قاصداً البلاد السلطانية من التجار والرعية والوافدين وسائر الناس /أجمعين يفسح لهم في الحضور إلى البلاد السلطانية، ولا يعوقهم ولا يمنعهم . ولا يقو هؤلاء من رعيه التتار ولا من أولادهم ولا ممن يتعلق بهم ، وعلى أنه متى مات أحد من التجار المسلمين ببلاد الملك ليفون يحتفظ بماله ويسلم لنواب مولانا السلطان الملك المنصور ليعتمدوا فيه //موجب الشرع الشريف . وللملك ليفون مثل ذلك في تجار بلاده الأرمن الذي يموتون في البلاد السلطانية، وعلى أنه متى انكسر مركب لأحد الجانبين بالجهة الأخرى يحتفظ يما يوجد فيه ويحترز عليه، ويسلم لنواب الجهة التي يكون التاجر المتوفى منها. فإن كان ذلك التاجر/ من رعية مولانا السلطان الملك المنصور أو من غلمانه فيسلم لنواب مولانا السلطان الملك المنصور، وإن كان من رعية الملك ليفون فيسلم لنوابه ليعتمد في ذلك موجب العدل والإنصاف، وعلى أنه

متى هرب أحد من بلاد مولانا السلطان كائناً من كان، أميراً كان أو مأموراً، مملوكاً كان// أو حراً، من سائر الطوائف والأجناس والأديان ودخل إلى بلد الأرمن يلتزم الملك ليفون ونوابه بإمساكه وإنفاذه تحت الحوطة إلى الأبواب السلطانية بجميع من يهرب معه وبما يوجد معه من رفقة وغلمان وخيل وبغال وقماش ومال وغير ذلك. ولو تنصر الهارب وانتقل عن دينه يلتزم الملك /ليفون برده إلى مولانا السلطان الملك المنصور ولا يعتذر ولا يتحجج بحجة في أمرة . وإن هرب أحد من رعية الملك ليفون وغلمانه وأجناده واستمر على دينه يلتزم نواب السلطان برده إليه.

وإن دخل في دين الإسلام يرد المال الذي يوجد معه / وعلى أن الممنوعات من السلاح والعدد وغير ذلك // من البلاد السلطانية يستقر حال المنع فيها على العادة، وعلى أن الملك ليفون لا يمنع أحداً من التجار ولا من غير التجار، من جلب الممالك والجواد والخيل والبغال وسائر أصناف البضائع عن الحضور بهم إلى البلاد السلطانية ولايعوقهم ولايفسح لأحد في أن يعوقهم ويفتح الطريق/ لهم ليجلبوا المماليك والجوار والبضائع والخيل والبغال وسائر الأصناف وسائر أجناس المماليك وأجناس الجوار على اختلافهم ولا يعوق منهم أحداً، وعلى أنه متى أخذت أخيذة أو قتل أحد من الجانبين يسلم القاتل ليقتص منه، وترد الأخيذة بعينها إن كانت موجودة أو// قيمتها إن كانت مفقودة. والقتيل يقام عنه بعد رد ماله بأسير مثله: الفارس بفارس، والتركيلي بتركيلي، والتاجر بتاجر، والراجل براجل، والفلاح بفلاح، فإن خفي أمر القتيل او أمر الأخيذة تكون المهلة في الكشف عن ذلك أربيعن يوماً. وإن لم يظهر أمرها حلف والي تلك الجهة/ وثلاثة نفر تختارهم الجهة الأخرى. وإن ظهر أمر الأخيذة أو أمر القتيل بعد اليمين عاد الطلب بالحق على حاله، وعلى أن قلعة الروم وخليفة الأرمن الكتاغيكو المقيم بها ورهبانه ومن يتعلق به بهذه

الجهة وبما لها وبها من الرعية والفلاحين يكونون داخلين في حكم هذه الهدنة، كما // استقر لهم في الهدنة الظاهرية.

وعلى أن الملك ليفون لا يستجد بناء قلعةٍ ولا ما يتحصن به، وعلى أنه مهما كان في بلاد ليفون من فلاحي بلد رومص والبلاد السلطانية يردهم إلى البلاد السلطانية، ومن كان في اعتقال من رهبانهم يطلقه، وإن كان في البلاد السلطانية أحد من/ فلاحي بلد الأرمن فيرد.

تستقر هذه الهدنة بشروطها وقواعدها المحررة إلى انقضاء مدتها لاتنقض بموت أحد من ملوك الجهتين ولا بعزل نائب أو والٍ وتولية غيرهم، ولابدخول رجلٍ غريبة ولابيدٍ غالبة من التتار ولا من غيرهم، بل تكون أحكام هذه الهدنة مستمرة على حالها، وإنني ألتزم // الوفاء بها بجميع شروطها ولا أخرج عن حكم من أحكام هذه الهدنة، ولا أغمز على بلاد مولانا السلطان الملك المنصور ولا على عساكره ولا على رعاياه من يقصدهم بغارة ولا بمضرة ولا بأذية، ولا أدخل في مشورة تؤدي إلى اعتماد سوء أو مكروه، ولا أحسن لأحد من أعداء مولانا السلطان الملك المنصور ولا/ أنجده ولا أساعده ولا أوافقه عليه برمز ولا خط، ولا مراسلة، ولا مكاتبة، ولا مشافهة، بل أكون مدارياً عن نفسي وعن بلادي، وأجتهد كل الإجتهاد في حفظ بلاد مولانا السلطان الملك المنصور ومنع من يتخطى إليها من بلاد بأذية أو عدوان، ومتع وقع- والعياذ بالله- فسخ من أحد الجهتين تكون التجار والسفار// والمترددين آمنين مطمئنين على أنفسهم وأموالهم وبضائعهم ومماليكهك وجوارهم وخيلهم وبغلهم. وتكون هذه المهلة أربعين يوماً حتى يعود كل أحد إلى مأمنه ووطنه ببضاعته وبماله من غير معارض له في ذلك مدة هذه الهدنة المباركة التي أولها مستهل شهر ربيع الآخر المبارك من سنة/ أربع وثمانين وستمائة للهجرة النبوية المحمدية صلوات الله على صاحبها وسلامه، الموافق ذلك اليوم السابع من حزيران سنة ألف وخمسمائة وخمسة وتسعين للاسكندر بن فيلبس اليوناني- وأني والله وحق ديني ومعبودي

واعتقادي- ألتزم بجميع هذه الهدنة وهذه اليمين وأنا ليفون بن هيتوم// والنية فيها نية مولانا السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحي ونية، ولديه المولى السلطان الملك الصالح علاء الدنيا والدين، والمولى السلطان الملك الأشرف صلاح الدنيا والدين، ونية مستحلفي لهم، لانية لي غير نيتهم ولا قصد لي غير قصدهم، أشهد الله علي بذلك والله على ما أقول/ وكيل، والمسيح شهيد علي بذلك، وعلى ذلك وقع الشرط والإتفاق في التاريخ المذكور أعلاه.

ملحق (٦)

رسالة الأشرف خليل إلى صاحب سيس بعد فتح عكا سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م[١] :

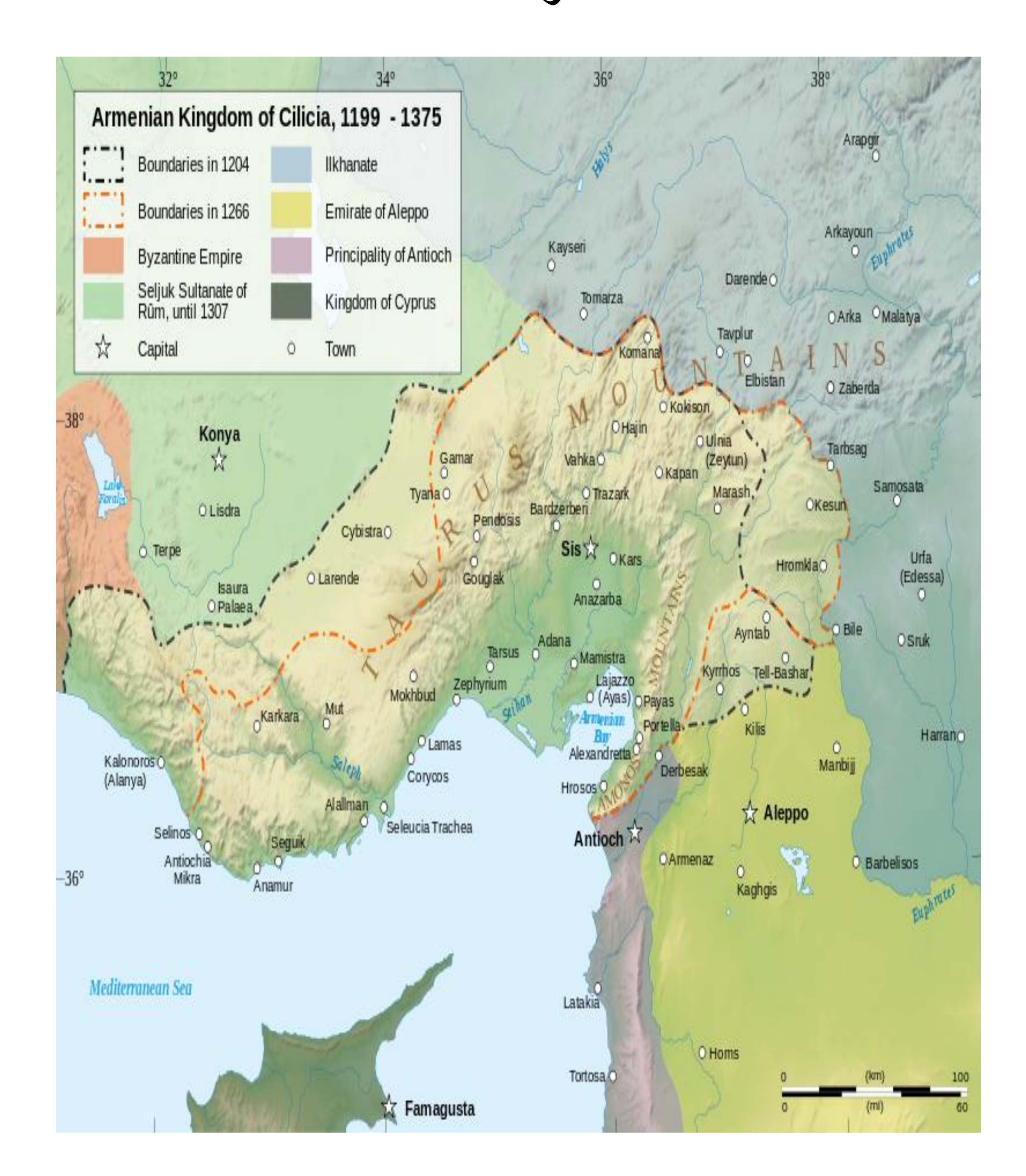
" بسم الله الرحمن الرحيم. نعلم الملك أرجون سرمان وفقه الله في سره و جهره و جعله ممن يلتقي المصيبة في أهل ملتّه إذا عجز أن يلتقيها بصدره. أما بعد : فإنا فتحنا عكا التي هي على دين الصليب، في هذا الأمد القريب. فلو رأيت خندقها العميق مردوما، و كل برج كان بها منيعا قد عاد مهدوما، وفرسانها في خنادقها جاثية، قد أصبحوا بسيوفنا " صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية، فهل ترى لهم من باقية". و لما أحاط بها ركابنا المنصور، كما يحيط بها السور، أظهروا الجلادة في القتال، و رموا بالمجانيق و النبال، و حسبوا أن بأسهم يصونهم، وأن مانعتهم حصونهم، فما نفعهم الحديد، ولا كثرة العدد و العديد، لما قومنا لهم كل سنان، وجاهم الموت من كل مكان. أشرفنا عليهم من الأسوار و أحطنا بهم كما يحيط بالزند السوار، فولوا من بين أيدينا منهزمين، و أصبحوا على ما فعلوا نادمين، فكل منهم يرى طريحا أو أسيرا، لما دمرناهم و ديارهم تدميرا .

و أما الديوية فما منعهم طارقة و لا جنوية، و أما الاسبتار فأفناهم سيفنا البتار، و أما الزنادقة البنادقة، ألقوا بأنفسهم في البحر لما راو حملاتنا الصادقة، و أنت، أيها الملك، إذ لم تعتبر بعكا لأنكيناك على أقصى وجودك ، و أعدمناك بعد وجودك ، و تندم ندامة أهل عكا حيث لا نفعهم الندم ، و تصبح بعد الوجود في العدم ، فتحمل القطيعتين الأولة و الثانية، و تحضر بنفسك إلى أبوابنا العالية، و إن خالفت وأطعت إبليس لنطيلنّ حزنك على بلاد سيس، و يكون رأيك على نفسك و بيس، فكل منكم يقل : لم يبقى بعد عكا إلا أنا، فانجوا بنفسك قبل أن تقع في الويل و العناء ، و افهم هذا الكلام و السلام" .

---

[١] ابن أيبك الدوادار، كنز الدرر وجامع الغرر، ج٨، ص٣٢٠، ٣٢١.

الخرائط:



https://upload.wikimedia.org/wikipedia/commons/thumb/f/f7/Cilician_Armenia-en.svg/200px-Cilician_Armenia-en.svg.png

(١)



http://islamstory.com/sites/default/files/images/stories/articles/1077/1714 7_image003.jpg

(٢)



https://upload.wikimedia.org/wikipedia/commons/thumb/7/7b/Bahri_Dynasty_1250_-_1382_(AD)_ar.png/250px-Bahri_Dynasty_1250_-_1382_

(٣)



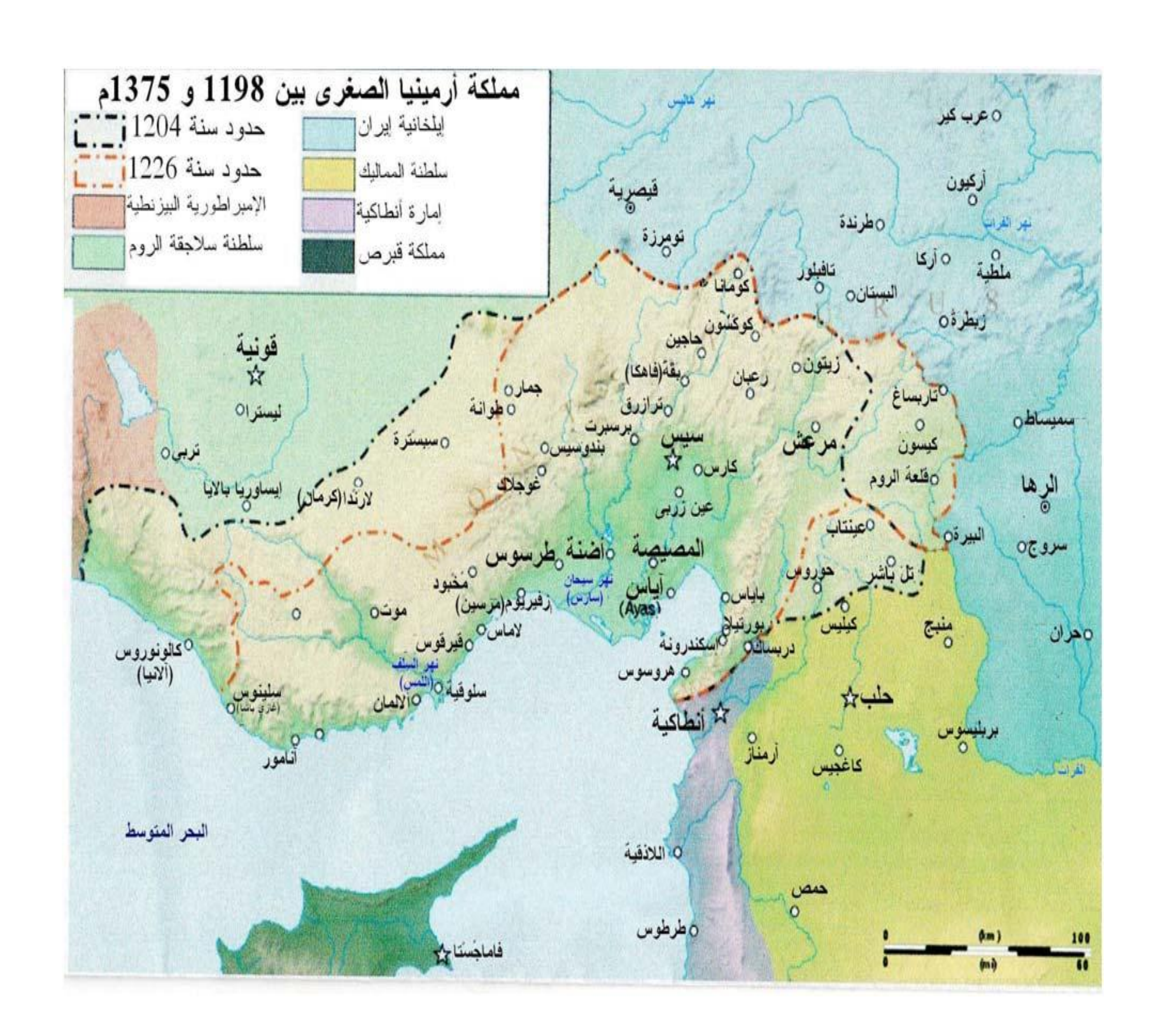
https://upload.wikimedia.org/wikipedia/commons/thumb/6/62/Political

(٤)



https://www.google.com/url?sa=i&rct=j&q=&esrc=s&source=images&cd=&ved=0ahUKEwiz1oSotZzRAhWHthQKHXyxCY0QjRwIBw&url=http%3A%2F%2Fwww.marefa.org

(٥)



(٦)[1]

[1] مترجمة للعربية عن Dédéyan : op. cit., p. 998.

قائمة المصادر:

١- ابن أبي الفضائل(المفضل)، النهج السديد والدرر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، تح و تر: إيتان بلوشية، Histoire des suiltans mamlouks, Imbrimeurs-Editers, Patrologia Orientalis, Paris, 1919, vol.I, p. 494.

٢- ابن الأثير (أبو الحسن علي بن محمد الشيباني)، الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ج٥، ١٠.

٣- ابن إياس (محمد بن أحمد الحنفي)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تح: محمد مصطفى زيادة، مكتبة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط١، ١٩٧٥م، ج١، ٢، ٥.

٤- ابن أيبك الدوادار (أبي بكر بن عبدالله)، كنز الدرر وجامع الغرر، تح: أولرخ هارمان، مركز ودود للمخطوطات، القاهرة، ط١، ١٩٧٣م، ج٨، ٩.

٥- ابن أيبك الصفدي (صلاح الدين خليل)، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ج١، ٣، ٤، ٦، ٨، ٩، ١٠، ١٣، ١٧، ١٨، ٢٤.

٦- ابن أيبك الصفدي (صلاح الدين خليل)، أعيان العصر وأعوان النصر، تح: نبيل أبو عمشة، علي أبو زيد، محمد موعد، محمود سالم محمد، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٨م، ج١، ٢، ٤.

٧- ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تح: محمد حسن شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط ، ١٩٩٢م، ج٦، ٧، ٨، ١٠.

٨- ابن الجزري (شمس الدين محمد)، حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر و الأعيان من أبنائه، تح: عمر عبد السلام التدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ج١.

٩- ابن حبيب (الحسن بن عمر)، تذكرة النبيه في أيام المصور وبنيه، تح: محمد أمين وسعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٧٦م، ج١، ٢.

١٠- ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أحمد)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجبل، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ج١، ٢، ٣.

١١- ابن حوقل (أبي القاسم النصيبي)، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط٢، د.ت.

١٢- ابن خلدون (عبد الرحمن)، العبر و ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، مر: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ج٥.

١٣- ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي)، الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، تح: سعيد عبد الفتاح عاشور، مر: أحمد السيد دراج، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٩٨٢م.

١٤- ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي)، الانتصار لواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر وجغرافيتها، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.

١٥- ابن شاهين(غرس الدين خليل)، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تح: بولس راويس، د.م، باريس، ١٩٨٤م.

١٦- ابن شداد (بهاء الدين)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية سيرة صلاح الدين، تح: جمال الدين الشيال، مطبعة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٤م.

١٧- ابن شداد (عز الدين)، تاريخ الملك الظاهر، تح: أحمد حطيط، مركز الطباعة الحديثة، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

١٨- ابن شداد(عز الدين محمد بن علي)، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تح: يحيى زكريا عبارة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط١، ١٩٩١م، ج١.

١٩- ابن الصيرفي(أمين الدين أبو القاسم)، القانون في ديوان الرسائل والإشارة إلى من نال الوزارة، تح: أيمن فؤاد السيد، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م.

٢٠- ابن عبد الظاهر(محي الدين)، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تح: عبد العزيز الخويطر، الرياض، ط١، ١٩٧٦م.

٢١- ابن عبد الظاهر(محي الدين)، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تح: مراد كامل ومحمد علي النجار، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٦١م.

٢٢- ابن العبري(غريغوريوس أبو الفرج الملطي)، تاريخ الزمان، تر: اسحق أرملة، دار المشرق، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.

٢٣- ابن العبري (غريغوريوس أبو الفرج الملطي)، تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.

٢٤- ابن العديم (كمال الدين ابن أبي جرادة)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تح: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ط.

٢٥- ابن العماد (شهاب الدين أبي الفلاح الحنبلي)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١، ١٩٩١م، ج٧.

٢٦- ابن الفراء(أبي علي الحسين بن محمد)، رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تح: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م.

٢٧- ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل)، البداية والنهاية، تح: رياض عبد الحميد مراد، محمد حسان عبيد، مر: عبد القادر الأرناؤوط ، بشار عواد معروف، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط٢، ٢٠١٠م، ج٣، ٨، ١٥.

٢٨- ابن منظور(جمال الدين أبو الفضل)، لسان العرب، تح: عبد الله الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

٢٩- ابن ناظر الجيش(تقي الدين عبد الرحمن)، تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف، تح: رودلف قسلي، المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، د.ط.

٣٠- ابن واصل(حمال الدين محمد)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تح: عمر عبد السلام التدمري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م، ج٦.

٣١- أبو شامة(شهاب الدين بن إسماعيل المقدسي)، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تح: محمد حلمي أحمد، محمد مصطفى زيادة، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٩٨م.

٣٢- أبو الفدا (المؤيد عماد الدين إسماعيل)، تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، د.ت.

٣٣- أبو الفدا(المؤيد عماد الدين إسماعيل)، المختصر في أخبار البشر، تقديم حسين مؤنس، تح: محمد زينهم عزب، يحيى سيد حسين، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ج٣، ٤.

٣٤- الإصطخري (إسحاق بن إبراهيم بن محمد)، المسالك والممالك، تح: محمد جابر عبد العال الحيني، مر: محمد شفيق غربال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ط١، ١٩٦١م.

٣٥- أكانك (غريغور أوف)، تاريخ أمة الرماة، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، تح: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٣.

٣٦- بيبرس المنصوري (ركن الدين بيبرس بن عبد الله)، مختار الأخبار، تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة ٧٠٢هـ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة، ط١، ١٩٩٣م.

٣٧- بيبرس المنصوري (ركن الدين بيبرس بن عبد لله)، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تح: دونالد س. ريتشاردز، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

٣٨- بيبرس المنصوري(ركن الدين بيبرس بن عبد الله)، التحفة المملوكية في الدولة التركية، تح: عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م

٣٩- جوانفيل(جان سيردي)، القديس لويس، حياته وحملاته على مصر والشام، تر: حسن حبشي، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٦٨م.

٤٠- الحموي (ياقوت بن عبد الله)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٧٧م، ج١، ٢، ٤، ٥، ٦.

٤١- الحميري (محمد بن عبد المنعم)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.

٤٢- خوريناتسي (موسيس) ، تاريخ الأرمن من البداية حتى القرن الخامس الميلادي، تر: نزار خليلي، دار اشبيلية، دمشق، سوريا، ط١، ١٩٩٩م.

٤٣- الدويهي (استفان)، تاريخ الأزمنة، تح: بطرس فهد،، دار لحد خاطر، بيروت، د.ت.

٤٤- الذهبي(شمس الدين أبي عبدلله)، دول الإسلام، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٥م.

٤٥- سمباد، التاريخ المعزو إلى القائد الأرمني سمباد، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، تح: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٩م.

٤٦- السيوطي(جلال الدين عبد الرحمن)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الإسكندرية، ط١، ١٩٦٧م، ج٢.

٤٧- شافع بن علي، حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، تح: عبد العزيز الخويطر، الرياض، ط٢، ١٩٨٩م.

٤٨- العباسي(الحسن بن عبد لله)، آثار الأول في ترتيب الدول، تح: عبد الرحمن عميرة، دار الجبل، بيروت، ط١، ١٩٨٩م.

٤٩- العمري(شهاب الدين أحمد بن فضل الله)، التعريف بالمصطلح الشريف، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.

٥٠- العيني (بدر الدين محمود)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تح: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العام للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٨٥م، ج١، ٣، ٤.

٥١- غيفونت، تاريخ الراهب غيفونت، تح: جان جاك سلمانيان، جامعة القديس يوسف، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

٥٢- القرماني(أحمد بن يوسف)، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تح: أحمد حطيط ، فهمي سعد، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٩٢م، ج٢.

٥٣- القزويني (زكريا بن محمد بن محمود)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٠م.

٥٤- القلقشندي (أبي العباس أحمد)، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٢٢م، ج١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ١٣، ١٤.

٥٥- الماوردي(أبي الحسن علي بن محمد)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تح: أحمد مبارك البغدادي، دار ابن قتيبة، الكويت، ط١، ١٩٨٩م.

٥٦- المسعودي (أبي الحسن علي)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط٥ ، ١٩٨٨م.

٥٧- المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد مصطفى زيادة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٣٦م، ج١، ٢.

٥٨- المقريزي(تقي الدين أحمد بن علي)، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، تح: أيمن فؤاد السيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠٠٠م.

٥٩- مونتريال(جيرارد أوف)، أعمال القبارصة، تر: سهيل زكار، دار التكوين، دمشق، ط١، ٢٠٠٨م.

٦٠- النويري(شهاب الدين أحمد)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: نجيب فواز، حكمت فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣.

٦١- النويري(محمد بن قاسم الاسكندراني)، الإلمام بالأعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في واقعة الإسكندرية، تح: إيتان كامب، عزيز سوريال عطيه، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند، ١٩٦٨، ١٩٧٦.

٦٢- هايد. ف، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، تر: أحمد محمد رضا، مر: عز الدين فوده، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٨٥م، ج١، ٢.

٦٣- الهمذاني(رشيد فضل الله)، جامع التواريخ، تر: فؤاد عبد المعطي الصياد ويحيى الخشاب، دار النهضة العربية، بيروت، ط٢ ،١٩٨٣م ،ج١.

٦٤- اليوسفي(موسى بن محمد بن يحيى)، نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، تح: أحمد حطيط، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.

قائمة المراجع العربية:

١- أبو النصر(محمد عبد العظيم)، السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، عين للدراسات، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠١م.

٢- إديوري (بيتر)، قبرص والحروب الصليبية، دار الملتقى للطباعة والنشر، قبرص، ليماسول، ط١، ١٩٩٧م.

٣- استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، مطبعة الإتحاد، الموصل، ط١، ١٩٥١م.

٤- اسكندر (فايز نجيب)، الفتوحات الإسلامية لأرمينيا(١١- ٤٠هـ /٦٣٢ -٦٦١ م)، القاهرة، ط١، ١٩٨٣م.

٥- اسكندر (فايز نجيب)، الحياة الإقتصادية في أرمينيا أبان الفتح الإسلامي، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ط١،١٩٨٣م.

٦- اسكندر (فايز نجيب)، استيلاء السلاجقة على عاصمة أرمينيا آني، دار الفكر، الإسكندرية، د.ط، ١٩٧٨م.

٧- اشخانيان (رفائيل)، نشأة الأرمن وتاريخهم القديم، تر: هوري عزازيان، مطبعة حلب، حلب، ط١، ١٩٨٦م.

٨- إقبال (عباس)، تاريخ إيران بعد الإسلام، من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية، تر: محمد علاء الدين منصور، مر: السباعي محمد السباعي، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٨٩م.

٩- البستاني (بطرس)، دائرة المعارف، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م.

١٠- البقلي(محمد قنديل)، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٨٣م.

١١- توراو (بيتر)، الظاهر بيبرس، تر: محمد جديد، مر: أحمد حطيط، قدمس للنشر والتوزيع، دمشق، ط٢، ٢٠٠٢م.

١٢- توفيق(عمر كمال)، الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين، دراسة تحليلية وثائقية في التاريخ الدبلوماسي(٤٩١-٦٩٠هـ/١٠٩٧-١٢٩١م)، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط١، ١٩٨٦م.

١٣- حافظ (فؤاد حسن)، تاريخ الشعب الأرمني من البداية وحتى اليوم، القاهرة، ط١، ١٩٨٦م.

١٤- حبشي (حسن)، ديوان الإنشاء، نشأته وتطوره، أبو العباس القلقشندي وكتابه صبح الأعشى، تقديم: أحمد عبد الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٧٣م.

١٥- حسن(علي إبراهيم)، تاريخ المماليك البحرية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٣، ١٩٦٧م.

١٦- حسين (حمدي عبد المنعم محمد)، دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠ م.

١٧- حمدي (حافظ أحمد)، الدولة الخوارزمية والمغول، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٩٤٩م.

١٨- حمزة (عادل عبد الحافظ)، الشرق الإسلامي بين شقي الرحى (الصليبيين والمغول)، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، د.ت.

١٩- الخالدي (اسماعيل عبد العزيز)، العالم الإسلامي والغزو المغولي، مكتبة الفلاح، الكويت، ط١، ١٩٨٤م.

٢٠- دهمان(محمد أحمد)، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر ودار الفكر، بيروت، دمشق، ط١، ١٩٩٠م.

٢١- دياب (صابر محمد)، المسلمون وجهادهم ضد الروم في أرمينيا والثغور الجزرية والشامية خلال القرن الرابع الهجري، مكتبة السلام العالمية، القاهرة، ط١، ١٩٨٤م.

٢٢- ديشابرهوش (انطوان)، مختصر تواريخ الأرمن، تر: القس انطوان خانجي، مطبعة دير الآباء الفرنسيسكانين، القدس، ط١، ١٨٦٨م.

٢٣- رنسيمان (ستيف)، تاريخ الحروب الصليبية، تر: السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٨١م.

٢٤- الذيابات(آمنة محمود)، القبائل العربية في بلاد الشام في السياسة المملوكية(٦٥٨-٧٨٤هـ)، جامعة مؤته، الأردن، رسالة الدكتوراة، ٢٠٠٠م.

٢٥- سرور(محمد جمال الدين)، الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٨٣م.

٢٦- سرور(محمد جمال الدين)، دولة بني قلاوون في مصر، الحالة السياسية والإقتصادية بوجه خاص، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط.

٢٧- سفر(حسن بن محمد)، السفارات في النظام الإسلامي، جامعة الملك عبد العزيز، ط١، ١٤١٧هـ.

٢٨- سليم(محمود رزق)، عصر سلاطين المماليك ونتاجهم العلمي والأدبي، المطبعة النموذجية، مصر، ط٢، ١٩٦٢.

٢٩- سليمان (أحمد عبد الكريم)، المغول والمماليك حتى نهاية عصر الظاهر بيبرس، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.

٣٠- السيد (أديب)، أرمينيا في التاريخ العربي، المطبعة الحديثة، حلب، ط١، ١٩٧٢م.

٣١- السيد (محمود)، تاريخ القبائل العربية في عصر الدولتين الأيوبية والمملوكية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط١، ١٩٩٨م.

٣٢- الشاعر(محمد فتحي)، مصر قاهرة المغول في عين جالوت، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م.

٣٣- الشنتناوي (أحمد)، خور شيد (زكي)، يونس(عبد الحميد)، دائرة المعارف الإسلامية، مطبعة الشعب، القاهرة ، ط ٢، ١٩٦٩م.

٣٤- الصياد (فؤاد عبد المعطي)، المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٠م.

٣٥- ضومط (انطوان خليل)، الدولة المملوكية، التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري، دار الحداثة، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.

٣٦- طقوش (محمد سهيل)، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، دار النفائس، بيروت، ط٣، ٢٠٠٩م.

٣٧- طقوش (محمد سهيل)، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧م.

٣٨- طقوش(محمد سهيل)، تاريخ سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، دار النفائس، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

٣٩- طقوش (محمد سهيل)، تاريخ المغول العظام والإيلخانيين، دار النفائس، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.

٤٠- عاشور(سعيد عبد الفتاح)، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، سلطنة المماليك ومملكة أرمينيا الصغرى، جامعة بيروت، ط١، ١٩٧٧م.

٤١- عاشور(سعيد عبد الفتاح)، الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٩، ٢٠١٠م.

٤٢- عاشور(سعيد عبد الفتاح)، العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، ط٢، ١٩٧٦م.

٤٣- عاشور (سعيد عبد الفتاح)، الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، دار النهضة، القاهرة، ط١، ١٩٩٦م.

٤٤- عاشور(فايد عاشور)، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين والمغول في العصر المملوكي، جروس بروس، لبنان، ط١، ١٩٩٥م.

٤٥- عاشور(فايد حماد)، العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى، مر: جوزيف نسيم، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٧٥.

٤٦- العبادي(أحمد مختار)، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

٤٧- عبد الغني(عبد الرحمن محمد)، أرمينيا وعلاقاتها السياسية بكل من البيزنطيين والمسلمين(٣٣-٤٥٧هـ/٦٥٣-١٠٦٤م)، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت،ط١، ١٩٨٩م.

٤٨- عبد المنعم(صبحي)، المغول والمماليك السياسة والصراع، دار العربي للنشر، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٠م.

٤٩- عربش (سمير)، أرمينيا أرض وشعب، دار الريحاني، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩١م.

٥٠- العريني (الباز)، الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٩٦٥م.

٥١- العريني(الباز)، المماليك، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٩٦٧م.

٥٢- العريني (الباز)، المغول، دار النهضة، بيروت، د.ط.

٥٣- عطيه(عزيز سوريال)، تاريخ المسيحية الشرقية، تر: اسحاق عبيد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م.

٥٤- عمران(محمود سعيد)، المغول وأوروبا، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د.ت.

٥٥- عمران(محمود سعيد)، تاريخ الحروب الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٠م.

٥٦- فشر(هربرت)، تاريح أوروبا في العصور الوسطى، تر: محمد مصطفى زيادة، الباز العريني، ابراهيم أحمد العدوي، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٥٤م.

٥٧- فهمي(عبدالسلام عبد العزيز)، تاريخ الدولة المغولية في إيران، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٨١م.

٥٨- قاسم(عبده قاسم)، علي(علي السيد)، الأيوبيين والمماليك، التاريخ السياسي والعسكري، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، مصر، د.ت.

٥٩- قاسم(قاسم عبده)، عصر سلاطين المماليك، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٤م.

٦٠- لاين(جورج)، عصر المغول، تر: تغريد الغضبان، مر: سامر أبو هواش، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة "مشروع كلمة"، أبو ظبي، ط١، ٢٠١٢م.

٦١- لسترانج (كي)، بلدان الخلافة الشرقية، تر: بشير فرانسيس، كوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط، ١٩٨٥م.

٦١- ماجد (عبد المنعم)، التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك في مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٨٨م.

٦٢- المدور (مروان)، الأرمن عبر التاريخ، منشورات دار نوبل، دمشق، سوريا، ط٢، د.ت.

٦٢- النشار(محمد محمود أحمد)، علاقة مملكتي قشتالة وأراجون بسلطنة المماليك، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م

٦٣- نوار(صلاح الدين)، الطوائف المغولية في مصر، دار المعارف، الإسكندرية، د.ت.

قائمة المقالات:

١- أبوراس(عبد الرحمن صادق)، علاقة مملكة حماه بدولة سلاطين المماليك، الناشر التركي، طنطا، مصر، ط١، ١٩٩٣م.

٢- أحمد (كرفان محمد)، السلطان توران شاه الأيوبي (٦٤٧- ٦٤٨هـ /١٢٤٩- ١٢٥٠م)، مجلة التربية والعلم، جامعة دهوك، العراق، المجلد ١٣، العدد ٣، ٢٠٠٦م.

٣- بولاديان (آرشاك)، أرمينيا والعالم العربي (صفحات من تاريخ العلاقات الأرمنية - العربية)، مطبعة دمشق، دمشق، ط١، ٢٠٠٧م.

٤- الجرجري (جاسم محمد)، العلاقات السياسية بين المماليك والفرنجة خلال الفترة (٦٤٨-٩١٥هـ/١٢٥٠-١٥٠٧م)، مجلة تكريت للعلوم الإنسانية، كركوك، المجلد١٤، العدد٨، أيلول، ٢٠٠٧م.

٥- زعرور (إبراهيم محمود)، الخطط البابوية تجاه مصر والمشرق العربي في القرن الرابع عشر الميلادي حسب ماجاء في كتاب الأسرار لمارينو سانوتو، مجلة دراسات تاريخية، العددان٨٥-٨٦، حزيران، ٢٠٠٤م.

٦- زيادة (محمد مصطفى)، حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته في المنصورة، مجلة العربي، وزارة الإعلام، الكويت، العدد٤٥، ١٩٦٢م.

٧- طنطاوي (حسام عويس)، الكتابة بالأشياء في مصر خلال العصر المملوكي، مؤتمر الفن واللغة، الأبحاث العلمية، جامعة عين شمس

٨- عبد النبي (ناجلا)، القرصنة اللاتينية في شرق حوض البحر المتوسط على عصر سلاطين المماليك، مجلة المؤرخ العربي، مصر، العدد٩، ٢٠٠١م.

٩- الغامدي (عبد الله بن سعيد)، سياسة سلاطين دولة المماليك البحرية إزاء ميناء إياس الأرمني، مجلة جامعة الإمام، العدد٣٩، رجب، ١٤٢٣هـ.

١٠- القداوي(علاء محمود)، النجار(رغد عبد الكريم أحمد)، امبراطورية المغول، دراسة في تكوينها وصراع الأسرة الحاكمة على منصب الخان الأعظم، آداب الرافدين، العدد ٥٩، ٢٠١١م.

١١- قداوي(علاء محمود خليل)، تحالف ملوك أرمينيا الصغرى وأنطاكية الصليبية مع المغول لاحتلال بلاد الشام، جامعة الموصل، العراق،٢٠٠٠م.

١٢- لبيب (صبحي)، سياسة مصر التجارية في عصر الأيوبيين والمماليك، جامعة كييل، ألمانيا الغربية، د.ت.

١٣- المحيمد (علي بن صالح)، نفوذ المغول في آسيا الصغرى، الدرعية، الرياض، العددان ٢١، ٢٢، ٢٠٠٣م.

١٤- مصطفى (إيلاف عاصم)، دور البابوية والقرصنة في شل حركة التجارة الشرقية في البحر الأبيض المتوسط ١٢٩١-١٤٩٨م، الجامعة المستنصرية، كلية التربية الأساسية، العدد٧٣، ٢٠١٢م.

١٥- المولى(سالم يونس محمد)، دور المماليك في إنهاء الحكم الأيوبي في مصر، مجلة أبحاث كلية التربية الإسلامية، الموصل، العراق، المجلد ٩، العدد٣، ٢٠٠٩م.

١٦- الناصر(صفوان حسن طه)، دور الملك الظاهر بيبرس في تجحيم التحالف المغول_الأرمني_الصليبي، مجلة التربية والعلم، المجلد ١٦، العدد(١)، ٢٠٠٩م.

١٧- النهار(عمار)، الدراسات النظرية الجديدة في عصر دولة المماليك البحرية، مجلة دراسات تاريخية، العدداان١١٧-١١٨، حزيران، ٢٠١٢م، ص٢٤٦.

١٨- هوفهانيسيان (نيكولاي)، العلاقات التاريخية الأرمنية- العربية، النشرة، مركز الدراسات الأرمنية في جامعة القاهرة، العدد١٨، شباط، ٢٠٠٨م.

قائمة المراجع الأجنبية :

1- Boase, T. S. R. The Cilician Kingdom of Armenia, St. Martin’s Press, New York, 206 pp.(1ère édition 1978).

2- Claude Cahen, The Mongols and the near East in setton, History of the Crusades,Vol.ll.

3- CANARD, M. « Le royaume d'Arménie-Cilicie et les Mamlouks jusqu'au traité de 1285 », Revue des études arméniennes, vol. 4, 1967.

4- CANARD, M. « Une lettre du sultan Malik Nâsir Hasan à Jean VI Cantacuzène (750/1349) », *E.A.I.E.O.A.*, vol. 3, Larose, Paris, 1937.
5 -Dardel Jean, Chronique d'Arménie, Ds. : H. H. C. D. A., Imprimerie ,impériale, Paris. 1969, p. 721.

6- Dédéyan, G. « Migrations arméniennes des XIe et XIIe siècle et création de nouveaux pouvoir au Proche-Orient », Byzance et ses Périphéries (Mondes grec balkanique et musulman). Hommage à A. Ducellier, Université de Toulouse-Le Mirail, 2004.

7- DEDEYAN, Gerard, (dir), Histoire du people armenien, privat, Toulouse, 2007.

8- Hassan, G. Les relations diplomatiques entre les mamelouks bahrides et les Etats chrétiens en Orient (milieu du XIIIe-fin du XIVe siècle), thèse de doctorat, Université de Sorbonne, Paris, 2010.

9- Holt, P. M, Early Mamluk Diplomacy (1260-1290) : Treaties of Baybars and Qalawun with Christian Rulers, E. J. Brill, Leiden, 1995.

10- LUISETTO, Frederic, Armenienset autre schretiens d'oeient sous la domination mongol, Geuthner.

11- Mutafian, C. Le Royaume Arménien Cilice XII^{e}-XIV^{e}, CNRS Editions, Paris, 1993.

12- NORTHRUP, L.S., From Slave to sultan: the career of al-Mansur Qalawun and the Consolidation of Mamluk Rule in Egypt and Syria (678-689A.H./1279-1290A.D.), Franz Steiner Verlag, Stuttgart, 1998.

13- Der Nersessin, S. « The Kingdom of Cilician Armenia », *A History of the Crusades*, vol. 2, *The Latre Crusades (118-1311)*, éd. K. M. Setton, University of Wisconsin Press, Madison, 1969.

14- SETTON, K.M., LEE WOLFF, R., HAZARD, W.H. (éd.), A History of the Crusades, vol. 1, The Later Crusades (1189-1311), University of Wisconsin Press, Madison, 1969.

15- STEWART, A.D, The Armenia Kingdom and the Mamluks war and diplomacy during the reigns of Het'um II (1289-1307), Brill, Leiden-Boston-Koln, 2001.

16- VASILEV, A.A., History of the Byzantine Empire, 324-1453, vol.2, university Wisconsin press, Madison, Wisconsin, 2006.

ABSTRACT

The Relations between the countries reflect the nature of the historical stage and draw the course of events, and we infer from which the thinking of countries that are either driven by economic interests, or military expansion policies, or have been framed by the religious instinct. Hence the relations between the Bahri Mamluks, and the Armenian Kingdom of Cilicia seesaw between deep crisis, and the collision, and the relaxation and calm, according to the evolution of the political situation in the Near East region and the relationship of each of them by the Crusaders and the Mongols Crusaders and Mongols.

Represent this hostility military activity and another diplomat, was military activity through successive military campaigns on the country of Armenia Minor, which in the Cilicia region between the Taurus Mountains, the Mediterranean and along the borders of the Principality of Antioch, the crusader, and these campaigns Zahir Baybars opened, followed by his successors after him directing campaigns until they managed in the era of the successors of al-Nasir Muhammad to seize the capital of the Armenian Kingdom of Cilicia, "Cisse", thus eliminating the kingdom in 776 AH / 1375 AD.

Since the Mamluks were preparing their home for peace, they did not just rely on drawing foreign relations on military force, but rather used the choice is as important as military campaigns, represent the establishment of diplomatic relations with the surrounding countries, including the Armenian Kingdom of Cilicia, through the exchange of many embassies, and correspondence between them, which was the construction of the Court of Mamluk a big role in this area.

Syrian Arab Republic

Tishreen University

Faculty of Literature

Depart of History



The war and peace relations between the Bahri Mamluks and Armenia kingdom of Cilicia

The mid of 13th century – the end of 14th century AD

(648 - 784 AH) – (1250 – 1382 AD)

This is submitted to obtain A Master's degree in History

Prepare By

Hiba Bassam Aboud

Scientific Supervisor

Ghada Hassan

1437 AH / 2016 AD